

رواية

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

ليز لاولر

ترجمة: فدوى درويش

لا تسترقتني



ولدت ليز لاولر في منطقة تشاتام وعاشت مرحلة من حياتها في مدينة دبلن الأيرلندية. ترعرعت في كنف عائلة مؤلفة من أربعة عشر طفلاً، حيث المشاركة في لبس الجوارب والسراويل وحملات الصدر المحشوة، وحول طاولة الطعام. أمضت ليز أكثر من عشرين عامًا في العمل ممرضة. ثم عملت مضيضة طيران، وتعمل الان مديرة لفندق خمس نجوم. تعيش مع زوجها في مدينة باث. "لا تستيقظي" هي روايتها الأولى.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل الأول

أيقظتها أصوات مألوفة، أصوات مريحة على نحو غريب، رغم عاداتها أن تنهض فزعة؛ لترى ما يفعله زملاؤها. سمعت صوت أدوات توضع على صينية معدنية. كانت أجهزة مراقبة القلب تصدر صفيراً منتظفاً، وحزم التعقيم مفتوحة. وفي الخلفية، هسيس جهاز الأكسجين متواصل.

تستطيع أن تتخيل المشهد بوضوح، أدركت أنه ينبغي لها أن تنهض، لكن جاذبية النوم قوية؛ إذ شعرت بثقل كبير يشل أطرافها عن الحركة. لم تستطع أن تتذكر كيف صعدت إلى إحدى العربات غير المشغولة، لكن لا بد أنها فعلت ذلك في وقت ما أثناء الليل للحصول على ساعة أو ساعتين من النوم. عادةً ما كانت تستيقظ على صوت مكالمة من الهاتف الأحمر، أو على رنين جهاز الاستقبال. كانت هذه المكالمات العاجلة تعني -عادة- أنها بدأت تعمل وتجري حتى قبل أن تفتح عينيها. لكن هذا النوم جعلها تشعر بالخمول، وجعل رفع جفنيها ثقيلًا وكأنها تزيل جلدًا سميكًا عن عينيها.

أبهرها الضوء الساطع ودمعت عيناها، فاضطرت لأن تغمضهما لتحاشي الضوء. لقد كان الضوء شديدًا لدرجة مزعجة كما لو أنه عقوبة. استطاعت بصعوبة أن تميز خطوطه. نبهها اختلاط التشويش مع صوت جهاز الإنذار إلى محيطها. إنها ليست في غرفتها. فلا يوجد في شقتها مثل هذه الأضواء؛ كانت مصابيح علوية صغيرة معلقة، يمكن تغطيتها

براحة اليد. لم تكن موجودة في شقّتها؛ كانت في غرفة عمليات. لكن لماذا هي هنا بحقّ الجحيم؟ من المؤكّد أنّها لم تتجوّل هنا بحثًا عن سرير... فكّري. هل ساعدت مصابًا؟ هل كان هناك من هم بحاجة إلى يد المساعدة فمدّتها لهم؟ هذا أمر غير مرجح، ولكنه معقول. حدّقت نحو الأسفل، حينذاك تسقّرت. ارتجفت بعنف عندما رأت جسدها مغطى بشراشف مستشفى خضراء اللون. كانت أصوات غرفة العمليات قد كتمت، وكان اندفاع الدّم في أذنيها صاخبًا للغاية بحيث لم يسمح لها بسماع أي شيء آخر. مُدّت ذراعاها وثبتتتا على مساند منجدة بوساطة أشرطة لاصقة.

لُف رباط جهاز قياس ضغط الدم حول ذراعها، أعلى مرفقها الأيمن، وزُبط مسبار مقياس تأكسج الدم إلى إصبعها الوسطى. لكن أكثر ما أخافها هو مشهد الأنبوبين الكبيرين اللذان كانا قد تمّ إدخالهما في ساعديها كليهما. الإبر البرتقالية تعني وجود ارتداد سوائل شديد، التي تعني في اختصاصها الصدمة.

انتشرت خطوط التنقيط حول الأعمدة المعدنية للحقن الوريدية، وبعيدًا عن أكياس السوائل. كانت تستطيع رؤية القيعان الثقيلة لأكياس الموائع الشفافة المعلقة أعلاه، لكنها لم تستطع إلا أن تخمن أنه يتم نقل السوائل.

ركزت على الجزء السفلي نحو الغطاء الأخضر على صدرها وبطنها، فأصيبت بالذعر عندما رأت أظافر

قدميها المطلية باللون الوردى معلقة في الهواء. أدركت أن فخذيهما متباعدتان، وربلتي ساقيهما مثبتتان إلى مساند، وكاحليهما في الركاب - كانت مستلقية على سرير العمليات وساقاها مرفوعتان. نتيجة فمها الجاف وزهونها المشوش عرفت أنها لم تستيقظ من نوم طبيعي، وإنما استفاقت من التخدير.

صاحت لجذب انتباه الشخص الذي يدير الأجهزة: "مرحبًا؟" استمرت قعقة ارتطام الأدوات المعدنية بعضها ببعض دون انقطاع. صاحت، متوترة، بصوت أعلى: "مرحبًا؟ أنا مستيقظة".

مقارنة بالظروف المحيطة بها، كانت دهشة من الهدوء الذي تشعر به. لقد كانت خائفة وقلقة، لكن في ظل كل هذا، أتاحت لها معرفتها المهنية التفكير فيما حدث، بينما تنتظر توضيحًا.

كانت قد أنهت مناوبتها المسائية. استرجعت ذاكرتها لآخر لحظات وعيها... سائرة عبر موقف سيارات الموظفين، مرتدية ثوبها الفضفاض وحذاءها الوردى، ذاهبة لمقابلة باتريك. أكدت لها هذه الذكرى أنها لا بد وقد تعرضت لحادث. تذكرت الشمبانيا والورود. هذا ما كان قد وعدا به، بعد ظهر يوم طويل في العمل. الشمبانيا والورود، بالإضافة إلى عرض زواج، إن لم تكن مخطئة.

أين هو الآن؟ مما لا شك فيه أنه في الخارج يمشي في الممر، ينتظر بقلق ليعرف كيف حالها، مستعدًا للانقضاض على أي شخص يمكن أن يعطيه إجابة.

تساءلت إن كانت قد صدمتها سيارة؟ ربما كانت
سيارة منطلقة بسرعة كبيرة، وهي لم تنتبه إليها
بسبب لهفتها لرؤية سيارة باتريك؟

راودتها ذكرى مشوشة، عن تمايلها بحذائها ذي
الكعب العالي بصعوبة، وهي تدفع صدرها إلى
الأمام، وتشدّ بطنها لتظهر بأفضل مظهر في الفستان
الجديد. ثم تذكرت موجة الدوار التي جعلت ساقبيها
تلتويان، وتقع أرضاً على ركبتيها. ثم شعرت باليم في
رقبتها، وضغط على فمها كنم أنفاسها، وبعد ذلك...
لا شيء آخر.

استبدّ بها خوف شديد، وانقطعت أنفاسها وهي
تحاول مقاومة الذعر الذي دهمها. ما مدى خطورة
إصابتها؟ هل كانت تحتضر؟ هل هذا هو السبب وراء
عدم وجود أحدٍ من حولها؟ هل تركوها هكذا لتموت
هنا؟

ظهرت مهارتها وفطرتها. قامت باختبار أولي. أ
ب ت ث ج. كلا، اكتف ب أ ب ث أولاً. كان تنفسها
طبيعيًا. لم يكن هناك قناع أكسجين أو أنبوب أنفي
موصولاً إليها. كانت تتنفس تنفسًا طبيعيًا، وعندما
أخذت نفسًا عميقًا لم تشعر بضيق... ماذا عن الدورة
الدموية؟ قلبها يدق بشدة، وبصوت عالٍ يمكنها
سماعه من جهاز مراقبة القلب، القريب منها. لكن
لماذا ما زالت ساقاها ممددتين بهذا الشكل؟ هل
كانت تنزف؟ قد تكون كسور الحوض من أخطر
الإصابات. نزيّف شديد لا يمكن السيطرة عليه. ولكن
إذا كان الأمر كذلك، فأين هم جميع الجراحين

المعنيين؟ لماذا لم يقوموا بتثبيت حوضها؟
صاحت بنبرة أقل لطفًا: "مرحبا، هل يمكنكم
سماعي؟".

توقف صوت الأدوات. حركت رأسها بحذر شديد.
لم تتفاجأ بوجود مثبتات حول رأسها وطوق حول
عنقها يثبتته. لم يستبعدوا بعد احتمال إصابة
الفقرات الرقبية. لقد بدأت تغضب. من يهتم
بأمرها بحق الجحيم؟ أرادت أن تعبر عن سخطها
واحتجاجها. تركها تستفيق وحدها أمر سيئ بما
فيه الكفاية، ولكن بالنسبة لها، حيث رأسها مربوط،
وذراعاها مربوطتان، وساقاها معلقتان في الهواء،
كان أمرا مثيرا للغضب. يمكن أن تُلحق بنفسها
أضرارا جسيمة، فيما لو أصيبت بالهلع، أو نزعت عن
نفسها الأجهزة الطبية المربوطة إلى جسدها، التي
تُبقِيها في حالة أمنة.

استطاعت أن تسمع وقع خطى على الأرض الضلّبة
قادمة نحوها. ثم، وفي محيط رؤيتها، شاهدت مادة
خضراء مزرقّة، كان أحدهم يرتدي ثوب الجراحة.
لمحت رقبة شاحبة وحافة قناع وجه أبيض اللون،
لكن بقية الوجه - الأنف والعيّنين - كان فوقها ضوء
ساطع، ممّا يجعل من المستحيل بالنسبة لها أن
تميّزه تميّزا صحيحا.

فجأة، شعرت بالدموع تملأ عينيها، فضحكت
بمرارة: "أنا أكره المستشفيات اللعينة". بقي زائرها
ساكنا وصامتا، محدثا المزيد من الخوف في ذهنها
المضطرب. قالت: "أنا أسفة بشأن الدموع. أنا الآن

على ما يرام. اسمع، فقط اخبرني الحقيقة، هل حياتي في خطر؟ هل ستتغير؟ سأتحمل ذلك، فأنت تعرف أنني أعمل هنا، وأنني طبيبة، لذا يرجى ألا تعطيني صورة مخففة عن وضعي. لأنني أفضل أن أعرف الحقيقة".

أجابها: "لم يحدث لك شيء".

أزعجها الصوت، إذ بدا كأنه صادر عن مكبر للصوت. رمشت بعينيها إليه في ارتباك. هل كان الشخص الذي بجانبها هو من يتحدث إليها، أم هو صوت شخص آخر من خلف شاشة المراقبة؟ هل كانت موجودة في غرفة للتصوير الطبقي المحوري وليس في غرفة عمليات؟ كان صوت رجل. لكنها لم تتعرف عليه. فهو ليس صوت أي من الجراحين الذين تعرفهم. حدقت بعينين نصف مغمضتين في الوجه المقنع وسألت: "هل أنت الطبيب، أم أن الأطباء في غرفة أخرى؟ هل نحن في غرفة التصوير الشعاعي؟".

أجابها: "أنا الطبيب".

يا إلهي، إن سمعها مضطرب. فقد بدا كما لو كان يتحدث بالقرب منها، لكن الصوت كان يأتي من بعيد، يشبه الصوت الصادر عن مكالمة هاتفية. لماذا لا يطفئ الأنوار اللعينة، وينزع قناعه، ويتحدث إليها كما ينبغي؟ أو حتى يمسك بيدها؟ تنهدت منفعلة وغاضبة، وقالت: "إذن، ليس بي أي سوء؟".

قال لها: "ليس بك أي مكروه".

نفد صبرها وقالت بنبرة صوت أعلى: "اسمع، هل

يمكننا أن نعود بالأحداث إلى الوراء؟ لأي سبب بالتحديد أنا مستلقية هنا؟ ولماذا أحضرتُ إلى هذا المكان؟ ما التشخيص المدون في استمارتي الطبية؟".

قال: "عليك ألا تجهدي نفسك؛ فقلبك يخفق بسرعة، وتنفسك غير منتظم، ومستويات الأكسجين لديك ليست سوى أربعة وتسعين في المئة. هل أنت مدحّنة؟".

وقعت عيناها على جهاز مراقبة نبض القلب الموضوع على طاولة متنقلة ذات عجلات إلى جانبها. استطاعت أن ترى الأشرطة المتدلّية منه، وأدركت أنها موصولة بصدرها بالأقطاب الكهربائية.

قالت له: "اسمع، لا أقصد أن أكون وقحة. على الأرجح كان يومك طويلًا، لكنني غاضبة بعض الشيء لأنني استيقظت ووجدت نفسي وحيدة هنا. الآن، لنكن واضحين. أنا لن أتقدّم بشكوى، لكنني أريد أن أعرف من أنت. أريد أن أعرف اسمك وما الذي يحدث الآن".

قال وهو يرفع يده في قفاز بنفسيجي اللون ويمسك بدباسة جراحية: "حسنًا يا أليكس. ولكي نكون واضحين، الآن، إذا لم تتحدثي بلهجة مهذّبة، فسوف أقوم بتدبيس شفّتيك بعضهما ببعض. لديك فم جميل، سيكون أمرًا مؤسفًا أن يشوّه".

اجتاحتها موجة رعب في الحال نهشت جوفها. تصلّبت عضلاتها، وجحظت عيناها، فشلت أفكارها، وخمد غضبها، وانخفض صوتها.

قال بهدوء: "لن ينفك الانفعال، هنا".

قالت في نفسها: الشمبانيا والورود. فكري في ذلك. فكري في باتريك.

استطاعت أن تستشعر ابتسامة في صوته حينما قال: "هذا أفضل. فلا يمكنني العمل وسط الضجيج".

مَرَّت السيناريوهات مثل شريط سينمائي سريع في مخيلتها. كانت في مكان ما في المستشفى. شخص ما سوف يجدها. شخص ما سيسمعها تصرخ. إنه رجل مجنون. مريض هارب. أم طبيب؟ أو هو شخص ينتحل صفة طبيب؟ من الواضح أنه يسيطر على إحدى غرف العمليات وعليها... تعثرت به مصادفة بطريقة ما. فمها، والضغط الذي شعرت به. فقدان الوعي، بعد أن سقطت على ركبتيها في موقف السيارات... ثم نقلها إلى هنا.

لقد ضربها، ثم قام بتكميمها بقطعة قماش. لا بد أنه قد قام بتخديرها بالكلوروفورم أو الإيتر...

قال وهو يقرأ أفكارها: "من فضلك، لا تصرخي". "نحن هنا وحدنا، ولا أريد حقًا اللجوء إلى إسكاتك. أعاني من الصداع. الرياح الباردة دائمًا ما تسبب لي الصداع. أنا دهش من أنك لا تصابين بالصداع أنت أيضًا، رغم ارتدائك ملابس خفيفة في ليلة باردة مثل هذه".

أدركت من فورها أنها عارية من الملابس تحت الغطاء الأخضر. كان ثدياها وفرجها مكشوفين، والجزء السفلي من جسدها مرفوع قليلاً في الهواء،

وبدأت عضلات ساقها بالتشنج من الوضع غير الطبيعي الذي كانت فيه.

فلفتكر بباتريك. أو أي شيء آخر، بعيدًا عن فكرة الوجود هنا، في أمها، في العمل، في المريض الذي مات اليوم. الناس الذين سوف يبحثون عنها. "فكري يا أليكس"... ولتكن منطقية معه. فلتدخل إلى عقله. لتقل ما هي عليه. من هي. لتأمنن نفسها. أليس هذا ما تعلمته في الكتب؟ لقد طبقت عدّة مرّات ما تعلمته منها. القاعدة الأولى: تقبّل غضب مريضك. القاعدة الثانية: امتصّ غضبه.

قالت: "اسمي أليكس وأنا طبيبة".

أجاب بهدوء: "هل تعلمين أنّ لديك رحمًا مائلًا إلى الخلف؟ أثناء إزالة اللولب من رحمك، اضطرت لاستخدام منظار منحنى".

ذهلت لما سمعته وفغرت فمها. فقد فعل بها ما فعل بينما كانت فاقدة للوعي، كانت يداه تعبثان بها.

فكري. حاولت أن تفكر. لتفكر في هذا قبل أن يفوت الأوان وقبل أن ينتهي كل شيء. قالت في نفسها: "كوني لطيفةً معه. اجعليه يعجب بك. حاولي، بحقّ الجحيم". وبّخت نفسها بشدّة، بينما كان لسانها يتثاقل في فمها مثل برّاقة كبيرة.

قالت: "ش...شكرًا لك على ما قمت به. لا يتعامل الجميع معي بهذا القدر من المراعاة".

أجاب: "على الرحب والسعة".

منحها رده بصيضا من الأمل. لقد نجح ذلك. كانا

يتحدثان بعضهما مع بعض. لم تر وجهه بالفعل، وعلى الأرجح كان يعلم ذلك. كان بإمكانها إخباره بأنها لا تعرف شكله، وستنسى ما فعله بها بالفعل. وأنها لم تُصَب بأيّ أدّى... يمكنه الرحيل فحسب.

قالت بحذر: "أتساءل، إذا كنت ستسمح لي بالذهاب إلى المرحاض؟".

أجاب: "لا حاجة لذلك". اختفت يداها بالقفازات البنفسجية تحت الغطاء الأخضر، ولمستا جلدها العاري، فجفلت. قال ناصحاً وهو يجسّ أسفل بطنها: "اثبتي، مثانتك فارغة... سبق وأجريت لك قسطرة. النتيجة جيدة".

قالت: "لماذا فعلت ذلك؟".

قال "إنه إجراء أساسي يا أليكس". استخدم اسمها بألفة زميلين يعملان جنباً إلى جنب. ثم أردف: "سيكون من المؤلم لك التبول بصورة طبيعية مدة من الوقت".

صدرت عنها تنهيدة عميقة، وملا صوت بكائها اليائس الغرفة: "ماذا فعلت بي؟".

قال: "لقد أخبرتك سابقاً، لم يحدث لك شيء. لكن حتى الآن القرار يعود إليك. عليك فقط الإجابة عن هذا السؤال: ماذا تعني كلمة "كلّا"؟".

تشبّنت أفكارها وهي تحاول فهم السؤال. تعرف ماذا؟ تعرفه هو؟ ماذا كان يسألها بحق الجحيم؟

قال: "هذا، على سبيل المثال". قال ذلك وهو يحمل صندلها الوردى الشاحب، بكعبه الطويل

والأشرطة الرقيقة الذي تعرف أن من شأنه أن يثير
باتريك، مع أنه كان من المستحيل السير به. "هل
هذا ما تعنيه كلمة "كلًا"؟ وأي منها؟" كانت جواربها
متدلية على وجهها. قال: "بالتأكيد هي لا تعني كلًا.
عندما نزعث عنك ملابسك، لم تكوني ترتدين حفالة
صدر، ولم يكن سروالك الداخلي كبيرًا بما يكفي
لصنع منديل صغير".

شد كاحليها بقوة بوساطة الأشرطة الجلدية،
وربطها بإحكام أثناء محاولتها سحب ركبتيها معًا.
لقد فهمت بالضبط ماذا الذي يقصده بسؤاله. قالت
متوسلة: "أرجوك لا تفعل".

قال: "إنه سؤال سهل، يا أليكس. أعتقد أننا على
حد سواء نعرف ماذا يعني عندما تقولين "كلًا"،
أليس كذلك؟".

تغلبت مشاعر الكراهية على الخوف لديها،
وشعرت لحظة بالحرية والشجاعة. غمغمت وهي
تلفظ كلمات غاضبة: "أنا لا أفهم السؤال، أيها الغبي.
ومستويات الأكسجين لدي منخفضة بسبب ما
أعطيته لي. إنك بحاجة للعودة إلى كتبك. هل أنت
مشعوذ فاشل؟ أهو كذلك؟".

سمعت صوت شهيق وتأفف من خلف الكمامة:
"العصبية، العصبية. هذا لن يساعدك. لقد جعلتني
اتخذ القرار".

التفت جانبًا، وسحب نحوه عربة من الفولاذ
اللامع، عليها مجموعة من الأدوات كانت تعرفها
كلها: لولب منع الحمل، مقص للرحم، منظار كوسكو

المهربي، وإلى جانبها قناع التخدير. تسفر جسدها من الخوف وهي تراه يلتقطه. قناع شيملبوش. المزة الوحيدة التي رأت أليكس ذلك القناع، سابقاً، كانت من خلف زجاج كابينة تتم دراسته من قبل طبيب تخدير متقاعد. ذكرها بنوع الأقنعة التي يتم ارتدائها في المبارزات، وهو جهاز وقائي يغطي الأنف والفم. هذا مجرد نسخة معدلة عنه: كان بحجم الجريب فروت، يتكوّن من شبكة من أسلاك رفيعة، مزودة بشاش منسوج بينها، بحيث يتم تنقيط سائل التخدير عليه ليتشبع به، قبل أن يستنشقه من يرتديه.

قال بهدوء: "إنها دارة مفتوحة، لا يمكنك التغلب على الطريقة التقليدية في التخدير. ليس هناك مجرى للهواء ينبغي إدخاله، ولا جهاز تخدير ينبغي مراقبته. فقط شاش وكمامة. وطبعاً الغاز. مما يترك يديك حزّتين لفعل أشياء أخرى".

خانتها شجاعته، انهارت قدرتها على التحكم بنفسها، فقدت المنطق. لم يكن هناك من مفر. يمكنه أن يفعل بها ما يشاء، ولا يمكنها إيقافه. في لحظة عابرة، تساءلت عما إذا كان من الأفضل لها لو ماتت فوق هذه الطاولة. حينها كانت ستترك الحياة دون أن تدرك أنها النهاية.

قال لها: "من ناحية أخرى، إذا جعلتك تغييبين عن الوعي، فهذا سوف يمنعنا من تبادل الحديث. ما يدريك، فقد أحتاج إلى مساعدتك إذا أصبحت الأمور صعبة بالنسبة إليّ. يمكن أن أعطيك مرآة،

فتقومين بتوجيهي إن اعترضتني مشكلة. يمكن أن تكون عملية استئصال الرحم مشوبة بالتعقيد".

كان تنفّسها سريعًا وسطحيًا جدًا. بدأ رأسها يرتعش وهي مركّزة على القناع في يده. لم تستطع التنفّس، لم تستطع التحدّث...

قال لها: "إنها الفرصة الأخيرة، يا أليكس. يمكنني جعل هذا سهلًا. تنامين وقتًا قصيرًا، بينما أفعل ما يعلم كلانا أنك سوف توافقين عليه، ثم بعد ذلك تذهبين إلى بيتك وإلى سريرك. لذلك سأسألك مرّة أخرى: ماذا تعني كلمة "كلًا"؟".

بدأ جسدها كلّ يرتجف. تحرّكت العضلات الكبيرة في صدرها والأرداف والفخذين تحرّكًا متواصلًا. اهتزّت اهتزازًا واضحًا مثبتتات الرأس والرقبة، ومساند الذراع، وركائب الكاحل. انهمرت الدموع على وجهها وامتزجت بالمخاط النازل من أنفها وفمها، وبسبب كلّ ذلك، صرخت صامتة، "كلًا"، وقسرت نفسها على قول عكس ذلك بصوت عالٍ.

قال: "أنا آسف، لم أسمع ذلك". الآن، كان يصعب عليها سماع صوته. لقد غير رأيه، وبات القناع يغطّي الآن نصف وجهها والغاز السائل يفعل فعله.

همست وهي تغفو: "قلت نعم. كلًا تعني نعم".

الفصل الثاني

فتحت أليكس عينيها. وجدت نفسها مستلقية على سرير، مغطاة بملاءة، واثنتان من زميلاتها تحدقان إليها من فوقها: فيونا وودز، صديقتها المقربة وهي كبيرة الممرضات في قسم الطوارئ. وكارولين كاوان، وهي استشارية في قسم الطوارئ. كانت كل منهما تبديان تعابير مطمئنة وابتسامة دافئة. لقد عرفت أين هي الآن. عرفت مكان وجودها بدقة، إنها على وجه التحديد في الغرفة رقم 9.

استطاعت أن ترى بوساطة ساعة فيونا، أن الوقت يقارب الثانية صباحًا. وكما يبدو، فأنها كانت تعمل هنا قبل خمس ساعات. أخذت حقا ما سريعا في غرفة تبديل الملابس الخاصة بالموظفين، وكان فستانها معلقا وجاهزا للارتداء، كذلك عطورها ومساحيق تجميلها كانت جاهزة. كل هذا حدث منذ وقت قصير، ومع ذلك فقد تغير الكثير. لقد كانت حياتها مستقرة. ليتها قالت لا... ليتها رفضت... ليتها أبدت شجاعة أكبر...

أغمضت عينيها وتنفست بعمق، وعندما أصبحت مهيأة، فتحتها مرة أخرى.

قالت كارولين بلهجة لطيفة جدًا: "مرحبًا عزيزتي... هل يمكنك إخباري بما حدث؟ أخبريني في أي يوم نحن؟ وأين تظنين أنك موجودة؟".

لم تكن أليكس قادرة على الإجابة عن السؤال الأول. لذلك ركزت فقط على السؤال الثاني والثالث قالت: "إنه يوم الأحد، الثلاثون من أكتوبر وأنا في

مدينة باث، في المستشفى، وفي القسم الذي أعمل فيه".

ابتسمت كارولين مرة أخرى: "بالفعل يا عزيزتي، لكن اليوم هو الحادي والثلاثون من الشهر. لقد أخفتنا عليك كثيرًا. كانت العاصفة في الخارج مروعة للغاية، أمطارًا ورياحًا متواصلة.

أومات برأسها مؤكدة: "لقد أخفتنا بما فيه الكفاية". تابعت: "لكنك بخير. فقط أصبت ببضعة خدوش على ركبتيك، ومنتوء في الجزء الخلفي من رأسك، بخلاف ذلك، أنت بخير. حسنًا، إنه من الجيد أن باتريك أصرَّ على متابعة البحث عنك، لولا ذلك ربما كنا الآن نعالجك من انخفاض حرارة الجسم. أقترح عليك البقاء حتى صبيحة الغد لإجراء بعض الفحوص العصبية. لقد كنت فاقدة للوعي. بعد لحظة، سادعو مساعدين حتى نقوم بفحصك والتحقق من وضعك أكثر. حافظي على هدوئك وثباتك، سنزيل عنك ذلك الطوق دون أن تشعر بذلك".

امتلات عينا أليكس بدموع الراحة، وعندما رمشت، انهمرت دموعها. قطبت كارولين حاجبتيها الكاشفين معًا وعبست. بدت أكبر من عمرها، كان جسدها ضلَبًا، وساعداها قويين ومتناسقين، ليس بسبب العمل الطبي، ولكن نتيجة للسنوات التي قضتها في مساعدة زوجها في مزرعتها.

قالت كارولين: أه، يا حلوتي، لا تبكي. قريبًا، سوف تجلسين معنا ونشرب الشاي معًا". ثم أردفت

محدرة فيونا بنبرة ودية: "يا فيونا، ناد المزيد من الأشخاص... لكن لا تجلبي أحدا من الصبيان".

وتابعت: "أنا متأكدة من أن أليكس لا تريد أن يرى الكثير من الأشخاص مؤخرتها الجميلة".

كانت أليكس مستلقية تماما. شعرت بالتعب الشديد، وأحست بالامتنان لأسلوب كارولين العملي ومزاحها العفوي. انتابتها رغبة بالصراخ. في وقت لاحق، كان باستطاعتها أن تعوي وتصرخ وتنهار مكومة، ولكن في الوقت الحالي من الأفضل أن تحتفظ بهدونها. سوف تحتاج إلى أن تبقى هادئة إذا كانت ستقدم أي مساعدة إلى الشرطة.

جاءت ثلاث ممرضات برفقة فيونا وودز إلى الغرفة.

قالت فيونا لكارولين: "أنا سوف أتولى الرأس".

أما الممرضات الأخريات، فقد أخذن وضعية بحيث كنّ على جانب واحد من أليكس، ووضعت كل واحدة منهنّ يديها على جزء من جسمها. تم تثبيت كتفها ووركها وساقها بإحكام. واقفة على رأس السرير، وضعت فيونا يديها على جانبي رأس أليكس، بينما قامت كارولين بفك طوق العنق وأخذت المشدات حول الرأس. ثم وضعت الاختصاصية يدها بعناية خلف رقبة أليكس، تلمست العمود الفقري الرقبي ابتداءً من أسفل الجمجمة، لكي تتأكد من وجود أي علامة على الهشاشة أو التشوه. أحست أن أليكس جففت. قالت لها: "هل يوجد ألم هنا؟".

بدأت أليكس تهز رأسها مؤكدة، أمرتها فيونا بالبقاء ساكنة: "هيه أنت، يجب أن تتصرفي أفضل من هذا" كان وجهها على بعد بوصات فقط من أليكس، شفت رائحة دخان السجائر المنبعثة منها. من الواضح أن فيونا رجعت إلى هذه العادة مرة أخرى. إنه أمر مؤسف؛ لأنها كانت قد تحسنت بسبب ملصقات منع التدخين.

أثناء الدقائق القليلة التالية، بينما كانت مستلقية على جانبها في وضع ثابت ومستقيم، ورأسها بين يدي فيونا القويتين، تم فحص بقية العمود الفقري بعناية. أخيرًا، حانت لحظة الإهانة والهرج، خاصة أنها على معرفة بكل هؤلاء الناس؛ أدخلت كارولين إصبعًا في الشرج لتقييم انقباض العضلة العاصرة، ثم انتهى الأمر. غطت ابتسامة كبيرة وجه كارولين بينما تكوّرت أليكس على نفسها.

"أنت بخير يا أليكس. لن تحتاجي إلى طوق العنق بعد الآن. سأرفعك قليلًا، ثم أحضر لك كوبًا من الشاي". نظرت إلى فيونا وقالت: "حبتان من الكو-كودامول لن تضرًا".

لم يكن هناك شك في أن كارولين كاوان كانت على درجة بارعة في الحفاظ على هدونها أثناء الأزمات، ووتيرة أفعالها ونبرة صوتها مناسبة تمامًا للجسم حالة الهستيريا. كانت تمنح أليكس الوقت الكافي للتكيف مع وضعها، وتتأقلم مع كل شيء قدر الإمكان، حتى تكون أكثر قدرة على مواجهة الإزعاج القادم. طالما كانت أليكس معجبة بها، ولكن ليس أكثر من الآن.

تأكدت من أن أليكس في حالة جيدة.

عندما فرغ المهجع من بقية المساعدين، غسلت كارولين يديها على المغسلة. تناثر رذاذ الماء على سترتها الخضراء وسروالها، واستهزأت وهي تضحك وتسحب المناشف الورقية من الموزع على الحائط. حتى الآن، كانت ضحكتها الصغيرة هي بمنزلة رسالة إلى أليكس عن أنها تتصرف تصرفاً طبيعياً. ستخطو في كل مرة خطوة واحدة، فهي لا تتعجل. لقد كانت في أمان، ولن يتجاوز أحد كارولين.

"إذن يا عزيزتي، هل من أسئلة؟"

عضت أليكس بقوة على شفتها السفلى لتمنع الدموع من الانهيار. بعد ذلك... وعدت نفسها بأنها سوف تبكي لاحقاً بين ذراعي باتريك ولا أحد آخر غيره.

قالت: "الشرطة... هل اتصلت بالشرطة حتى الآن؟ لا بد من إغلاق جميع المخارج. ويتعين، أولاً، التحقق من جميع الغرف. أريد الفحوص: فحص فيروس نقص المناعة البشرية، الزهري، السيلان، الحمل... الكل. لا يهمني إن استغرق الأمر الليل كله، أريد أن أعرف ماذا فعل بي".

تغيرت تعابير وجه كارولين المطمئنة، وحل محلها قلقٌ وعبوس. قالت: "ماذا تقولين يا أليكس؟ لماذا قد أحتاج إلى الاتصال بالشرطة؟".

شعرت أليكس بوخزٍ تحت عظمة صدرها. تسارع تنفسها تسارعاً كبيراً، وتسببت أطرافها المرتعشة في انزلاق الملاءة.

علمت لاحقًا أن صوتها كان مسموعًا في جميع أنحاء الجناح وعلا فوق كل الضوضاء؛ صرخات الألم والارتباك والخوف، وعترة العربات التي تحمل الأدوية إلى المهاجع، وأكثر من عشرين جهازًا مراقبة يصفرون بصوت عالٍ في أوقات مختلفة. صوتها وكلماتها تجاوزت كل ذلك.

تابعت: "لأنه اغتصبني".

الفصل الثالث

كان التعامل مع حالات الاغتصاب في قسم الطوارئ يحظى -عادةً- بدرجة عالية من الخصوصية. تحيط إجراءات من الكتمان بالوضع وتفرض نفسها على الموقف. يقوم كل من الطبيب والممرضة المناوبة ورجال الشرطة بأعمالهم دون علم أي شخص آخر في القسم بما يجري.

أما في حالة أليكس تايلور، فلم يكن هناك شخص في القسم في تلك الليلة إلا وعلم بما حدث، وسمع بما تزعم أنه قد حدث. حتى قبل انتهاء الفحص كان هناك تكهنات حول ما حدث بالفعل. وكان الرأي المرجح هو أنها أصيبت بضربة على رأسها. ربما سبب لها ارتجاجًا واضطرابًا.

في غرفة الفحص، لم يكذب كل من الطبيب الشرعي، والمحقة، ما قالته المرأة المضطربة عن حالة الاغتصاب، لكنهما وجدوا أنه من الصعب جدًا تصديق بقية ما قالته. وحدها ماغي فيلدينغ ظلت محايدة وموضوعية، مع الالتزام بواجبها المهني في الرعاية، فقد أكملت الفحص واستمعت إلى قصة أليكس تايلور الطويلة. أجابت من فورها عن كل سؤال طرحته عليها أليكس.

"اللوب موجود في مكانه يا أليكس... ليس هناك ما يشير إلى أنه تم إزالته... أستطيع أن أرى الأسلاك، كل شيء يبدو طبيعيًا."

انتظرت ماغي فيلدينغ تعليق أليكس اللاحق. ظلت متواصلة معها بالنظر، وهدت أنها ليست في

عجلة من أمرها. كانت ماغي امرأة لافتة النظر، طويلة القامة، وقوية الأطراف، ونحيفة الجسم. لديها شعز رائع بلون الشوكولا، يصل طوله إلى وسطها عندما يكون مسدولاً.

كان الطبيب الشرعي، الذي هو -أيضاً- طبيب عام، وهو نيوزيلندي يدعى توم كولينز، يحمل نظرة تعاطف دائمة. خرج من الغرفة أثناء إجراء الفحص.

تم رفع مؤخرتها لوضع المنديل الورقي تحتها، وتم تمشيط شعر عانة أليكس للحصول على أدلة. ثم تم وضع المنديل والمشط والشعر في كيس الأدلة، وتم ختمه وتوقيعه وتأريخه ومن ثم تسليمه إلى ضابط الشرطة. كما تم قش أظافرها وكشطها ووضعها في كيس منفصل، أخذت بعض الشعرات من رأسها، بصقت البلغم في حافظة، وتم الحصول على عيّنات داخلية من الفم وفتحة الشرج والمهبل، وتم سحب الدم منها. شاهدت أليكس كيف كانت ماغي تفرك عينة على شريحة زجاجية، مع العلم أنه سيتم اختبارها لكشف الحيوانات المنوية. وأخيراً، تم فحص كل إنش من جسدها للكشف عن الإصابات، والكدمات، والتمزقات، وآثار عَض أو أسنان، لتحديد هوية المعتدي عليها.

ابتعدت ماغي فيلدينغ وتم استدعاء توم كولينز مرّة أخرى إلى الداخل. قبل أسابيع قليلة فقط، وقفت أليكس في مكان ماغي نفسه الآن، وقفت إلى جانب الرجل نفسه الذي قام بسحب الدم من امرأة كانت قد تعرّضت لاعتداء من قبل عشيقها. إنه

الموقف نفسه، كلاهما محترف، كلاهما يؤدي واجبه كما قاما بتوثيق وتصوير الكدمات المتعددة. وبقدر ما كان هو قلقا، كانت هي ضحية.

وهو المهني الذي يقوم بعمله ويحاول جاهدا إخفاء حقيقة أنه يعرفها شخصا.

سألت الشرطة: "هل تظن أننا يمكن أن نمزّ بهذا مرة أخرى؟".

لقد عزّفت نفسها بهدوء على أنها لورا بيست، وعبرت لأليكس عن أسفها لما حدث، وقالت إنه ليس من الضروري أن تخاطبها مخاطبة رسمية، وستفعل لورا أيضا. سوى أن لورا لا تبدو الآن متعاطفة تماما. كان وجهها المنقش جدّيا، بدت غير صبورة بعض الشيء. كان الأربعة موجودين في غرفة الفحص الخاصة منذ أكثر من ساعة، يرضيهم الجوّ الخانق والحرارة الشديدة.

قلّبت لورا عدّة صفحات من دفتر ملاحظاتها وبدأت في القراءة: "تذكّرين المشي في موقف السيارات، والشعور بضربة على مؤخّرة رأسك، ثم وُضعت كمّامة على فمك، وربّما تتذكّرين رائحة غاز. ثم استيقظت في غرفة العمليات، ووجدت نفسك مربوطة، ساقاك مرفوعتان ومثبتتان في ركاب، وكان يوجد رجل منتحل شخصية طبيب جراح".

ردّت أليكس بغضب: "لا أعرف فيما إذا كان منتحلا لشخصية جراح، قلت إنه كان يرتدي زيّ جراح".

زمت لورا شفّتها للحظات وجيزة قبل أن تتابع: "ثم هدّد بتدبير شفّتيك معا، وأظهر لك صينية من

الأدوات الطبية، وقال إنه أزال اللولب عنك بعملية القسطرة، ثم ذهب ليخبرك أنه سيجري لك عملية "استئصال الفرج"، ونطقت الكلمة الأخيرة بصعوبة.

أجابت أليكس بنفاد صبر: "استئصال الفرج. نعم ونعم ونعم، على كل ذلك".

"ثم طرح عليك سؤالاً جعلك تظنين أنه ينوي اغتصابك. وبعد ذلك تقولين إنه قام بتخديرك".
"أجل".

"الذكرى التالية لديك هي الاستيقاظ ها هنا في قسمك الخاص".

"أجل".

"ولا يمكنك وصفه أو التعرف على صوته".

"كلًا. لقد أخبرتك أن أضواء قاعة العمليات كانت تعميني. رأيت قناعًا جراحيًا، كما لاحظت أنه كان يرتدي لباس الجراحين. لكنّ صوته... كما لو كان يتحدث بوساطة مكبر صوت، كما لو أنه لم يكن إلى جانبي. كان ذا لكنة إنكليزية، ولكن بعد ذلك بدا أنه أمريكي".

"هل هذا الطبيب الإنكليزي والأمريكي فعل كل هذا بك؟ هممم... سامحيني يا دكتورة تايلور، إذا كنت أبدو غبية أو ربّما بليدة، لكنك غادرت من هنا الساعة التاسعة والنصف ليلاً، وتمّ العثور عليك في موقف السيارات في الساعة الواحدة والنصف صباحًا".

"ما الفرق الذي قد يحدثه هذا؟".

"هذه الإبر الكبيرة، البرتقالية اللون، التي تقولين بأنه قد تم حقنك بها في الذراعين كليهما. بالتأكيد يجب أن تكون قد تركت آثار ثقب عليهما، أليس كذلك؟".

"أنت لا تسمعينني، لم تنصتي جيدًا إلى ما قلته، لقد كانوا هناك... إني رأيتهم. من الواضح أن ذلك كان جزءًا من خطته ليخدعني، فاعتقد بأنني مصابة، وأني عاجزة عن الحركة. تم التخطيط لكل شيء لكي يجعلني أتوهم أنني عاجزة عن الدفاع عن نفسي، لذلك، أنا... لذا وافقت على السماح له بأن يفعل بي ما يشاء".

ارتسمت ابتسامة صغيرة على فم الشرطة الشابة. نظرت أليكس إلى توم كولينز وماغي فيلدينغ، رأت كيف كانا يتبادلان النظرات بعضهما مع بعض. كانا يرسلان رسائل عبر الأعين، بينما تم استبعادها وتجاهلها. كان هذا ناديًا خاصًا بالمحترفين... وليس بالضحايا.

قالت لورا بيست بابتسامة: "هذه القصة ستخيفني لو أنها فيلم سينمائي".

دفع الغضب أليكس للنزول من عربة نقل المرضى المبطنة، ووقفت على قدميها الحافيتين، وبثوب المستشفى، على بُعد قدمٍ عن الشرطة بيست: "حسنًا، هذا ليس فيلمًا، لذا أزيل تلك الابتسامة عن وجهك. هذا ليس وهما! لقد تعرضت لاعتداء، وتم اختطافي... ولو لم أذعن لما أراد، لكن الآن مهتة في المشرحة".

قالت لورا بصيغة شملت كل من توم كولينز وماغي فيلدينغ في تصريحها: "أنا أسفة إذا كنت قد أزعجتك. نحن لا نقول إن هذا لم يحدث".

ثم أضافت: "نحن نحاول فقط أن نفهم. ملابسك الداخلية وأحذيتك كانت كما هي، وكل زر من ثوبك كان مزرزرا".

ثم قالت ما كانت تفكر فيه حقًا، وما كان من الواضح أنه يدور في ذهنها أثناء تلك المقابلة: "أخبرني زملاؤك أنك مررت بيوم عصيب".

نظرت إليها أليكس مستفزة، وعلقت: "ليس أكثر من المعتاد. دائمًا ما يكون يومنا في قسم الطوارئ صعبًا، أم أنك لم تلاحظي ذلك؟".

"أكثر من المعتاد... هذا فهمي للموضوع. ثرى هل تفقدين طفلًا في كل يوم؟".

"أنا... أنا... لقد كانت ميتة بالفعل عندما جلبتها سيارة الإسعاف. لم يكن هناك شيء يمكننا فعله من أجل تلك الطفلة!".

قاطعتها ماغي فيلدينغ: "أظن أن أليكس اكتفت بهذا القدر. إنها بحاجة إلى الراحة. وأظن، أيتها المحققة بيست، في المرة القادمة حين يوجد لديك مثل هذه الحالة، سيكون من المناسب أن يرافقك ضابط ذو رتبة أعلى، أو على الأقل، شخص مُدرَّب على التعامل مع الجرائم الجنسية، وأنا متأكدة من أنه سيتم إخبارك بذلك عند تقديم تقريرك".

لم تكن ماغي فيلدينغ الشخص المفضل لدى

أليكس في أفضل الأوقات. إنها طبيبة نسائية رائعة، لكنّ طريققتها فظة. أما الآن، فقد كانت أليكس سعيدة بوجودها.

قالت أليكس: "أريد باتريك. أين باتريك؟ احتاجه هنا!".

هزت ماغي فيلدينغ رأسها: "إنه هنا... إنه ينتظر في الخارج".

"حسنًا، أنا أريده! باتريك...!" ثم صرخت: "باتريك!". أخيرًا، بكت بين ذراعي باتريك. أخبرته عن ليبتها، تتخلل حديثها صرخات متقطعة. كانت صدمته كبيرة جدًا، طالب لورا بيست، منفجّرًا، بالعثور على هذا الرجل. وطالبها باستدعاء المزيد من رجال الشرطة، وتساءل لماذا لا يرى رجال شرطة يفتشون المستشفى حتى الآن. منعته أليكس من الذهاب في تلك الليلة للبحث عن الرجل. إمساكها بيديه غير راغبة في أن يتركها وحدها، وحاجتها لبقائه معها، جعلها، في نهاية المطاف، تنجح في منعه من الذهاب.

وها هي، أخيرًا، آمنة بين ذراعيه، وأخيرًا، هدأت بما يكفي لكي تنام.

الفصل الرابع

وقفت لورا بيست بالقرب من باتريك فورد. على الرغم من الليلة التي قضاها باتريك إلى جانب حبيبته، كان لا يزال يبدو أنيقًا ومفعمًا بالنشاط. بالنظر إلى حدة نظراته، فقد كان مستعدًا لاستجوابها مرة أخرى. حسنًا يمكنه الانتظار، حان الآن دورها. لم تتح لها الفرصة في الليلة الماضية لأخذ تصريح منه، بسبب تحذيه لها في العثور على الرجل الذي يرتدي لباس جراح، وحاجته لتهدئة حبيبته.

كانا يسيران حول موقف السيارات. دلها على المكان الذي عثرا فيه، هو وحارس الأمن، على الطيبة، وعلى مكان ركن سيارته. كانت على بعد بضعة سيارات فقط منه، ومع ذلك لم يتمكن من أن يراها. كان تفسيره لهذا الأمر مفهومًا. فقد وصل، وانتظر مدة قصيرة، ثم ذهب إلى القسم، للبحث عنها، فأخبروه أنها غادرت قبل خمس عشرة دقيقة من موعد انصرافها. قرّر أنها لا بد وأن تكون قد استقلت سيارة أجرة وذهبت إلى بيته؛ لأنه تأخر عليها، لذلك عاد إلى المنزل قبل أن يعود من جديد إلى المستشفى لكي يبدأ البحث عنها.

سألته لورا: "لماذا تأخرت؟".

قال باتريك فورد مستهجنًا: "لم أكن متأخرًا بالفعل. ما أعنيه أنني لم أتأخر لو أخذنا في الحسبان، المدة التي أنتظرها فيها عادة. إنها لا تخرج أبدًا في الوقت المحدد. انتهيت من الجراحة - أنا طبيب

بيطري- متأخرًا قليلًا، حوالي خمس دقائق إلى عشر، لكنني لم أكن قلقًا بلا داع لأنه كما قلت، أليكس تتأخر دائمًا. وصلت إلى هنا حوالي الساعة التاسعة وأربعين دقيقة، ربما كانت التاسعة وخمس وأربعين دقيقة".

"وفي أي وقت عدت مرة أخرى لتبحث عنها؟"

"ربما في الحادية عشرة. يستغرق الطريق إلى المنزل عشرين دقيقةً ذهابًا ومثلها إيابًا للعودة مرة أخرى. وقد بقيت أتجول في المنزل مدة ربع الساعة، تقريبًا، على أمل أن تأتي".

فوجئت لورا: "إذن، كيف استغرق البحث عنها وقتًا طويلًا حتى عثرت عليها؟"

أجاب بانفعال: "ربما كان التقاعس توصيفًا جيدًا. في البداية بحثنا فقط بين السيارات. ثم انتقلنا إلى البحث في المستشفى، وفتشنا الأجنحة لتتأكد فيما إذا كانت مع أحد المرضى. حتى عندما وجدناها مستلقية تحت الأشجار، لم تكن مرئية بشكل واضح؛ لأن المكان كان مطلقًا جدًا في الليل".

"كيف تبدو هذا الصباح؟ هل قالت أي شيء آخر؟".
هز رأسه، قائلاً: "إنها نائمة".

"هل لديك أي فكرة عما حدث؟".

رفع رأسه متفاجئًا: "ماذا تعنين؟".

هزت كتفها: "أي شيء كان... حول ليلة أمس؟".

قال بنبرة فيها تحد: "هل تقصدين أنك لم تصدقيها؟".

"لم أكن أعرف بماذا أفكر. لقد ضدمت بما سمعته. لكنني لم أشك ثانية واحدة فيما قالته لي أليكس".

بدأ يحدث فيهما باهتمام: "أفهم من ذلك أنك بحثت عن الرجل؟ هل دقت على الأقل في قصتها؟".

أومات لورا برأسها مؤكدة: "بالطبع ... نعم... لقد بحثنا في جميع القاعات والأماكن، وتحديثنا إلى طاقم الموظفين. والآن، بالطبع، شاهدنا، أنا وانت، للتو، مكان العثور عليها. لقد تكسرت الأغصان فوقها بسبب الرياح الشديدة. يوجد حطام وقطع من الأغصان في كل مكان، وبعضها ثقيل جدًا خاصة في المكان الذي وجدت فيه مستلقية. لا شك أنها أصيبت بضربة على رأسها مما جعلها تفقد وعيها".

"إذن، أنتِ تقولين باحتمال أن غصن شجرة سقط فوقها وأفقدتها الوعي؟".

ثم أضاف بلهجة صارمة: "ولكن ليس هذا ما قالته عن الحادث، أليس كذلك؟".

زمت لورا شفيتها: "ماذا عن كونها مَرّت بيوم صعب؟ سمعت أنها فقدت طفلة يوم أمس. ألا يمكن أن يكون قد أثر في حالتها العقلية؟

ضاقت عينا باتريك فورد وقال: "حالتها العقلية! أتمنى ألا تكوني تلمحين إلى أن الدكتورة تايلور غير متوازنة؛ لأنني أوكد لك أنها ليست كذلك، وإلا كنت سأعرف، فأنا أقضي معها وقتًا كافيًا. لا تسلكي هذا الطريق... إذا كان هناك تفسير آخر، فلا بد أن يكون سببًا فيزيائيًا. إنه ارتجاج في الدماغ على الأرجح.

نعم، ربما بالفعل هو نتيجة سقوط غصن شجرة على رأسها". أمعن النظر في المحققة ببرود، وأضاف: "ولكن إلى حين أن تستنفدي جميع سبل البحث عن هذا الرجل، أتوقع منك أن تقبلي ما قالته هي كحقيقة. وإذا كان هذا كل ما علينا مناقشته، فأنا قلق حتى أطمئن على حالتها".

ابتسمت لورا من خلف ظهره. إنه أكثر تأنقا مما قد يروقها. وسيم وأنيق، كما لو أنه متاهب للخروج في نزهة وليس إلى عمل. واثق بنفسه بشدة، ولكنه ليس بالشخص الذي يروقها. ومع ذلك سار الاجتماع على ما يرام، فقد تمكنت من جمع إطار زمني من شأنه أن تتصور الزمان والمكان الذي حدث فيهما ما يسمى بالاختطاف. لا شك أن الدكتورة تايلور كانت في موقف السيارات منذ مدة طويلة. لو أن صديقها قد وصل في الوقت المحدد، لما حدث شيء من هذا. ولما قضت لورا بيست الليلة في البحث في المستشفى. لن تدع فرصة لأن يقال بأنها لم تأخذ الأمر على محمل الجد. فهي طالما كانت مهنية في عملها.

في صباح اليوم اللاحق، وعندما نظرت أليكس في عيني باتريك، كانت قلقة بشأن ما يفكر به. عندما استيقظت، كان هو جالس إلى جانب السرير. لقد شبك يدها بيديه كليهما. رأت في القزحيتين الزرقاوين العميقتين لعينيه، حبه وتفهمه، وقلقه لما مرت به. وبصرف النظر عن كل تلك المشاعر، أحست بالشك -أيضا- لديه.

لم يقل أي شيء عندما نظرت إليه أول مرة. حدق فقط في عينيها، انحنى وقبلها من فمها. ضغط لطيف، ثانية من الدفء والراحة، ثم جلس جلوساً طبيعياً على كرسيه وانتظرها لتتكلم.

قالت: "لم نشرب تلك الشمبانيا".

ابتسم باقتضاب، وقال: "إنها في الثلج".

"لا بد أن الثلج قد ذاب الآن، وتكون العلامة الورقية على الزجاجاة قد تشرّبت بالماء وتفسّخت".
"ستحتفظ بمذاقها اللذيذ... وإلا، يمكنني شراء زجاجاة أخرى".

شبكت أصابعها مع أصابعه وضغطت بلطف: "كيف حال أمي؟".

"إنها تتساءل عما إذا كنا، أنا وأنت، سنذهب لتناول طعام الغداء عندها. إنها يائسة من الحديث عن الترتيبات النهائية لتنظيم حفل الزفاف".

عبست أليكس. كان هذا أطول زفاف مخطط له في التاريخ. وأخيراً، قامت شقيقتها باميليا باختيار صالة العرس، كما اختارت فستاناً، ومصوّراً، والزهور وكذلك اختارت الوصيفة. لقد تركت أليكس أمر اختيار فستان الوصيفة لأختها؛ بعد أن جرّبت دزينة فساتين ومع كل فستان تقيسه، تسمع رأي باميليا به، وبعد عبارات الإعجاب والتردد والحيرة؛ لأن كل الفساتين كانت أنيقة للغاية، فقد استسلمت أليكس وأوكلت المهمة إلى باميليا. ورأت أن ذلك أفضل من أن تقضي معظم أيام عطلتها الأسبوعية في

"قصدت كيف تشعر حيال الأمر؟".

ترك باتريك يديها: "إنها لا تعرف عن الأمر شيئًا. أظن أنه من الأفضل أن تخبريها بنفسك، في وضوح النهار. حسنا..."

جلست أليكس وعيناها تراقبان كل تعبير فيه: "حسنا، ماذا يا باتريك؟".

هز رأسه قائلاً: "قد يكون الأمر هو أنك تشعرين اليوم ببعض الاختلاف. أتعرفين يا حبيبتي، لقد أخفتني الليلة الماضية. لم أشعر بالراحة في حياتي كما شعرت بها حينما عثرنا عليك. كان الطقس مروعا. كان من الممكن أن تُدهسي وتموتي هناك في البرد".

بدأ الارتعاش المألوف مرة أخرى. أدركت أليكس الآن ما بها. إنه الهلع. ليس فقط بسبب ما حدث لها، ولكن بسبب عدم تصديقه لها. حكّت راحتي يديها بأظافرها التي قرضتها مؤخرًا في محاولة منها أن تبقى هادئة.

"أين عُثر عليّ؟".

"في موقف السيارات".

"أعني في أي مكان في موقف السيارات؟".

"في الجهة الخلفية منه تمامًا. لقد وجدناك، أنا وحارس الأمن، مستلقية على العشب، تحت بعض الأشجار. لقد سقط فرعان من الأشجار بالقرب منك، ونظن أن أحدهما قد وقع على رأسك من الخلف".

"حقًا؟! أهذا ما تظنه، هل هكذا هو الأمر؟".

بقي صامتًا وهلة ثم قال: "كلا. أقصد، نعم... من الممكن أن غصن شجرة سقط على رأسك، ولكن هذا لا يعني القول إنني لا أصدق كل ما قلتيه عما حدث. اسمعي... كارولين كاوان حجت لك لإجراء أشعة مقطعية لرأسك. أظن أنها فكرة جيدة. لا نعلم حقًا مدى قوة الضربة على رأسك. حسب تقديراتنا، كنت فاقدة للوعي لأكثر من ثلاث ساعات. إنه وقت طويل للبقاء فاقدة الوعي".

"ماذا يقول الآخرون يا باتريك؟ ماذا تفعل الشرطة؟".

"لقد بحثوا عنه، ولكن لا يوجد له أثر حتى الآن. لاكون صادقًا عزيزتي، رأيهم يتحدّثون مع زملائك أكثر من قيامهم بالبحث الحثيث عن هذا الرجل. لا أظن أنهم يعطون الكثير من المصداقية لما قلته عن الحادث. بالطبع الجميع قلق. لكن لا أظن أن الشرطة قد صدقت روايتك".

توقّف هنا، تاركًا أليكس دون أدنى شك مع ما قيل. إمّا أنها أصيبت بتلف في الدماغ أو فقدت عقلها. "وأنت؟ هل تصدقني؟".

قام من كرسيه ليجلس على حافة السرير حتى يتمكن من معانقتها. همس في أذنها: "بالطبع أصدقك". انحنى للخلف حتى يتيح لها الفرصة في أن تتمكن من رؤية وجهه، وأن الشك الذي ظنت أنها رآته في وقت سابق، قد تلاشى من عينيه. قال: "ليس لدي سبب لكي لا أصدق ما تقولين. ثم متى

كذبت علي؟".

استرخت أليكس بين ذراعيه. لقد كَبُرَتْ ونضجت لتشعر بالأمان مع هذا الرجل. لقد أثار فضولها وتحديها بالقدر نفسه. وقد تناغم شغفه للجراحة البيطرية مع شغفها بالطب البشري. كان طموحاً ومندفعاً. إنه مزيج قوي في شخص يملك -أيضاً- مظهرَ عارض أزياء. التقيا بسبب شغفه برياضة الزَّغبي. ففي إحدى المباريات، انتهى به الأمر إلى قسم الطوارئ نتيجة كسر في كاحله. لم يكن حباً من النظرة الأولى. في الواقع، كانت تظن أنه شخص مزعج. كانت معرفته بالطب على مستوى علمها نفسه، وكان يملئ شروط علاجه مطوّلاً، حتى وضعته في مكانه وقالت له، إنها هي الطبيبة، وهي من سيقدر إن كان بحاجة إلى عكازات أم لا. في اليوم اللاحق وصلت إلى القسم باقة من الزهور غير مفرطة بالخيال، وأتبعها بعرض لتناول مشروب.

عندما عانقته، امتلأت بالقلق. كانت تتألم بشدة، ولم تشعر من قبل بمثل هذا الشعور من الوحدة. من الصعب تحمّل فكرة أن الناس لا يصدقونها، وخاصة الشرطة. كتب على بطاقة مرفقة مع بالون الهيليوم الذي يطفو بجانبها: "أتمنى لك الشفاء العاجل"، شكّت أن تكون فيونا نسلته من غرفة مريض نائم. الشفاء من ماذا؟ من ضربة على الرأس؟ أم من يوم شاق في العمل؟ هل اعتقد الناس بصدق أنها يمكن أن تخلق القصة؟

ارتدت عنه، ونظرت في عينيه مباشرة، ثم

أخبرته بصراحة: "هناك قاتل طليق. هو ليس مجزّد مغتصب. هذا الرجل مريض سادي. أريدك أن تصدق أن الليلة الماضية ليست مختلقة من خيالي، أو ما حدث هو بسبب ضربة على رأسي. لقد طرحت أرضًا يا باتريك، والشيء الوحيد الذي جعلني لا أفقد عقلي هو التفكير فيك. من المؤكّد أنني لم أكن مستلقية في موقف السيارات طوال تلك الساعات. أنا كنت مستلقية بين يدي الوغد الأكثر رعبًا الذي يمكن أن تتخيله. وهل تعرف ما الذي يثيرني أكثر؟ إن الشرطة ليست مستعدة للتحقيق استعدادًا جديدًا. لا يصدّقون أن شيئًا من هذا قد حدث. لكن سأجري تصوير الأشعة المقطعية، وبعد ذلك يمكننا الفضي فُذّمًا في الاستنتاج الأكثر وضوحًا، وهو أنني فقدت عقلي اللعين".

أصرّ على أن يكون إلى جانبها أثناء إجراء الأشعة المقطعية. محتميًا بمنزّر مبظّن بالرصاص، كان يبتسم لها لأنها اختفت في نفق جهاز التصوير الشعاعي.

كانت أسئلته لطبيب الأشعة لا حصر لها، وكان يعتقد أنّ الصدمة الأخيرة في الدماغ قد لا تظهر بعد وقت قصير من الحادث. كما قال إنّ آثار حادث الأوعية الدموية الدماغية لا تظهر دائمًا ما لم يكن النزيف قد حدث بالفعل. اقترح تكرار الفحص في غضون أيام قليلة. أجاب طبيب الأشعة بصبر عن جميع الأسئلة. وأشار إلى أنّ الفحص لم يكن طبيعيًا فحسب، بل لم يكن هناك حتى كدمة صغيرة في الدماغ تظهر على الأشعة المقطعية. أرادت أليكس

أن تضحك لأنها رأت خيبة الأمل على وجه باتريك. تمنى باتريك أن يكون هناك سبب آخر غير ما حدث بالفعل. من سيلومه؟ سيكون من الأسهل عليه تقبله. بدأ باتريك متوتراً، وسرعان ما لاحظ اختصاصي الأشعة ذلك. كانت مولعة بإدوارد داونينغ. وستشعر بالأسف عندما يتقاعد في نهاية العام. إنه من المدرسة القديمة، وهو رجل جذاب، طالما كان مهذباً وبشوشاً وربما أحد أفضل أطباء الأشعة في البلاد. ضحك بجنون وغمز أليكس قائلاً: "بالطبع، هذا لا يلغي الجنون".

أجاب باتريك بجديّة، قبل أن يرى فزع أليكس: "بالطبع هذا لا يلغيه". أضاف: "أنا أمزح فقط".

ضغطت على يده بامتنان، غير قادرة على الثقة بنفسها في الكلام. سوف تتخطى كل هذا. لديها باتريك وفيونا وكارولين بالطبع... هي ليست وحيدة في هذا الكابوس.

عندما غادرا، هي وباتريك، المستشفى في وقت مبكر من بعد الظهر، أخبرها بخبطه. لقد وافق على فكرة كارولين كاوان، فقد قام بالتخلص من عبء العمل الخاص به عن طريق جلب طبيب مقيم. سوف يتمتعان بعطلة مدة أسبوع يقضيانها في مكان دافئ حيث يمكنهم الاستلقاء على الشاطئ وشرب الكوكتيلات الرائعة، وتناول الكثير من الطعام اللذيذ. ويتمكّنان من إعادة شحن بطارياتها. في حالتها الهشة، كان بإمكان أليكس فقط التفكير في سبب اندفاع الجميع بمثل هذه

السرعة لإبعادها. بشرط أن تكون متاحة إذا أرادت الشرطة استجوابها مرة أخرى، أو إذا تم القبض على ذاك الرجل. لا شك أنه عندما ترتكب جريمة، في الظروف العادية، لا يذهب الضحايا في عطلة! وهذا، حسب ما تظن، هو بالضبط السبب الذي جعل الجميع يستوعب الفكرة. أنهم فقط لا يعتقدون أن جريمة قد ارتكبت... لا يصدقون أنها ضحية جريمة.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل الخامس

بعد عشرة أيام، استقلوا رحلة خطوط فيرجن أتلانتيك الجوية للعودة إلى مطار غاتويك من باربادوس. عادا ببشرة مسمرة بعض الشيء، وكان باتريك أكثر سمنة بقليل من السابق، وفي مزاج مرح. بينما هي في مزاج سيئ. كان باتريك يلبس جوارب صفراء فاقعة طيلة الرحلة في الطائرة وحتى بعد هبوطها، وقد سخر منه طاقم القيادة عندما مرّ من أمامهم بصندله الجلدي وقال: "أكثر جوارب مريحة ارتديتها على الإطلاق". سار باتريك أمامها عبر البوابة مليئًا بالطاقة والحيوية وهو يراقب الشاشات باحثًا عن الجهاز الناقل لأمتعة المسافرين.

كانت أليكس تعلم سبب مزاجه المرح. لقد مارسا الجنس في الليلة الماضية، لا تستطيع أن تدعوه حبًا؛ لأنها لم تشعر أنها محبوبة. كان كريكًا معها في المداعبة، لقد اهتم بكل جزء في جسدها. كان باتريك قد كفّ عن ممارسة الجنس معها مدة أطول بكثير من المدة الطبيعية. لذلك كانت أليكس مستعدة تمامًا، جلدها ولحمها مسترخيان، وعظامها تذوب.

لقد كانت مسترخية حتى أثناء ممارسته للجنس معها، حتى همس لها: "هذا ليس سيئًا أليس كذلك؟ الأمر ليس كما لو... "أخذ يلهث بصعوبة: "لولب الرحم بخير أليس كذلك؟ أيمكنني الإيلاج؟".

القليل من الكلمات، لكن الألم متجذر في الأعماق.

فَسَرْتَهَا مَجْدًا: "هذا ليس سيئًا" هل يعني مقارنةً بمغتصبها المتخيل؟ كل ما قاله مخالف لمشاعره الحقيقية.

"الأمر ليس كما لو...".

"إنه الجملة" أرادت أن تصرخ: "إنه الجملة اللعينة".

"الأمر ليس كما لو أنه تمَّ اغتصابك فعلاً".

ليلة أمس، كانا قد مارسا الجنس أول مرّة منذ سبعة ليالٍ. وعزّت قلّة شهوتها إلى زجاجة النبيذ المشتركة التي قُدّمت على العشاء، وإلى أكوابٍ من الكوكتيل التي تبعتها.

كانت تندس بسرعة تحت أغطية أحد الأسرة الكبيرة، كلّ ليلة، مدّعية الثمالة والنوم، إلى أن تسمع صوت شخيره الثقيل. ثم تتسلّل خلسة عبر السلالم الخلفية للفندق ذي الطراز الاستعماري في عمارته، إلى الشاطئ الخاص بمقيمي الفندق.

مشّت على طول الشاطئ ذهابًا وإيابًا تحت عين حارس الفندق الساهرة، متمنية أن تمرّ الأيام بسرعة حتى تكفّ عن التظاهر بأنها سائحة عادية في إجازة عادية.

دفع باتريك عربة محمّلة بأمّنتهما وتوقّف عند محلّ دبليو اتش سميث: "نحتاج إلى بعض عصير الليمون أو الكوكا كولا مع شراب الروم لنهي هذه الإجازة إنهاءً مناسبًا".

قالت بفضاظة محاولة إخفاء انزعاجها: "سنشتري بعضها على الطريق".

مع أن سيارة اللاند روفر التي ذهب بها الى المطار ملك له، لم يكن هو من يقودها بكل تأكيد.

كان قد احتسى عدة أكواب من النبيذ على الطريق وطلب الجعة بين الوجبات. غط في نوم عميق أثناء معظم أوقات الرحلة، مائلاً في كرسيه، وقدماه في الجوارب الصفراء متكئتان على اللوحة الأمامية للسيارة.

حين توقفت السيارة في محطة البنزين شيبينهام 34، استفاق من نومه. ناداه، بينما كانت مثنجة نحو المبنى: "لا تنسي الكوكا كولا".

وقفت في الطابور حاملة الكوكا كولا الخاصة به، وعلبة حليب من أجل الصباح بين ذراعيها، محاولة بيأس أن تزيل موجة الاكتئاب. كان من الأسهل عليها تجاهل اكتئابها في ضوء الشمس، فكلما اقتربا من المنزل ازداد إحساسها بالخوف.

لم يبالي لنسيانه السبب الرئيس لذهابهما في إجازة معاً. يبدو أنه لشدة قلقه، قد قضى وُدْفِرْ.

من الممكن أن هذه هي طريقته في التعامل، ولكن ابتهاجه المبالغ فيه في المطار وطلبائه السخيفة مثل هذه، كانت كالمسامير في رأسها.

تنفست بعمق محاولة تهدئة نفسها.

اقتربت من طاولة الدفع في محطة البنزين، وأخذت تعالين الجرائد.

شد انتباهها الصفحة الأولى في صحيفة ويسترن ديلي بريس:

ممرضة ما زالت مفقودة

انحت مقتربة لتقرأ التقرير:

المخاوف تزداد بالنسبة للحامل ذات الثلاثة وعشرين عامًا، إيمي أبوت. الممرضة التي اختفت منذ أربعة أيام. شوهدت إيمي آخر مرة مساء الأحد في ساحة كينغسميد. مرتدية سروال جينز أزرق اللون، وقميصًا أخضر كاشف، وسترة من الجلد، عسلية اللون، هي...

قاطعتها أصوات الطنين، ثم صوت البائع يقول: "باوندان وتسعة وثمانون، من فضلك".

بعد أن دفعت المال، أخذت تترنح متهجئة نحو السيارة.

في القسط الأخير من رحلتها اتخذت قرارًا. أيقظت باتريك من نومه عندما أوقفت السيارة أمام منزله وأخبرته أنه من الأفضل أن ينام كل منهما في منزله هذه الليلة. كانت تحتاج إلى أن تنام حتى ساعة متأخرة من الصباح بسبب مناوبتها الليلية غداً، بينما سيعود هو إلى العمل في صباح اليوم اللاحق، لذا شرب الروم على الأرجح ليست فكرة جيدة. ستعيد له السيارة في اليوم التالي. قالت كل هذا بلكنة لطيفة، وتنفست الصعداء عندما لم يعترض على الفكرة. كانت قبله افتراها قصيرة، وتلويحته عفوية. وهذا ما ناسبها.

أشعلت جميع الأضواء في شقتها، وتأكدت من أن جميع النوافذ مغلقة بإحكام، وأقفلت الباب بقفلين. كانت قد اختارت أن تعيش هنا بسبب الأمان وراحة

البال. الأنترفون موصول إلى باب المدخل الرئيس وهذه نقطة إيجابية.

جلست متكئة إلى جدار غرفة المعيشة، وبيدها زجاجة روم كبيرة، الهاتف إلى جانبها تصغي إلى الرسائل التي تلققتها: ثلاث رسائل من أمها، كلها حول الترتيبات الأخيرة من أجل الزفاف في الأسبوع المقبل، رسالة من كارولين -متفائلة، مبتهجة- تتمنى لها إجازة سعيدة، بانتظار عودتها. وآخر رسالة مسجلة كانت في الساعة الخامسة والنصف: "مرحبًا، هذه رسالة للدكتورة تايلور. أنا ماغي فيلدينغ. لقد حصلت على نتائج فحصك. لا أعطي النتائج على الهاتف عادة، ولكنني متأكدة من أنك متلهفة لسماعها. كل شيء على ما يرام يا دكتورة تايلور. يمكنك التوقف عن تناول المضادات الحيوية". تخللتها عدة ثوانٍ من الصمت، ثم تابعت: "يمكنك الاتصال بي... في أي وقت تشائين. لديك رقم هاتفي في العمل، سأترك لك رقم منزلي وهاتفي المحمول -أيضًا- على سبيل الاحتياط".

أليكس لم تدون الرقم، بل قامت بحفظ الرسالة عوضًا عن ذلك. بعد تناول ثالث كوب من الروم، سحبت وسادة من فوق الأريكة، واستلقت على الأرض. كان رأسها مئكًا على الوسادة وجسدها على حائط غرفة المعيشة، نظرت بعيون جاحظة إلى مصابيح الغرفة بإضاءتها الشديدة.

باتريك لم يقل إنه لم يعد يصدقها بعد الآن، ولكن حقيقة عدم طرحه للموضوع في أي وقت إلا

في الليلة الماضية كانت توحى ببداية قول ذلك. تساءلت إن كان يظن أنها تواجه بعض الاضطرابات النفسية، وربما سيكون الخيار السهل بالنسبة لها هو الانقياد نحو التوصل إلى هكذا استنتاج. كما تساءلت إن كان زملاؤها يفكرون في شيء مماثل.

لم تعلم والدتها وشقيقتها شيئًا عن الموضوع حتى الآن، وماغي فيلدينغ منحتها فرصة للتحدث.

كانت أليكس تعلم أن مستشارة محترفة ستساعدتها على فصل الخيال عن الحقيقة. الأحلام عن الواقع. إن كانت قد تعرضت لانهايار عصبي بالفعل أم كانت تتخيل ذلك فقط. ولكنها واثقة من أنها لا تتوهم.

تذكرت ثوبها... تذكرت اللحظة التي شجبت الملاءة البيضاء عنها عندما أجلسها كارولين على العربة. كم تفاجأت لرؤيته مرة أخرى. بدأت تحقّق فيه غير مصدّقة. كانت لورا بيست قد أشارت إلى أن جميع الأزوار كانت مغلقة. كل زر... الذي كان على شكل قلب، كان مززّرًا إلى العروة المناسبة. ومع ذلك لم يلاحظ أحد أنه نظيف للغاية. من المفترض أنها كانت ممّدة في الخارج على العشب، تحت الأشجار، ربّما لأكثر من ثلاث ساعات. جميعهم أكّدوا أن الطقس كان سيّئًا، باردًا وممطرًا... ومع ذلك لم يلاحظ أحد إطلاقًا أنها لم تكن مبلّلة.

الفصل السادس

انحنت أليكس إلى الأسفل وعقدت رباط خفيها من ماركة نايك. حزمت سفاعتها الطبية ومرقاة وقف النزف. ثم ثبتت لوحة اسمها بدبوس على سترتها بالإضافة إلى بضعة أقلام علقتها على ياقبتها. وقفت أمام المرأة الطويلة، تحت سترتها الخضراء كان حزام سروالها الأخضر غير محكم. بدت مسمرة ونحيلة نتيجة رياضة الجري التي تمارسها باستمرار. كانت قد حصلت على المركز الثاني في سباقات المئة متر سنتين متتاليتين في الجامعة. نزلت إلى المركز الثاني حينما شاركت عداءة ذات ستة عشر عامًا أول مرة في السباق، وحظمت رقم الجامعة القياسي في يوم صيفي لطيف. بعد ذلك قرأت أليكس عنها كثيرًا من المقالات في الصحف، منذ تلك الأيام تابعت صعودها الخاطف لبطولة العالم إلى أن فازت بالميدالية الذهبية في أولمبياد عام 2016.

بشمرتها الخفيفة وشعرها البني الكاشف الذي بدا أنها قد غسلته للتو وربطته عند عنقها، أحست أليكس من النظرة الأولى أنها في حالة جيدة ومليئة بالحيوية. فقط تحت طبقة كريم ساتر العيوب، كان السواد أسفل عينيها ظاهرًا. كانت قد عقلت عينيها بغسول اوبتريكس لتبدوا لامعتين وترسم النظرة الإيجابية المصطنعة على وجهها. لقد ألمها خذاها من الابتسامات الزائفة.

أثناء اليوم، صارعت رغبته بتناول مشروب قوي،

ولكن في اللحظة الأخيرة، حينما كانت مرتدية معطفها ومستعدة لمغادرة الشقة، ضعفت إرادتها، فأخذت رشفة كبيرة من فودكا ابسولوت، وابتلعت مليغرامين من عقار الديازيبام. إن لم تتوخ الحذر، قد تصبح هذه عادة تلازمها. لقد شربت الكحول في كل يوم منذ ليلة اختطافها. الشرب أثناء العطلة كان مسوغًا. لكن يجب ألا تتكرر هذه الرشفة التي تسبق الذهاب إلى العمل. عدتها إجراء، ولمرة واحدة، من أجل تعزيز الثقة بالنفس التي يسببها الكحول.

أخذت نفسًا عميقًا. كانت مستعدة كما لم تكن قط. غادرت غرف تغيير الملابس وخرجت إلى ممر القسم.

إنها ليلة يوم الجمعة، والمكان مكتظ بالناس، ولكن لم يرمقها أحد بنظرة. على اللوح الأبيض الخاص بالمرضى المقيمين، كان اسم المريض مدونًا في كل حجرة. في نهاية الممر، تقوم فرق الإسعاف بنقل المرضى. تفقدت حاسوبها بسرعة وتبين لها أن قسم الحالات غير الخطيرة -أيضًا- مشغول. رأت ناثن بيل وراء الحاجز الزجاجي الطويل لمكتب الطبيب، كان يأكل الدوريتوس ويدق لوحة المفاتيح. ذهبت إليه لتسأله إن كان جاهزًا لتحل محله في المناوبة.

كان نحيلاً جدًا وطويل القامة غير قادر على الثبات حتى وهو جالس. يربت على الأرض بقدمه اليمنى باستمرار، ركبته ووركه يرتعشان، هكذا كان يهضم كل الطعام السريع الذي يتناوله.

إنه يعمل في هذا القسم منذ سنة، وقد أثبت أنه

طبيب جيد، ولكن المرضى كانوا يخجلون منه. يحمل على الطرف الأيسر من وجهه بقعة حمراء كالنبيذ. تساءلت أليكس إن فكر ناثان بإمكانية إزالة البقعة بعلاج الليزر.

"ساكون معك أثناء دقيقة، ولكن لا داعي للعجلة فأنا باقى هنا حتى منتصف الليل".

سألته أليكس: "لماذا؟ هل يوجد أحد في إجازة مرضية؟".

هز رأسه نافيا وعيناه لا تزالان على شاشة حاسوبه، يراجع نتائج تحاليل دم مريض: "كلا. تظن كارولين أنك قد تحتاجين بعض الدعم في يومك الأول بعد عودتك من الإجازة".

قالها بشكل مباشر وصريح، مع أنها تشك في أن كارولين لم تكن تريد أن تعلم بهذا. حقيقة الأمر أن كارولين كانت قد طلبت من ناثان ذلك لتجد سبباً وجيهاً يبقونها ساعات إضافية. كان ناثان يستطيع القول لأنها ليلة جمعة، والمكان مزدحم جداً ويمكنه استغلال الوقت. ولكن ناثان لم يكن يجيد الخداع، كان صريحاً وصادقاً.

كانت على وشك القول إنه لا حاجة لبقائه، عندما ملاً صوت جهاز الاستقبال الحاد الغرفة.

قال ناثان: "أنا سأتبعك حالاً. امهيني دقيقتين فقط".

كانت فيونا وودز في مركز تلقي الاتصالات، تحمل جهاز الاستقبال في إحدى يديها، وقلماً في اليد

الأخرى، تتهياً لتدوين المعلومات التي تتلقاها من المسعف. التزم زملاؤها الصمت لكي تستطيع سماع المتصل بشكل أكثر وضوحاً. حتى إن بعض المرضى والزائرين توقّفوا في مكانهم ليستطيعوا السماع أيضاً.

قالت فيونا بهدوء ووضوح: "قسم الطوارئ يستقبل". كانت تسريحة شعرها الجديدة فضيحة، جدائلها الفرنسية مربوطة بإحكام حتى إن جلد صدغيها كان مشدوداً. كانت في صراع مستمر مع شعرها المجعد. أليكس متأكدة من أن فيونا سثصاب بصداع في نهاية مناوبتها في هذه التجربة الجديدة.

"لدينا شابة فاقدة للوعي في الموقع. مقياس غلاسكو للغيبوبة الآن 12. ضغط الدم 85. معدل دقات القلب 110. معدل التنفس 40. تشبع الأكسجين في الدم 99%. لديها نزيف في سروالها الجينز، إما أنه شرجي أو مهلي. حوّل".

ضغطت فيونا زر الإرسال: "هل يمكننا أن نعرف إن كانت حاملاً؟ حوّل".

"غير محدد. لدينا جواب شفوي غير مترابط. ليست لدينا معلومات مدوّنة في سجلها الصحي. حوّل".

"كم يلزمك للوصول؟ حوّل".

"أربع دقائق. نحن في ساحة المستشفى. إنها صامدة حتى الآن".

"شكرا فريق 534. قسم الطوارئ في حالة استعداد".

توجهت أليكس إلى قسم الإسعاف ومعها فيونا. عندما دخلنا إلى غرفة الإنعاش، قامت فيونا بإعلام الممرضات عن الحالة القادمة بإيجاز.

فيونا متمرسة في عملها. بعد سبع سنوات من العمل في هذا المجال، كانت تعلم الكثير عن الإسعاف. ارتدت أليكس في عجلة مريولاً أخضر اللون وقفازين من البلاستيك. ثم ذهبت إلى الحجرة رقم 2 لتتفقد المعدات. وهي أقرب حجرة لسيارات الإسعاف، ولهذا كانت الأكثر استعمالاً. بناءً على ذلك، من الضروري أن يتم تفقدها قبل وبعد معالجة كل مريض. وراء عربة المرضى توجد معدات معلقة على لوح. بنظرة خاطفة تأكدت من وجود كل شيء في مكانه، لكنها، وبكل الأحوال، تفحصت كل أداة على حدة. قامت بالتفقد في أقل من دقيقة، ثم توجهت إلى بقية المعدات: أسطوانة الأكسجين، كيس الإنعاش الذي يستعمل للمساعدة في التنفس، وهو مزود بقناع مثبت بشكل محكم. ضغطت عدة أزرار فأقلعت شاشة جهاز تخطيط القلب وأخذت تطلق صفيراً.

في القسم الآخر الذي كان يفصل الحجرات بعضها عن بعض، كان ناثن يُخرج حقناً ويضعها فوق الطاولة. ملأ بعضها بمحلول السالين، وترك بعضها فارغة لسحب الدم. علقت فيونا وودز وممرضة أخرى، كيسين بسعة ليتر من السوائل الدافئة. كان

جهاز الأشعة السينية ومختبر التحاليل جاهزين، وفي حالة انذار من الدرجة الثانية. كل شيء كان قيد التجهيز. كن مستعدًا، انتظر، استعد لما هو غير متوقَّع.

سال دمها عبر الغطاء الأبيض، ملوًا جزءًا منه بأحمر غامق. كان ينقط على جانبي العربة وعجلاتها، والآن على الأرض أيضًا. بدا وجهها تحت قناع الأكسجين أبيض شاحبًا. كانت ترمش بجفونها وتهذي باكية. أثناء الدقائق القليلة التي استغرقتها حتى وصلت إلى المستشفى، تدهورت حالتها تدهورًا خطيرًا. كان النزيف مستمرًا لا يتوقَّف.

حتى عندما نقلوها، أمسك ناثن بيل ذراعها اليسرى وربطها بعصابة وقف الدم، ثم أدخل الإبرة. تم ربط كيس السوائل ووضع حوله كيس ضغط لضخه بشكل أسرع.

"هل يوجد لدينا معلومات عن سجلها الصحي؟ صدمة؟ أي شيء؟" سألت أليكس بسرعة وهي تفحص جسدها لإجراء تقييم فوري. لقد خسرت الكثير من الدماء. كان وجهها الشاحب وأصابها البيضاء تنذر بالخطر.

ردّ المُسعِف: "لقد كانت مكالمة إسعافية، عُثر عليها في ساحة المستشفى تحاول الاستنجاد بأحد. الزوجان اللذان عثرا عليها قالا إنها كانت تنن، ثم انهارت فاقدة للوعي غير مستجيبة. ولكنها في سيارة الإسعاف بدأت تنن مجددًا."

"هل عُرف اسمها؟"

"لم أتفقد جيوبها. لم تكن تحمل حقيبة، ولكن من المحتمل أن نجد شيئًا في جيوب معطفها".

كانت المرأة تصدر صوتًا من أسفل حلقها، همهمة عميقة، وهذا لم يعجب أليكس. كانت المشكلة داخلية تمامًا. مؤشر مقياس غلاسكو للوعي في انخفاض.

أخرجت فيونا وودز مقصها بينما أزالتممرضة أخرى الغطاء المنقوع في الدم. كان سروال المرأة الجينز مشبعًا بالدماء عند منطقة الفخذ حتى أسفل الركبتين. حتى سترتها الخضراء كانت قد امتلأت دمًا.

مزقت فيونا ملابسها بحذر، وقالت بسرعة: "إنها تنزف بشدة، لن أدخل جهاز القسطرة. وهناك تخثر دم في سروالها".

ابتعدت أليكس عن رأس العربة المتحركة وتفحصت ما وجدته. دم متخثر داكن اللون ممزوج بخيوط بيضاء. قالت: "تبدو كمادة جنينية. ضعيتها في وعاء طبي. أعلنني عن الحاجة الماسة إلى طبيب توليد وطبيب نسائية". جلب هذا النداء أطباء آخرين أيضًا، طبيب التخدير وجراحًا عامًا.

"لدينا حالة متفاقمة جدًا... هناك نزيف... أريد المزيد من المساعدين هنا حاليًا".

على مدى العشرين دقيقة التالية، تم ضخ الكثير من السوائل والدماء في جسد المرأة. ظلت تحت المراقبة إلى أن وصلت المساعدة العاجلة التي طلبتها أليكس. وتمت السيطرة بسرعة على الوضع

لنستقرّ الحالة وتصبح مهياة للعلاج.

كان طبيب التخدير يتها لتخدير المرأة. جميع الموجودين متوثرون وهم بحاجة لنقلها الى خارج غرفة الطوارئ بسرعة، حتى تتم معرفة سبب النزيف، ايا كان، وإيقافه.

كانت ألكس واقفة بمحاذاة العربة تجهز جهاز التنفس الاصطناعي، عندما لمحت شفتي المرأة تتحركان تحت قناع الأكسجين. انحنت مقتربة من وجه المريضة، وعلى هسهسة الأكسجين، تكلمت بهدوء، مستخدمة كلمات مشابهة لتلك التي استخدمتها كارولين معها: "مرحبًا عزيزتي... اسمي ألكس وأنا طبيبة... أنت هنا في أمان... في المستشفى... سوف أقوم بمساعدتك... هل تستطيعين أن تخبريني ما اسفك؟".

رقت جفون المرأة، ثم حدقت بعينيها الزرقاوين. لاحظت ألكس فيهما تركيزًا طبيعيًا، وكانت في وعيها، ابتسمت بدفء للمرأة المصابة إصابات خطيرة، قالت لها: "مرحبًا حبيبتي، هل تتحدثين إلي؟".

كان صوتها خافتًا، وتتنفس بصعوبة. انتاب ألكس إحساس أن المرأة لن تنجو. قد تكون هذه آخر مرة تتكلم فيها. تجاهلت ألكس طبيب التخدير الذي أشار إليها بأن تبعد حتى يستطيع أن يشرع بالتخدير.

"قولي لامي إنني أسفة... أخبريها أنني أحبها... أنا غبية جدًا... أنا...".

كانت تلهث، فقامت أليكس بتغيير قناع الأكسجين بسرعة.

اقتربت فيونا منها مبتسمة للمصابة. قالت بنبرة لطيفة ولكن حازمة: "من الضروري أن ننقلها من هنا حالاً يا أليكس".

مستت أليكس جبين المرأة: "سوف أخبرها عزيزتي، ولكنك سوف تتحسّنين وتخبرينها بنفسك".

صاحت فيونا وهي تصرّ على أسنانها: "أليكس!".

قالت ماغي فيلدينغ بهدوء، وبطريقة تؤكّد لأليكس خطورة الوضع: "يجب عليك أن تدعي طبيب التخدير يقوم بعمله يا دكتورة تايلور".

نظرت أليكس إلى أعضاء الفريق الطبي حولها وقد نفذ صبرهم. قالت ماغي باسم الجميع: "دكتورة تايلور... يجب علينا مساعدتها!".

جحظت عيناها وكانتا مليئتين بالخوف: "قلت إنك ستقومين بمساعدتي. أنت... أنت..."

انقلبت عيناها إلى الورا، ثم همست آخر كلماتها: "كان يجب أن أقول نعم...".

الفصل السابع

لم تأت عائلتها بعد حتى يتعرفوا منها على هوية المرأة، ولكن عُثر في محفظة في جيب سترتها الجلدية على بطاقة مصرفية من ناشيونال ويستمنستر بنك، وبطاقة ائتمان. وقد عرفوا من خلالهما أن اسمها إيمي أبوت.

تم إعلان وفاتها قبل ساعتين، وحتى الآن لم يتم نقلها من غرفة الإنعاش. لن تنقل إيمي أبوت عبر ممز المشرحة، فقد كانت سيارة الإسعاف السوداء الخاصة بالموتى تقف في الخارج جاهزة لأخذها. وضعت ملابسها في كيس، مع نسخة عن تقرير طبي. بعد أن خضعت جثتها للفحص بشكل نهائي. وقف شرطي بالقرب من العربة ليحرسها حتى يحين الوقت لنقلها.

أرادت أليكس أن تمسح شعرها الداكن، وتغسل يديها الملطختين بالدم، وتزيل أنبوب مجرى الهواء البشع الذي يبرز من فمها، لكنها لم تفعل. فلم تعد إيمي أبوت مريضة لديها. كانت الآن في رعاية الطبيب الشرعي. سيتم تشريح جثتها، ونزع الأعضاء من جسدها، ويتم تشريح وفحص مجهري لكل منها حتى يتم تحديد سبب الوفاة.

ظلت أليكس، منذ ساعة، واقفة في المكان ذاته. كانت بعيدة عن طريق الشرطة، لكنها قريبة بما يكفي لترى وجه إيمي. لم تكن ملامحها تحمل أي سلام، عيناها مفتوحتان على اتساعهما في حالة دهشة، وشفثاها فاغرتان بوساطة قطعة البلاستيك

الضرب في فمها.

وصل ضابط شرطة بملابس مدنية، شاهده
أليكس واقفاً في إحدى الزوايا، وهو يتحدث إلى
ناثان بيل وماغي فيلدينغ واختصاصي التخدير.
نظر باتجاهها وأوماً مخفياً إلى أنه يعرف من تكون.
استلم طبيب التخدير معظم الحديث، لَوْح بيديه
مرتين في اتجاهها، وبدت على وجهه علامات
الصرامة، كما لو أنه يلوم أليكس على موقفها.

بعد كلمات إيمي أبوت الأخيرة، سرعان ما تصرف
طبيب التخدير مع أليكس بخشونة، حيث دفعها
جانباً وتولّى الأمر. لقد حاول إنعاش المرأة مدة
ثلاثين دقيقةً أخرى، بينما كان ناثان بيل يقوم
بإجراء حركات الضغط على الصدر. عندما قالت
أليكس إنهم بحاجة إلى استدعاء الطبيب الشرعي،
وافق بهدوء. كان لا بدّ من الإبلاغ عن أي حالة
وفاة مفاجئة، أو لسبب مجهول، ولكن عندما
أعلنت أليكس أنها تظن أن إيمي قد ماتت مقتولة،
ارتفع حاجباه في دهشة، وسمعته بشكل واضح
وهو يقول من خلال صرير أسنانه: "يا إلهي... إذن،
أنت هي...". ممّا ولد بعض الشك لدى أليكس أنها
أصبحت حديث الجميع، وأنه قد سمع عن حادثة
اختطافها. ومن طريق لهجته تبين أنه مشكك في
الأمر.

كانت فيونا وودز والممرضات الأخريات يراقبن
المشهد بارتباك من بعيد. كان ناثان بيل ينقر بقدمه
على الأرض، ويعبث بالمعدات على المنضدة.

لكن ماغي فيلدينغ فاجأت أليكس بذريعة إيقاف الأكسجين خلف ظهرها. ضغطت على كتف أليكس وواستها ببعض الكلمات قائلة: "لقد فعلتِ كل ما بوسعك".

تقدّم الضابط ذو الشعر الأشيب نحوها وقال: "دكتورة تايلور؟ اسمي غريغ تورنر. أنا مفتش المباحث. هل يمكننا أن نجد مكانًا هادئًا نتحدث فيه؟".

لاحظت أليكس بقعةً تلتخّ ربطة عنقه الغامقة، كما كانت ياقة قميصه الأبيض مجعدة في أطرافها. ربّما، لم يكن قد تجاوز بداية الثلاثينيات من عمره، ولكن اللون الرمادي كان يتخلّل شعره المتموّج الداكن، وأحاطت الخطوط بعينه الخضراوين المتعبتين.

نزعت القفازات المطاطية من يديها، ثم دسّتها في جيبها. اتجهت أليكس إلى أقرب غرفة هادئة. غاصت جالسة في إحدى الأرائك المنخفضة، وحذا هو -أيضا- حذوها، تاركًا فقط عدّة بوصات بين ركبتيهما. أسند يديه إلى حضنه وقال: "لماذا قررتِ الاتصال بنا؟ هل لأنك كنتِ تعلمين أنها اختفت؟ وهل كنتِ تعلمين أنها إيمي أبوت؟ وأنها ممرضة عملت في هذا المستشفى؟".

تنحنحت أليكس قليلا، محاولةً البحث عن كلمات مناسبة، ثم نطقت كمحترف يحاول المساعدة: - لم أكن أعرف من هي إلا بعد وفاتها. بعد ذلك قمت بإجراء المكالمة. سمعتُ أنها كانت تعمل هنا، لكني

لم أقابلها من قبل. إن ما قالته هو الذي جعلني أئصل بك.

فدفعه صمتها إلى أن يطلب منها التوضيح: "وماذا قالت؟".

"لم تتمكن من قول الكثير. كنا نستعد لتخديرها عندما رأيت أنها تحاول التحدث. طلبت مني أن أخبر والدتها بأنها آسفة، وأنها غبية. ثم قالت: "كان يجب أن أقول نعم"".

كان من الصعب قراءة تعابير وجه غريغ تورنر. عيناه لم تفصحا عما يفكر به، ولا عن سؤاله التالي: "وشعرت أن هذا سبب كاف للاتصال بنا؟".

"نعم".

"لماذا؟".

أسندت أليكس ظهرها إلى الكرسي، متمنية لو أن الغرفة أكبر لكي تستطيع النهوض لتجول فيها. لكان من الأسهل عليها أن تتحدث وهي واقفة، من أن تكون جالسة بالقرب من الرجل.

"قبل أسبوعين حدث معي شيء ما، شيء لا أظن أن محققتك صدقته. كنت ذاهبة لأقابل صديقي باتريك في موقف السيارات. وكنت قد انتهيت للتو من مناوبتي المتأخرة. خرجت، وعندما ذهبت إلى هناك، وجدت نفسي بين يدي رجل. أنا كنت... اسمع... قد يكون من الأفضل لو تتحدث مع المحققة بيست. ستجد لديها كل التفاصيل. أنا... أه... ليس لأنه يصعب علي التحدث عن الموضوع، ولكن...

حسنًا... بصراحة... لست متأكدة من أنك ستصدق ما سأقوله".

وبشكل غير متوقع، انهمرت الدموع على وجهها. سحب غريغ تورنر بعض المناديل من علبة قريبة وأعطائها إياها، ثم قال: "حسنًا، من الواضح أنك واثقة من ذلك. إذا لم يكن لديك مانع، أنا أفضل أن أسمع منك أولاً".

على مدار نصف الساعة التالية، أخبرته أليكس بكل شيء بالتفصيل، حتى عن الأشعة المقطعية التي أجريت لها، وكذلك عن الإجازة في بربادوس. كان ردّه الأول: "وهل هذه أول مناوبة عمل لك بعد عودتك من الإجازة؟".

قالت: "نعم".

"ألا تظنين أنه ربّما كان من السابق لأوانه أن تعودى للعمل؟".

أغمضت أليكس عينيها في إحباط وتنهّدت بخيبة. قال غريغ: "دكتورة تايلور، سواء حدث ذلك بالفعل، أم لم يحدث، فأنت طبيبة. هل كنتِ لتنصحين أي شخص مَرَّ بظرف مشابه، بالعودة إلى العمل بهذه السرعة؟ لقد مررت بتجربة مقلقة للغاية".

عدلت أليكس جلستها لتشدّ كتفيها إلى الخلف وترفع ذقنها إلى الأعلى، ثم قالت: "هذا ما قالته إيمي... وهو قال لي العبارة ذاتها".

قال غريغ: "يا دكتورة تايلور، إن كلماتها يمكن أن تعني أي شيء. كلمة "نعم" خاصتها يمكن أن تحمل

عدداً من المعاني. سوف يتم إجراء عملية التشريح هذا الصباح. في هذه المرحلة من الأفضل انتظار النتيجة. سيكون لدى والديّ إيمي أبوت ما يكفي عندما يعلمان عن وفاة ابنتهما. إن إخبارهما أنها ربما توفيت مقتولة أمر غير وارد. عندما أعود إلى مركز الشرطة، سأراجع التقرير الذي قدّمته إلى المحققة بيست، وسأتحقّق من كيفية سير الأمور حتى الآن. سأتصل معك عندما يستجد أيّ شيء. في غضون ذلك، أودّ أن أقترح عليك ألاّ تنشري أيّ شائعات بشأن ما حدث الليلة. فهذا لن ينفع والديّ إيمي، ولكي أكون أكثر صراحة، فهو لن ينفعك أنتِ أيضاً".

أحسّت أليكس بالشجاعة الكافية لتسأله: "هل صدقتني؟".

كان واقفاً يعدل سترة بذلته ويزرّ الزرّ الثاني، حين قال: "لقد مررتِ بوقتٍ عصيبٍ يا دكتورة تايلور. وربما عودتكِ إلى العمل كانت مبكرة. أنا متأكد من أنّ زملاءك سيتفهمون حاجتكِ إلى مزيدٍ من الوقت". ابتسم لها بأدبٍ وأضاف: "لديك عملٌ صعب. لا شك أنّ عملك شاقٌّ، ترين من خلاله المزيد من آلام الآخرين، فتؤثر تلك الآلام فيك أيضاً. امنحي نفسك المزيد من الوقت، لم لا؟".

الفصل العامن

كانت بشرة يديها محمزة، وأصابعها متورمة. منذ وصولها إلى المنزل، وهي جالسة على حوض الاستحمام، رافعة ركبتيها وقد لفتها بذراعيها. كانت ملابسها مبللة وملتصقة بجسدها المرتعش، وعيناها تحترقان من الدموع التي ما زالت تنهمر على خديها.

على صوت رذاذ المياه الثقيل، سمعت رنين الهاتف عدة مرّات. عرفت أنها إما فيونا، أو كارولين، لأن كارولين لا بد أن تكون قد عرفت بما حدث معها في القسم. لم تكن مستعدة بعد للتحدّث معهما. فمن المؤكّد أنّهما لن تصدّقاها، فما الفائدة من الحديث، إذن؟ حاول ناثن بيل منعها من الذهاب في الليل، لكن أليكس كانت مصمّمة على مغادرة المكان. حيثما نظرت كانت ترى القلق والارتباك على وجوه الموظّفين. حتى فيونا وودز عانقتها عناقًا طويلًا، وبعد أن أبدت اهتمامًا، أشاحت عنها بصرها في سخط. حاولت أليكس أن تفسّر موقف صديقتها. إنّهما صديقتان مقرّبتان، وليس مجرد زميلتين، كل منهما دعمت الأخرى في الأوقات الصعبة، كل منهما بكت على كتف الأخرى... بكتا معًا في اللحظات العصيبة، خاصة عند موت أحد اليافعين في القسم، كانتا تدفنان حزنهما وتتملان. فيونا واحدة من القلائل الذين كانوا على علم بما مرّت به منذ ثلاثة عشر شهرًا. ولكن يبدو أنّها قد نسيت كل هذا. ومن قد يلومها؟

لقد شهدت الليلة الصعبة التي قضتها أليكس في القسم، وحينها تسببت للجميع بالتأخر في المستشفى. عندما اقترح ناثن بيل استدعاء كارولين، انقلب حال أليكس. كان غضبها جامحًا، حتى إنها أطلقت كلمات بذيئة في غرفة الموظفين.

ضدم ناثن، وتراجع عنها بحذر، في حين منعت فيونا أي أحد من الدخول إلى الغرفة. وجهه الأحمر كما لو أنه ملطخ بالشمندر، والذي بدا بنفسجيًا أكثر مما رآته في أي مرة مضت، جعلها تتجفد ساكنة، وقد أثار الموقف اشمزازها حتى هرعت باتجاه الباب. أثناء خروجها الأهوج، تعثرت بنبتة اليوكا وقلبت صينية الشاي، تاركة خلفها المزيد من الفوضى وكلمات كفر.

تساءلت كيف أصبحت حياتها بهذا الشكل؟ التقطت القطع المتناثرة وانتقلت تاركة هذا الموقف العصيب خلفها. مع مرور كل شهر جديد، كانت تمسك منبها الشخصى بإحكام أقل، وتأخذ صور شعاعية أقل. حتى التقت باتريك، تلاشى خوفها تدريجيًا، ومع مرور تلك السنة، كانت سعيدة لأنها اتخذت قرار البقاء في باث، ولم تعد إلى مستشفى كوين ماري. لقد أصبح الأمر ذكرى بعيدة، ذكرى ظنت أنها لن تتكرر. أما الآن، وبعد ثلاثة عشر شهرًا، عادت لتواجه شيئًا أسوأ بالف مرة.

الأمر الآن مختلف. هذا الرجل لم يرض بأخذ امرأة بالضد من إرادتها. أراد أن يحس ويتذوق طعم الدم على يديه. إنه هناك، ما زال طليقًا، وربما الآن

يختار ضحيته التالية. بينما الشرطة غير مستعدة لتصدق حقيقة وجوده. كيف يمكن ذلك؟ هل هي ضحية لا تُصدق؟ فقد كانت تتعرض للسخرية من خلف ظهرها. أصبحت معروفة في جميع أنحاء المستشفى باسم "هي"، تذكّرت الملاحظة التي أبدتها طبيب التخدير. شكّت أليكس، هل يعني بـ "هي": "المرأة التي فقدت عقلها".

كانت تتمنى لو أنها بالفعل فقدت عقلها. تمت لو كان الأمر انهيارًا؛ لأنه حينذاك ستكون لديها فرصة لإعادة جمع نفسها مرة أخرى، والاستمرار في حياتها بدلاً من الخيرة والتساؤل عن سبب إبقائها على قيد الحياة. لماذا تركها تعيش في شك، لا تعرف ما إذا كانت قد تعرّضت للاغتصاب أم لا. لم يتم العثور على آثار على جسدها. لا توجد كدمات أو علامات داخلية على فخذيها، ولكن هذا سوف يعني بالنسبة لها، أنها لم تبدِ أي مقاومة! من المؤكّد أنّه جعلها فاقدة للوعي، ولم تكن لديها وسيلة لمنعه، أو معرفة ما فعله بها. أم أنّ هذه كانت خطته منذ البداية؟ فقط، لكي يجعلها تعتقد أنها ستموت، أو سيتم اغتصابها؟ إنه أمرٌ فظيع... رجلٌ سادي يحقق هدفه. أيًا كانت دوافعه، فإن حياتها الطبيعية قد انتهت، واستبدلت بشيءٍ لا يمكن أن يشبه أي حياة طبيعية. كانت تستعيد الأحداث في ذهنها كل يوم. تستعيد محاولاتها البائسة للتفاهم معه. وكيف كانت طوال مدة وجودها مستلقية هناك، تتصوّر أنها محاصرة وجريحة ولا حول ولا قوة لها.

كانت تتخيل، أكثر من أي امرأة أخرى، ردة فعلها إذا ما واجهت رجلاً كهذا... لقد تخيلت الصراخ الذي ستطلقه، والخدوش والعضات التي ستصيبه بها، وكيف ستقاومه. وفي المشهد الأخير، دوماً كانت تجري، وترى ضوءاً، وترى شخصاً مستعداً لمساعدتها، ثم ترتاح، وتنهمر دموع الارتياح من عينيها بوجود الجميع من حولها، وهم يحمونها ويصدقونها.

كانت شجاعة. إنها إحدى الناجيات. هي امرأة يمكن أن تفعل وستفعل أي شيء عندما تواجه شيئاً فظيماً لا يمكن تخيله.

ليس بعد الآن.

التقطت زجاجة الفودكا وأخذت جرعة أخرى. ما دامت لن تعود إلى العمل هذه الليلة، فما الفائدة من البقاء صاحبة؟ فهذا يساعدها على الأقل على النسيان.

الفصل التاسع

كانت تلبس في قدمها نعالاً من الجلد الأزرق، ووثوب الجراحة فوق بزة رياضة. مرّت عبر بهو الاستقبال، لم تشاهد أحداً، لكن لم يكن ذلك مفاجئاً لها، فالوقت هو منتصف الليل، ولم يكن موظف الاستقبال قد التحق بعمله بعد.

بعد أن فرّت من تحت رشاش الحقام، إذ بدأ الماء يصبح بارداً، قرّرت التوقّف عن الشرب والعودة إلى المستشفى قبل أن تخذلها الشجاعة، فتستسلم لقرار عدم العودة.

دخلت مباشرةً إلى غرف العمليات. أرادت أن تلقي نظرة عليها ليلاً، حيث كانت أقلّ ازدحاماً داخل المكان وخارجه. وكذلك لكي تستقصي إمكانية وجود طريقة لكي تُنقل إليها، في تلك الليلة، دون أن يلاحظ أحد ذلك.

حتى الآن بدأ الأمر ممكناً تماماً.

كان يوجد عند كلّ مدخلٍ من مداخل المبنى بعض الكراسي المتحركة، جاهزة للاستخدام. وفي ممر الطابق السفلي، في الساحة الرئيسية كان هناك عددٌ من العربات المصفوفة. لو تمّ وضعها على واحدة من تلك العربات مغطاة ببطانية، وتم دفعها من قبل شخص يرتدي ملابس العاملين في غرفة العمليات، حينها لن يلفت انتباه أحد ليعترضه أو يستجوبه.

إذا استوقفها أحدهم في الممر، فسيتعين عليها أن تقدّم تفسيرًا. بينما في حال ارتدت ثياب العاملين

في قسم آخر، وتعرّضت للاستجواب، يمكنها أن تدّعي أنها كانت تجلب شيئاً ما.

في غرفة العمليات رقم 2 كان يتم إجراء عملية جراحية. اللوحة الضوئية التي تحمل التحذير "قيد الاستخدام" فوق الباب المزدوج، كانت مضاءة. وتساءلت إذا ما كان المريض الموجود في تلك الغرفة قد تم تحويله من قسم الطوارئ. وهل ناثن بيل قضى بقية الليل هنا، أم أنه استدعى شخصاً ما، ربما كارولين، لتحلّ مكانه.

كان المستشفى يضمّ ثمانى عشرة غرفة عمليات: ثمان منها في المبنى الرئيس، وخمسة في قسم الجراحة اليومية، وثلاث في قسم التوليد، واثنان، الآن، زائدتان عن الحاجة. كانت الغرف المغلقة هي غرف جراحة قديمة، التي يتم استخدامها بمثابة عيادات خارجية. وهناك شائعات تدور حول الغرف المغلقة ذات الطراز الفيكتوري، التي لم تكن قد رأتها من قبل. تقع تلك الغرف تحت مستوى الأرض، ويتعدّر الوصول إليها. إنها مغلقة ليس فقط أمام العامة، إنّما أمام العاملين أيضاً.

سرت شائعات أن المياه غمرتّها قبل مئات السنين. وبدلاً من ترميمها، شُيّدت مبانٍ جديدة فوق مستوى سطح الأرض. تساءلت وهلة عما إذا كان الأمر يستحقّ استكشافها، والتحقّق من مدى عدم إمكانية الوصول إليها بالفعل. ومفّن يجب أن تحصل على الإذن للدخول إليها. كانت القاعة التي وُجدت فيها حديثة، تضحّ بأصوات الشاشات والأدوات وهسهسة

أجهزة الأكسجين. سوف تبحث أولاً في الأقسام الحديثة.

أثناء عبورها من خلال الممر، ألقت نظرة سريعة على جميع القاعات وأجرت مسحاً للأسقف والمناطق المحيطة بها بعين فاحصة، لكنها لم تزمأ كانت تبحث عنه. عندما اقتربت من القاعة الثامنة، سمعت صوت عربة، فاختبأت بسرعة. أرهفت السمع لتعرف أين تسير العربة تماقاً، بينما أبقت عينيها مثبتتين على لوحة نحاسية معلقة على جدار الممر، وهي عبارة عن لوحة تذكارية للقسم، كما لو كانت الكلمات المكتوبة فيها تسخر من محنتها:

نور كل أعمال الخير أبدي.

ماذا عن ظلام الأعمال الشريرة؟ هل هو أبدي أيضاً؟ أم أن على المرء أن يغفر لتلك الأعمال من أجل عبور البوابات اللؤلؤية؟ اغفر لمن يخطأ بحقك، وستحصل على بطاقة دخول مجانية إلى الجنة.

اغتنمت الفرصة وألقت نظرة إلى الممر، وحين لم تجد أحداً، غادرت مخبأها متجهة نحو القاعة الثامنة. دفعت الباب المزدوج وتسللت إلى حجرة التخدير. كانت غرفة صغيرة إلى حد ما، تتسع بصعوبة للمعدات اللازمة لطبيب التخدير لكي يقوم بالجزء الأول من عمله أو عملها. كانت خزائن الأدوية المخدرة مغلقة، وطاولة العمل موجودة على جانبي عربة طبية، بالإضافة إلى جهاز تخدير صغير. دفعت الدرفة الثانية من الباب المزدوج ثم دخلت إلى غرفة العمليات.

كانت توجد على الجدار لوحة من الفولاذ، وهي عبارة عن وحدة تحكم تحوي عشرات المفاتيح والمقابس والمصابيح الزجاجية المدمجة لعرض الأشعة السينية. تركت أليكس الأضواء مطفأة، واثجعت إلى طاولة العمليات. الأضواء المنبعثة من الألواح الزجاجية كافية لتنير لها المكان، فتمكنت من رؤية الخطوط الخارجية للمصباح المعلق الدائري. لم يكن هو المكان الذي كانت مستلقية فيه. هذا المصباح، مع أنه دائري، إلا أن قطره أوسع، ويحمل سبعة مصابيح بيضوية صغيرة الحجم، كما يبرز مقبض محدد على جانب واحد مثل قرن استشعار ثابت. عندما تكون المصابيح مضاءة، وأنت تحت تأثير المخدر، لا بأس أن تتوهم بأنك تحت تأثير حشرة آلية عملاقة ذات سبع عيون.

انخفض كتفاها وتملكها شعور مألوف. إن هذا عمل أحرق ومضيعة للوقت. كيف لها أن تحدّد تحت أيّ من هذه المصابيح كانت ترقد؟ ما الذي رآته فعلاً؟ شكل مصباح دائري كبير؟ ربما أصغر من ذلك المصباح الذي تفحصته؟ في الواقع يمكن أن يكون أيًا من تلك التي رأتهم للتوّ. لقد أعماها الوهج.

سمعت صوت الباب الخارجي المزدوج وهو يتأرجح ليفتح بقوة. بوساطة الألواح الزجاجية، استطاعت أن ترى في شبه العتمة، شخصًا واقفًا بثبات وصمت. كانت أو كان طويلًا ويرتدي اللون الأزرق. هو جراح أو طبيب تخدير. استطاعت أن تخمن ذلك بوساطة القبعة الوردية الزاهية التي يرتديها. اختار هذا اللون لبعض الناس هو موضة.

لكن بعضًا آخر يرتديها بسهولة تمييزهم كأطباء
وسط بقية العاملين في المستشفى الذين يرتدون
عادة، قبّعات زرقاء.

انتظرت إلى أن يكتشف أمرها، كان قلبها يخفق
بشدة. سمعت صخب مفاتيح الباب، وثم صوت
فتحه. بعد ذلك بلحظات، سمعت صوت إغلاق الباب
المعدني، ثم تم فتح الأبواب الخارجية المؤدية إلى
الممر مرة أخرى. ثم ساد الصمت.

أحسّت باسترخاء وتنفّست بارتياح. من الأفضل
لها العودة إلى المنزل والابتعاد عن هذا المكان
وذكرياته، تغلق على نفسها باب منزلها وتحتسي
الفودكا، فلا تشعر بالخوف من الظلال الدامسة. لم
تكن شجاعة بما يكفي لمواصلة البحث بمفردها.

الفصل العاشر

قام غريغ تورنر بفك الزر العلوي لقميصه، وأرخی ربطة عنقه. شم رائحة العرق من تحت إبطيه، ثم لوى قسّات وجهه متجهما. قرّر أن يغتسل ويقوم بتغيير ملابسه قريبًا في غرفة تبديل ملابس الموظّفين. لاحظ كيف كانت الدكتورّة تايلور في الليلة الماضية، تنظر إلى البقعة الموجودة على ربطة عنقه، وكيف حاول أن يخفي تلك البقعة بذراعيه. نادراً ما ينتبه إلى نفسه، ولكن الأمر هذه المرّة كان يتعلّق بها، بنضارتها، وشعرها النظيف، أو ربما بعينيها المترصّدين، مما دفعه أن يبقى على مسافة منها، إلى أن يغتسل ويحلق ذقنه ويرتدي ربطة عنق لا تُجبره على أن يخفيها.

تنهد متحسّراً. لم تكن فكرة جيدة أن يبقى في مكتبه وينام على كرسيّ، ولكن الأمر لم يكن يستحقّ عودته إلى المنزل بعد أن أنهى العمل في وقت متأخّر من الليل. أعباء عمله الكثيرة في الوقت الحالي تنهكه إلى أقصى حدّ. كان يستطيع الاستغناء عن الذهاب إلى المستشفى، ومن ثمّ عليه أن يعمل في المكتب على المزيد من الأعمال المكتبية التي ستجعله منشغلاً عن قضاياه. كما أن زيارته لوالديّ إيمي أبوت جعلته مجبراً على تحمّل أصوات بكاء وصراخ تلك العائلة على ابنتها.

لم يستطع اتخاذ قرار بشأن الدكتورّة تايلور. فقد بدت عاقلة بما فيه الكفاية، ولكنّ قضتها كانت غير منطقية.

كان النقر على باب مكتبه متوقفا. دخلت لورا بيست إلى الغرفة. بدا شعرها الأشقر القصير حتى فكها أملس وناعما، وبدا القميص الأبيض بلا ياقة، الأبيض والنظيف، ملائقا لها تماما بتصميمه. كانت أنيقة كما هو الحال دائما وجاهزة ليوم جديد. تركت لورا بيست انطباعا جيدا.

لقد عملت مع قسم التحقيقات الجنائية مدة ثمانية عشر شهرا، وغريغ يعرف أنها طموحة. كانت معروفة باسم مراقب الساعة، ولكن ليس للسبب المعتاد لهذه التسمية، فلم يكن لدى لورا بيست أي مشكلة في البقاء في العمل إلى وقت متأخر دون أن تلاحظ مرور الساعات. إنما حصلت على ذلك اللقب السري لأن زملاءها عرفوا أنها ترسم لمستقبلها المهني في كل خطوة تخطوها في العمل. فقد ارتكبت هفوة حين عبرت، في إحدى المرات، عن رغبتها في أن تصبح مفتشة مباحث قبل أن تبلغ الثامنة والعشرين من عمرها، ولا شك أنها كانت جادة ومصرّة على ترك بصمة في القسم الذي تعمل فيه، مهما كلف الأمر. حتى الآن، لم تكن قضاياها ناجحة فحسب، بل تقوم بنسخ كل ورقة من عملها ووضعتها في الأيدي الصحيحة قبل حتى أن تغلق أبواب الزنزانة. يعود نجاحها، إلى حد كبير، إلى التمحيص والتدقيق في كل قضية تعمل عليها. طالما تسعى إلى استلام القضايا المضمونة والرابحة والسريعة، تاركة الحالات التي تستغرق وقتا طويلا للآخرين.

كانت عميلة رائعة، نالت دوما إعجاب معظم

الضباط الآخرين، لكن غريغ كان حذرًا منها. ليس لأنها في طريقها للوصول إلى رتبته؛ ولم يكن لذلك علاقة بالعمل، إنما كان الأمر شخصيًا.

كانت أول ملاحظة لها: "تبدو منهكًا... إنك ترتدي ملابس الليلة الماضية نفسها".

لو لم يكن الأمر شخصيًا، لما تهزبت من التحدث معه بشكل مريح.

قال: "وأنت يا لورا تبدين نُصرةً مثل زهرة أقحوان، كما هو الحال دائمًا".

قالت: "ربما لأنني أمارس الرياضة، ولا أتناول الكحول، ولا أدخن".

وكانت تنظر إلى علبة الكوكا كولا الفارغة على حافة النافذة، وهي تعلم أنه يضع عليها أعقاب السجائر.

كان لدى مركز الشرطة سياسة صارمة بعدم التدخين، وغالبًا ما كان غريغ يلتزم بالقاعدة، ولكنه يتجاوزها في بعض الأحيان عندما تمطر في ساعات الصباح الباكر، كما حدث في الليلة الماضية. أو أثناء ممارسة الجنس، الأمر الذي حدث في مناسبة واحدة فقط في هذا المكتب مع لورا بيست.

سألت: "إذن، كيف كانت الطبيبة المجنونة؟... هل قرأت تقريرها؟".

أوما برأسه مؤكدًا. فقد طلب التقرير الليلة الماضية عند عودته إلى مركز الشرطة، ولولا أنه قابل الدكتورة تايلور، لكان سيوافق على استنتاج

لورا. إنها لا تبدو مجنونة، هي منفعلة وربما تكون مكتئبة، لكن مجنونة؟ استبعد هذه الفكرة غير المريحة.

سألها: "إذن، أنت تشكين في احتمال حدوث هذا الاختطاف؟ هل عملية البحث التي قمتم بها كانت شاملة؟".

قالت بضحكة ساخرة: "كل شيء مكتوب في التقرير. كان التفتيش شاملاً لجميع أنحاء المستشفى. كاد الرقيب ماكنتاير أن يجعلنا نفثس حتى تحت ملاءات أسرة المرضى لو أمكنه ذلك. لقد تم تمشيظ الأرض وجميع الطوابق". ثم أضافت: "وبالتأكيد، هناك احتمال لحدوث ذلك يا غريغ. فإننا غالبًا ما نتعرض لمثل هكذا مواقف. لماذا؟ لأنك لو نظرت الآن من نافذتك، يمكن أن تشاهد فيلاً يطير!".

لقد أخطأت في تقدير صمته وعدّه موافقة، فاستمرت في الطعن في شخصية الطبيبة دون أن تضحك.

قالت: "المرأة مضطربة. حتى زملاؤها لا يعتقدون أن الاختطاف قد حدث. حسب رأيهم، أنها أصيبت بارتجاج في الدماغ. ولكن إن كنت تريد رأيي؟".

أخذت نفساً... ودون أن تنتظر رداً، تابعت: "إنها فقدت في ذلك اليوم مريضةً، رضية، ليست المسألة أكثر من ذلك. أظن أن الدكتورة تايلور فقدت صوابها. وهذا كان واحداً من المواقف الكثيرة والسيئة التي حدثت معها، وهكذا، أثر فيها

ذلك، ففقدت عقلها، أو...".

وهنا توقفت وهلة. ثم أضافت: "إنها اختلقت القصة لسبب مختلف تمامًا".

رمقها غريغ بنظرة صارمة. بغض النظر عن أنها قدمت بعض النقاط المهمة، إلا أن أسلوب طرحها لتلك النقاط أزعجه.

قال: "لورا، لا تشوّهي صورة المرأة. فليكن لديك بعض التعاطف تجاهها، لم لا تفعلين ذلك؟".

جحظت عيناها وفغرت فمها تحت تأثير المفاجأة وقالت: "أي تعاطف! إذا كانت قد اختلقت هذه القصة، فإنها تستحق السجن. على الأقل، يجب أن يتم توقيفها عن العمل. لا تنس أن حياة الناس بين يديها. هل تقبل أن تضع حياتك بين يديها لتعالجك بعد ما حدث؟".

تمنى غريغ أن يدرس التقرير بنفسه بدلاً من أن يطلب من لورا أن تفعل ذلك. ألفئها المبالغ بها تثير أعصابه عندما يكونان وحدهما في مكتبه. وكان يمكنه أن يتعامل مع تلك الألفة بشكل أفضل بوجود ضباط آخرين، حيث إنها لا تكون صريحة، ومع ذلك يخشى أن تفتح فمها وتكشف عما حدث في هذا المكتب بالذات.

ما كان عليه أن ينام معها. لكنها أغرته في لحظة ضعف. في ذلك اليوم الحافل كان قد تلقى قرار طلاقه من المحكمة، فجعله شعوره بالفشل وإسرافه في تناول الكحول يبحث عن دفء وطمأنينة من لدن امرأة أخرى. قبل ستة أشهر، سلمها سلاحاً قوياً،

سلاح يمكنه أن ينهي مسيرته المهنية بسهولة فيما لو قررت أن تخبر أي شخص بما جرى.

قال محاولاً أن يكون منطقيًا معها: "إنها تتعامل مع حالات لم نستطع، لا أنا ولا أنت، حتى فهمها... إذا حاولنا التقرب منها لنرى طبيعة عملها الذي يجب عليها أن تتأقلم معه، سنجد أشخاصًا متعلقين بالحياة. لكنها هي التي تنقذهم. أليس كذلك؟".

أجابت: "هذا ما أعنيه بالضبط. إنها تتعامل مع الكثير من الحوادث اللعينة، لدرجة أنها صارت تتخيل أشياء نتيجة مشاهد الرعب التي تراها كل يوم".

استدارت لتفادر، ثم عادت ببطء. وقع نظرها على حالة الفوضى المذهلة، ذقنه بحاجة إلى حلاقة، وشعره بحاجة إلى تشذيب، وربطة عنق قذرة معلقة حول عنقه. قالت: "وهي الآن تتصل بنا مرة أخرى من أجل جريمة قتل مزعومة؟ لو كنت في مكانك، لفكرت أن أوجه إليها تهمة البلاغ الكاذب وإضاعة وقت الشرطة".

بعد أن ذهبت، شعر غريغ بطعم المرارة في فمه. وقف خلف نافذة مكتبه وبدأ يتأمل المدينة التي ولد فيها. باث، مدينة جميلة وفريدة من نوعها، وقد تم تصنيفها كموقع للتراث العالمي، إنها موطن الثراء والأناقة مدة ألفي عام. لا شك في أن جين أوستن، وتوماس غاينسبورو، وبو ناش كانوا في حالة ثمالة أو استرخاء في مياهاها العلاجية. بعد الاستيقاظ على يوم جديد، كان شكل المباني من

الطراز الجورجي في الأفق مألوفًا بالنسبة إليه مثل يده اليمنى، لكنها لم تعد تمنحه شعورًا بالانتماء بعد الآن. لم يعد يشعر أن المنزل يشبه منزله. لقد كان وجود لورا بيست مثل شوكة في خاصرته، وها هو العام الجديد قادم، ويتعين عليه اتخاذ بعض القرارات. إما أن تغادر هي أو يغادر هو.

لقد كان أكبر منها بعقد من الزمن، وما زال لديه طموحاته الخاصة. لكن هذا الوضع بدأ يستنزف قواه. ما كان عليه أن ينام معها أبدًا، وتلك هي الحقيقة.

كان متعبًا، والتفكير في مثل هذه الأمور في الوقت الحالي، ليس صائبًا. إذ لديه ملف قضية إيمي أبوت، وهو بحاجة لدراسته، وكذلك عليه حضور عملية تشريح جثتها. ابتعد عن النافذة، وعاد إلى العمل.

بينما كانت لورا في مكتبها، لا تزال تعاني من التوبيخ الذي تلقته من غريغ. لم تستطع إلا أن تتساءل، هل كان ليدافع عن الدكتورة تايلور بالحماسة نفسها في حال كانت امرأة مسنة وسمينة؟

لقد أثار غضبها كثيرًا. كانت لديه القدرة على إخراج أفضل وأسوأ ما لديها، وفي أغلب الأحيان يكشف عن طبيعتها المشاكسة. تنهدت بمرارة. ما كان عليها أن تنام معه أبدًا. ففي اللحظة التي انتهى الأمر، علمت أنه ندم على فعل ذلك. حتى إنه لم يكن بوسعها أن ينظر في عينيها. وهذا لها أكثر من

الإدلال؛ لأنها كانت معجبة به حقًا. على مدى الأشهر الستة الماضية، حاولت أن تظهر له أنها غير مهتمة بالأمر؛ لأنها لم يكن لديها أمل أن تصل معه إلى أي شيء. كما لم تتوقع نهاية ميلز أند بون نفسه؛ مع ذلك كان يمكن لها أن تكون على ما يُرام، فقط، لو أنه تحلّى باللباقة اللازمة للاعتراف بأن ذلك قد حدث.

تنفّست لورا بعمق في محاولة لتهدئة نفسها. لقد استخدمها للإشباع الجنسي، وحاولت ما بوسعها لتسامحه على ذلك. لكن ليس بعد الآن. لقد يئست من محاولة كسبه. وبدلاً من ذلك، سوف ثريه ما بوسعها فعله. ستثبت له أن الدكتورة تايلور امرأة مجنونة. ثم تنقل عملها إلى مكان آخر. شعرت بغضة في حلقها، حين تذكرت الطريقة التي قبلها بها، ومن ثم الألم الذي شعرت به عندما تجنّب النظر إليها بعد ذلك. لقد كانت حمقاء. حسناً، لقد تلقت درسا قاسياً، سوف لن يدعها تهنأ. درس ثمين بلا شك. كانت ممتنة لحظها، إذ لم يعلم غريغ بأنها كانت على وشك الاعتراف له بمشاعرها، التي، لحسن الحظ، قد اختفت الآن. حياتها المهنية هي كل ما يهّمها في الوقت الحالي.

الفصل الحادي عشر

أيقظها صوت طرق قوي على الباب الأمامي من نوم عميق تغف فيهِ تحت تأثير الكحول. رفعت رأسها الثقيل عن الوسادة وحاولت أن تفتح جفنيها العنيدتين. كان النهار قد طلع، لكن مصابيح غرفة المعيشة لا تزال مضاءة، وملابسها المتسخة مرمية على السجادة، حيث تركتها ليلة أمس. حين زحفت من على السرير المؤقت، تدحرجت زجاجة فودكا فارغة من فوق بطنها.

صاحت، وهي تلتقط الوسادة واللحاف من الأرض وتحشرهما خلف الأريكة: "أنا قادمة... لحظة واحدة".

ألقت نظرة على وجهها المتعب في المرآة المعلقة في الممر، بدت عيناها كعيني الباندا من أثر الكحل المسال حول عينيها بعد حَقام ليلة أمس. لقد بدت في حالة فوضى عارمة، وربما لم يكن من الممكن التعرّف عليها حتى من قبل أولئك الذين يعرفونها.

فتحت الباب مواربا واسترقت النظر من خلفه. رأت ضابط الشرطة الذي التقته ليلة أمس، واقفاً، مرتدياً البزة نفسها مع قميص مختلف وربطة عنق نظيفة.

"هل يمكنني الدخول؟"

تراجعت عن الباب ودعته ليتبعها إلى غرفة المعيشة. لم تحاول لملمة ملابسها المبللة والمتناثرة على الأرض، ولم تحاول إخفاء الأدلة على أنها قد

شربت كحولاً. تركته يفكر كما يشاء. خطر لها أن الجميع فعلوا ذلك. لماذا يجب أن يكون هو مختلف عن البقية؟ سألته: "هل تريد بعض القهوة؟".
"نعم من فضلك".

تركته بمفرده... وبينما كان الماء يغلي في الإبريق، غسلت وجهها ومشطت شعرها. عندما عادت كان واقفاً عند النافذة، وظهره إليها، فرأت شعره البني محمراً تحت ضوء النهار. عددٌ قليل جداً من الرجال زاروا شقتها، تساءلت عما إذا كان يجدها شقة متميزة جداً.

قال: "يا له من مكان رائع! يمكنك، فعلياً، الخروج والتجديف في نهر أفون. أنا أحسدك".

قالت: "عادة أركض على ضفته، وهو أمر مميز للغاية على ما أظن".

كانت شقتها تقع على الضفة الجنوبية لنهر أفون، وكان هذا سبباً آخر لجعلها تختار شرائها، بالإضافة إلى أنه لا يمكن لأحد دخول المنطقة سوى سكانها، حيث الأمن صارم. ولم يكن لديه أدنى شك، بأنه تمكن من الوصول إلى بابها الأمامي بسهولة لأنه شرطي.

كانت هناك سجادة من الفرو الأسود، وطاولة قهوة مصنوعة من الكروم والزجاج تفصل بين أريكتين جلديتين بنيتي اللون. ينحني مصباحان عموديان ذوا قبة فضية برشاقة فوق كل من الأريكتين. كما وُضع مصباح ثالث بلون عنابي في الزاوية. لم تكن توجد تحف باستثناء مزهريتين من الكريستال

من ماركة ووترفورد، كانتا فارغتين من الزهور، موضوعتين على الخزانة الجانبية الرفيعة، تفصل بينهما قطعة كبيرة من الخشب تم تجفيفها لتصبح بلون رمادي.

لقد استعانت بباتريك في اختيارها لديكور منزلها. طالما كانت تعجبها الغرف ذات التصميم اللطيف وقليلة الأثاث، حتى رأت غريغ تورنر واقفاً بجوار المفروشات النظيفة، مستمتعا، الأمر الذي دل على أنه سيبقى وقتاً أكثر في المنزل محاطاً بالأثاث الخشبي وأشياء أخرى. تخيلته بأيدي ممتسحة، يعدّ حريقاً كبيراً من الفحم، وكلب ينام بجوار الموقد يرفع رأسه مخدراً، على أمل أن يربّت أحدٌ عليه.

هزت رأسها مستاءة من أفكارها الخيالية. فقد كان مجرد شرطي في منزلها، يرتدي بزة عادية وربطة عنق. وقد وضعت في أماكن مختلفة بسبب لون شعره وحقيقة أنه لا يتناسب مع تصميم الغرفة. في الحقيقة، قلة قليلة من الناس كانوا يلائمون الغرفة، إلا إذا كانوا يرتدون بزات فخمة أو فساتين حفلات الكوكتيل. أما الآن، فإنها ترى شفتها باردة -أنيقة على نحوٍ محسوب- كما لو أنها مكانٌ لم تُزِم فيه فتاتاً ولم تخلع فيه حذاءً.

أدار وجهه نحوها وسألها: "كيف حالك اليوم؟".

"أشعر كما لو أنّ عقلي في خلاط. أشعر باليم عندما أحرك رأسي".

ابتسم متعاطفاً، وقال: "جزبي عقار ريسولف المسكن... أجد أنّ هذا هو أفضل علاج، لكنك طهيبة،

لذا أنا متأكد من أنك تعرفين ما هو الأفضل."

"إن المحلول الملحي الخفيف هو ما أوصي به معظم مرضاي. لا بد أن حبتين من الباراسيتامول ستكونان ناجعتين أيضًا. هل كنت تعمل طوال الليل؟"

أجاب: "طوال وقت الصباح ووقت ما بعد الظهر أيضًا."

رأى الدهشة على وجهها، حينما قال: "إنها الساعة الرابعة إلا ربعًا."

ضدمت أليكس. لقد كانت قد استلقت في سريرها المؤقت لما يقارب عشر ساعات. عادت إلى المنزل بعد الساعة الخامسة بقليل، بعد أن قامت بجولة في غرف العمليات، ووجدت طريقها إلى غرفة المعيشة واندست في الأريكة بجانب الجدار مع ما تبقى من الفودكا. كانت تظن أن الوقت ما زال صباحًا. أثناء خمس ساعات أخرى عليها أن تعود إلى العمل. كما عليها أن تقبل بالنتائج وتتحمل العواقب؛ وتعتذر لنانان بيل على تركها له يلتقط الأدوات المرمية، وعلى تعطيلها للقسم، وعلى التخبط الكامل... مرة أخرى.

قال الضابط: "تحدثت للتو إلى الطبيب الشرعي. لقد حصلت على التقرير الجنائي الأولي. بانتظار تحليل وجود السموم، والنتائج الأخرى، لكنه أعطاني ما يكفي من المعلومات لأتابع التحقيق."

أخذت نفسًا عميقًا، في انتظار سماع النتيجة.

"يظنُّ أنه كان إجهاضًا ذاتيًا".

غاصت أليكس في الأريكة. لقد كانت متأكدة للغاية، ومقتنعة تمامًا بأن مهاجمها كان هو المسؤول. أخذت نفسًا، وحاولت أن تركز تفكيرها حول هذا الفرضية.

قالت: "لماذا يظنون أنها هي من فعلت ذلك؟".

هزَّ غريغ تورنر رأسه: "إنهم لا يستبعدون أي شيء بعد، لكن النتائج تميل بهذا الاتجاه. بصماتها موجودة على الأداة".

"أي أداة؟".

"لقد حاولت أن تقوم بإجهاض نفسها بطريقة طبية، هناك احتمال أن تكون قد انهارت أثناء القيام بذلك بنفسها، أو أنها كانت تعاني من ألم شديد يمنعها من سحب الأداة".

"تقصد أنها كانت لا تزال في رحمها؟ ماذا استخدمت؟".

"مكحّنة الرحم. لست متأكدًا تمامًا ما هي هذه الأداة. لقد ثقت رحمها وكان لا يزال مغرورًا أثناء عملية التشريح. كتب اختصاصي علم الأمراض أنّ الوفاة حدثت بسبب صدمة نزفية. فما هذه الأداة التي استخدمتها؟".

"إنها أداة جراحية، على شكل إبرة كروشييه طويلة مع خظاف على شكل دمعة. يتم استخدامها لكشط المحتويات من الرحم. يستخدم أثناء الإجهاض الجراحي ودائمًا تحت التخدير. هل يمكنك أن

تتخيل أي امرأة تفعل ذلك بنفسها؟ أن تدخل إبرة من خلال مهبلها؟ يؤسفني أن أصور الأمر بهذا الشكل، ولكن هذا ما يحدث على وجه التحديد".

رأت تكشيرته وأكدت ما قالتها: "لماذا قد تفعل ذلك بنفسها؟ ليس هنا، ليس في بريطانيا، وليس في القرن الحادي والعشرين. لدينا هيئة الخدمات الصحية الوطنية، وكثير من العيادات الخاصة جاهزة للمساعدة. لماذا تلجأ أي امرأة لتعريض نفسها للخطر بالتخلص من الحمل غير المرغوب فيه بنفسها وبمفردها؟".

"ووفقًا لطبيبها العام، كانت تعاني من الاكتئاب مدة، وساءت حالتها حين اكتشفت أنها حامل. لقد كان يعالجها من مرض السيلان، وكانت قلقة من أن هذا المرض قد يضرّ بالجنين. ناقشت معه عملية الإجهاض قبل أسبوعين من ذلك. وكان ينتظر قرارها".

وقفت أليكس ملوحة بيدها بيأس: "إذن، لماذا لم تعد إليه؟ كان بإمكانها الحصول على المساعدة بسهولة".

"نحن لا نعرف حتى الآن لماذا فعلت ذلك. كانت ممرضة كفؤًا. ربما ظننت أنها تستطيع التعامل مع الأمر بنفسها. أو ربما جعلها الاكتئاب يائسة. نحن نحاول أن نعرف هوية الأب. أخبرنا والداها أنه لم يكن لديها صديق دائم، ولكن إذا استطعنا العثور عليه، ربما يستطيع أن يقدم بعض التوضيح، أو يخبرنا بشيء لا نعرفه".

"إذن، كل ما قلته لك يبدو سخيًا الآن. لا بد أنك تحسبني مجنونة لأنني دعوتك للدخول. لقد ظننت...".

جلس غريغ تورنر على حافة النافذة وصالب بين ساقيه، ثم قال: "لا يمكننا إيجاد أي صلة يا دكتورة تايلور. لقد راجعتُ تقريرك مع الضابطة بيست. أنتِ على علم بأنهم قاموا ببحث شامل في كل من المستشفى والمناطق المجاورة في تلك الليلة. ولم يعثروا على شيء. تم تفتيش جميع القاعات. في ثلاثٍ منها، كانت العمليات جارية في الوقت الذي تدعين أنك كنتِ داخل إحداها. تم التحقيق مع فريق العمليات الذي كان موجودًا في تلك الليلة بأكمله، وهم مثقفون جميعًا على أنه لا توجد طريقة يمكن من خلالها لأي شخص أن يشغل إحداها من دون أن يكون على دراية بها. كان عمال التنظيف موجودين حتى منتصف الليل، بسبب وجود حالة مكورات عنقودية (مارسا) في وقت سابق في إحدى تلك الغرف، وكان عليهم تنظيف الجناح كله. لسوء الحظ، لا تصل كاميرات المراقبة إلى موقف السيارات الذي تم العثور فيه عليك، ولكن تم البحث في تلك المنطقة، ووجدتُ أغصانُ أشجارٍ مكسورة حديثًا على الأرض، بالقرب من المكان الذي كنتِ مستلقية فيه".

قاومت أليكس لتضبط نفسها وتحافظ على هدونها. احتاجت إلى شراب ليساعدها على ذلك. لم يكن كوب القهوة الأيرلندية الممزوجة بالويسكي في يدها كافيًا. أرادت مشروبًا أقوى وغير مخفف،

يدخل مباشرة في مجرى الدم. قالت: "لا أظن أن المحققة بيست لاحظت في تلك الليلة فستاني الذي ما زال موجودًا لديها".

عندما ذكرت اسم الضابطة، ضاقت عيناه على وقع نبرة صوتها، لكنه جلس بصمت.

أضفت أليكس: "لقد كان الفستان جافًا تمامًا، ونتيجة ما رأيته، لم ألاحظ أي أثر أو علامة عليه. عثروا عليّ في موقف السيارات، حيث كنت ملقاة تحت المطر، وكان الفستان لا يزال جافًا. كيف تفسرون ذلك يا حضرة المفتش تورنر؟".

"لا أستطيع تقديم أي تفسير. ربما يمكن للمختبر أن يعطي تفسيرًا لذلك. إذا لم يكن قد تم التحقق منه بالفعل، فسوف أتابع الأمر. سأناقش ذلك -أيضًا- مع المحققة بيست. مع أنني متأكد من أنها كانت ستلاحظ حالة فستانك، فهي دقيقة الملاحظة جدًا".

اندفعت أليكس هانجة وهي تلومه بانفعال، وستكون ملعونة لو اعتذرت. لم تتحلّ المحققة بيست بلباقة تجعلها حتى تتصل بها لتطمئن على حالها.

قال غريغ: "جاءت المحققة بيست بعدها ببضعة أيام لرؤيتك، لكنك كنت مسافرة. أخبرها زملاؤك بأنك في إجازة من العمل مدة أسبوع".

ضغطت أليكس على شفرتها السفلى لمنعها من الارتعاش. لقد سئمت من البكاء وإظهار مدى ضعفها. تنفّست ببطء وثبات حتى شعرت بالهدوء.

"بل أسبوعين، كانت حياتي طبيعية. كان لدي عمل جيد، ولدي زملاء يثقون بي، أما الآن، فقد أصبحت حياتي يرثى لها. لا أستطيع إعادة الأمور إلى ما كانت عليه. ماذا تفعل لو كنت في مكاني؟".

أمسك كوب القهوة بين يديه، وانتظر لحظة قبل أن يرد قائلاً: "لقد رأيت الكثير من الرجال والنساء يتعزّضون للأزمات في حياتهم. أحد أصدقائي، وهو ضابط شرطة، كان في العمل حين تعرّض لحادث، وهو في هذا الوقت بالذات، يخضع للعلاج نتيجة الضغط الشديد الذي يعانيه. إنه يلوم نفسه على وفاة أحد المشاة الذي خرج إلى الطريق أمام سيارته السريعة. بغض النظر عن نيله البراءة من أي حكم، فإنه يشعر بأنه كان يجب أن يعرف أن رجلاً، في تلك اللحظة، سيظهر من مكان مجهول ويسير عبر هذا الطريق. لم تكن طائرة الهليكوبتر في السماء قد رصدت وجود مشاة، ولم يلاحظ الضابط الجالس على مقعد الراكب بجانب صديقي، ذلك الرجل، لكن مع ذلك، فإن صديقي ظلّ يلوم نفسه. تحدثي إلى شخص ما يا دكتورة تايلور. فالعقل شيء هش، يمكن أن يخدعنا حيث لا نتوقع ذلك، ويمكن أن يعاقبنا بطريقة لا يستطيع أحد تفسيرها. عندما تكونين مستعدة، ستتمكنين من استجماع قواك مرة أخرى. ستعيشين حياة طبيعية من جديد.

الفصل الثاني عشر

في المنزل الذي ترعرعت فيه، وفي غرفة نومها، في أيام طفولتها، كانت لا تزال آثار المواد اللاصقة الزرقاء وآثار الشريط اللاصق من ماركة سيلوتيبي موسومة على الجدران كريمية اللون. لا تزال صور الرسام أندي وار هول لجاكي كينيدي وإنغريد بيرغمان مطبوعة على إطارات زجاجية كبيرة، معلقة على الجدران. هناك في غرفة نوم طفولتها، حيث كانت تنام وتحلم بمستقبلها.

ارتجفت رجلا أليكس بشدة، و فقط تمسكها بباب خزانة الملابس منعها من السقوط أرضًا. الفستان الذي كانت تنظر إليه هو من اللون الوردي ذاته ونمط الفستان ذاته الذي ارتدته في ليلة اختطافها، ماعدا أنه أطول، ونوع الحذاء نفسه ذو الأشرطة. كانت أختها بامبلا تنظر إليها بغضب واستياء. ليس هذا بجديد؛ طالما كانت أليكس تشعر بأن أختها الصغرى مستاءة منها. هي تكبرها بثمانية عشر شهرًا، ولكن من حيث النضج، لطالما شعرت أليكس بأنها أكبر منها بكثير.

كبرت بامبلا وهي مقتنعة أن أليكس حققت طموحها بسهولة، وأن كل إنجازاتها إنما جاءت بمجرد فرقة من أصابعها. لم تفكر قط في السنوات التي قضتها أليكس في الدراسة، ولم تتذكر تلك الحفلات الكبيرة، والعطلات العائلية، والمناسبات الاجتماعية التي كانت أليكس تحرم نفسها من المشاركة فيها من أجل التركيز في دراستها، ومن

أجل اجتياز اختباراتنا بنجاح لكي تبني مستقبلها،
وتحقق طموحها.

كانت بامبلا قد درست في المعهد بدلاً من
الجامعة، وحصلت على دورة في إدارة الأعمال
والتكنولوجيا، بدلاً من الشهادة الجامعية. عملت
في عدة وظائف بدوام جزئي بدلاً من الحصول
على قرض طلابي، كما عملت مساعدة لمدير فندق.
لقد قضت السنوات الماضية وهي تبدو ظاهرياً
مستمتعة بالحياة: صديقات لطيفات، عشاق، عطلات
ممتعة، كل شيء بدا جميلاً. كل شيء بدا لطيفاً
وآمناً، لا شيء يفسد سعادتها سوى غيرة طفولية
من أختها الكبرى. في المناسبات القليلة حين كانت
تلتقي فيها الأختان في مكان ما، وتتعرّف أليكس
على من يرافق أختها، ولمجرد أن تُسأل: "ما عملك؟"
تلاحظ أليكس الإعجاب في عيون أصدقاء بامبلا،
ونظرة حسد في عيني بامبلا. كان اللقب هو أكثر ما
يزعج أختها. فهي مولعة بالألقاب.

زوجها المستقبلي لديه لقب. كان لورداً، إنه نبيل
اسكتلندي، ينحدر من سلالة عريقة من ملاكي
الأراضي الاسكتلنديين في المرتفعات. وصدق أنه
نزل في الفندق الذي تعمل فيه بامبلا. هو رجل ثري،
يتجاوز أحلام بامبلا الجامحة. جعلها تترك وظيفتها،
واليوم بالذات سوف يتزوجها. هاميش، هو رجل
مملّ بعض الشيء لكنه ثري. كانت أليكس لا تزال
تتعرّف عليه، اختار أختها الصغرى، في الوقت الذي
كان بإمكانه، بوجود رصيد مصرفي مثل الذي في
حسابه، اختيار أي فتاة من طبقة اجتماعية

باميلا هي من حصلت على كل شيء، في حين كانت أليكس لا تزال تسدّ القروض الطلابية المترتبة عليها، وتعاني من رهن عقاري أثقل كاهلها، وتعيش حياة متداعية. ومع ذلك، ظلت تشعر بأنها دون المستوى المطلوب، وأنها المسكينة الصغيرة التي طغت عليها أختها الأكبر سنًا، والأعلى مستوى في تحصيلها العلمي.

دفعت باميلا أليكس جانبًا للوصول إلى داخل خزانة الملابس، وقالت: "ما العذر فيه بحق الجحيم يا أليكس؟"

ثم سحبت الفستان وقالت: "إنه لوّنك المفضّل! لو أنك تكلفين نفسك عناء المجيء وإلقاء نظرة عليه، يمكنك حينها القول فيما إذا لم يُعجبك."

أغمضت أليكس عينيها، عازمة على أن تتماسك، ثم قالت: "لا بأس يا باميلا".

"لا بأس!... حسنًا، شكرًا جزيلاً يا أليكس. لقد اشتريت لك فستانًا ظننت أنه سيعجبك... ولكن لا... كل ما يمكنك قوله هو... لا بأس! بعد أن حصلت على بشرة مسمرة جميلة... ووجدت الوقت لقضاء عطلة... والآن... وفي يوم زفافي... جئت تقولين إن الفستان لا يعجبك!"

تكلّفت أليكس لرسم ابتسامة على وجهها وقالت: "أنا أسفة. بالفعل أعجبني. ليس الفستان هو المشكلة. لقد أعجبني حقًا."

"لقد رأيت وجهك".

تساءلت أليكس فيما إذا كان الوقت قد حان لكي تخبر أختها بما حدث لها.

"تأكدي أن الأمر لا يتعلق بالفستان، أنا...".

قالت بامبلا بامتعاض: "إنه يومي يا أليكس! وليس يومك! لقد انتهت أيامك. طالما تروي لنا أمي كيف أنقذت القديسة أليكس حياة آخرين".

"من فضلك يا بامبلا، الأمر ليس له علاقة بالفستان. أريد أن أخبرك أمراً".

هزت بامبلا رأسها، قالت وعلى وجهها ابتسامة زائفة: "ليس اليوم يا أليكس. اليوم هو يومي... ليكن ولمرة واحدة يومي أنا".

صفت باب غرفة النوم خلفها بشدة، تاركة أليكس وحدها في الغرفة. بأيدي مرتعشة وصلت إلى حقيبة يدها، أخرجت منها الكيس الورقي الذي أصبحت تحمله معها في الأيام القليلة الماضية. ضمت عنق الكيس وأغلقتة على فمها وأنفها، وبدأت في التنفس من الداخل والخارج حتى انتهاء نوبة الهلع، وتباطأ تنفسها ودقات قلبها.

انفجرت في ضحكة هستيرية، حينما فكرت إن كان هناك أي معنى في إخبار بامبلا بما حدث. استبعدت الأمر تماماً. سوف تظن أختها أنها اختلقت القصة. قبل ثلاثة عشر شهراً، وعندما أخبرتها عن حدث آخر، لاحظت نظرة التشكيك في عيني أختها، مع أنه كان أمراً يمكن تصديقه، والكثير من النساء

قد عانين منه. أما هذه التجربة الأخيرة - كما عُلقت لورا بيست - فيمكنها أن تكون قصة لفيلم سينمائي. كان جميع الأقارب مجتمعين في الطابق السفلي، ووالداها لا يزالان في غرفتهما بجهازان نفسيهما. أما باتريك، فقد كان في الحديقة يسلي الشباب من الضيوف بقصص عن "مستشفى الحيوان". بينما كانت هي في غرفة نوم طفولتها، تكاد تنهار، مع كيس ورقي على فمها.

اجتمع نحو مئتي شخص من المدعوين للزفاف في قاعة الجمعية، وتحت الثريات الكريستالية، التي حُفنت إضاءتها لأجل هذه الأمسية، رقصوا على أنغام الموسيقى التي قَدَمتها فرقة الجاز المكوّنة من ستة عناصر. وأثناء الطعام، أدت فرقة رباعية وترية معزوفة لظفت المزاج العام. كانت جوقة كنيسة باث رائعة. وعندما أدى عازف منفرد ترنيمة آفي ماريا الشهيرة، شعرت أليكس بسلام أول مرّة في حياتها. تدفّقت الزهور على مذبح الكنيسة مشكّلة أكواما من اللون الكريمي. تشبّع الهواء برائحتها. بينما كانت بامبلا تتقدّم إلى المذبح، أوحى كلّ شيء فيها بأنها أميرة ساحرة. أما هنا في قسم الاستقبال، فقد ارتفعت الزهور المتناسقة الألوان مثل النوافير، قبل أن تصعد حول أعمدة حجرية شاحبة.

قَدَمَت مجموعة من الثُل، الذين يرتدون ملابس مرثبة ونظيفة، أنواع المقبلات للضيوف: مقبلات الإسكالوب، والروبيان النمري، والقطع الصغيرة من

كعك الأسماك، وحزم السلمون المقشّر في أوراق الموز. وقبل إلقاء أيّ أحاديث وخطابات بوقت طويل، تمّت إعادة تعبئة أقداح الشمبانيا مرارًا وتكرارًا بأفضل الأصناف من الشمبانيا العتيقة، كما ورّعت لفائف السيجار على جميع الرجال لكي يجزّبوها.

إنّه حفل زفاف لن يُنسى... سيبقى عالقًا في الذاكرة، يتحدّث عنه الأصدقاء. ولا شك أنّه سيشق طريقه إلى عمود أخبار المجتمع في صحيفة التلغراف صباح الاثنين.

تنظر أليكس إلى شقيقتها دون حسد، وتتمنى، حقًا، أن تكون سعيدة مع هاميش، حيث بدا بينهما توافقٌ كبير. بالنظر إلى بريق عيني أختها، وحجم السعادة على وجهها، نستطيع أن نقول إنّها ذاقت طعم تلك السعادة هي أيضًا.

عندما خرجت بامبلا من سيارة رولز رويس -حيث رأت أليكس في فستان وصيفة الشرف الوردية- اغرورقت عيون البنيتين بالدموع وتصافت القلوب. "أنا آسفة لأنني كنت فظيعة. أنا سعيدة حقًا بوجودك معي".

قبلتها أليكس من خلال الإكليل، بحذر، وشعرت بتحسّن عفا كانت عليه طوال الأسبوع.

كان باتريك جالسًا إلى طاولة مع جمهور من الأطفال الصغار، وهم يستمعون إلى كلّ كلمة يقولها. تابع الاهتمام بالضيوف الذين هم أصغر سنًا، وهو يروي لهم قصص مسلية عن الحيوانات. نظرت

إليه بإعجاب أنساها، مؤقتًا، خيبة أملها به مؤخرًا. كان رجلاً طيبًا، رجلاً فريدًا من نوعه. هل كان من الصعب عليه أن يخوض نقاشًا في الأمر على الرغم من أنه يتذكره طوال الوقت؟

تخيلت لو أنها سمعت القصة نفسها من فيونا، أو ربّما من بامبلا، فأنها حتفًا، ستواجه صعوبة في تصديق ما حدث.

على الأقل، كانت لديه رغبة في تصديقها. لكن لا يوجد أيّ دليل على ما تقوله. لا يوجد هناك منطق في القصة. لقد نجت من محنة مروّعة دون أن تصاب بأذى، لكن الشرطة لم تأخذها على محمل الجدّ. ولا بدّ أن فيونا -أيضًا- لم تفعل ذلك. ليس فقط لأن فيونا أسمعتهما كلامًا يستخفّ بقصتها. بل لأنها صارت تتجنّب الحديث معها، لقد تحدّثنا في العمل، لكن أحاديثهما كانت دائمًا متعلّقة بالمرضى. لولا حادث العام الماضي، لصدّقت فيونا قصتها، أو على الأقل لتقبّلت فكرة أنّها عانت من شيء أكثر خطورة من ضربة على رأسها. وتتساءل أليكس دائمًا عما إذا كانت فيونا تصدّقها حتى ذلك الحين، أو تظن أنّ اللوم يقع على أليكس؟

ربّما لم يكن هناك جدوى من التفكير في ذلك، فما زالت على قيد الحياة. ربّما الرجل الذي هاجمها لم يكن رجلاً خطيرًا. ربّما كان مريضًا، هاربًا من جناح للأمراض النفسية، خرج منه ليلة واحدة واستهدفها في ساعات حربته. إذا كان هذا هو الحال، فلا خطر على أي شخص آخر. لقد كانت فكرة مطمئنة. بينما

عملت الشمبانيا على تخفيف حواسها التحليلية،
كانت مستعدة لقبول هذه الفكرة.

عندما رفع باتريك كأسه لها، أحست بعينه
تعانقها، وللمرة الأولى منذ تلك الليلة الفظيعة،
تطلعت إلى الذهاب للنوم معه.
همست: "بماذا تفكر؟".

رفع أحد حاجبيه، وقد بدا أنه يوليها اهتمامًا
كبيرًا، وقال لها: "أوه، لا أعرف... بكعكة الزفاف، أو
بالحلويات، بكلمة "أوافق"، بأشياء مُسكرة عندما
تفكر فيها". ثم هزَّ حاجبه وأردف: "لست مقتنعا
كثيرا بفستان الزفاف الذي على شكل حلوى المرينغ".
ضحكت أليكس وقالت: "صه... إنها تبدو جميلة".

اقترب منها أكثر، وشفتهاه تلتثمان أذنها وأنفاسه
تداعب رقبتها، وعلق ساخراً: "لا يسعني إلا أن
أتساءل إن كانت تحتفظ بمناديل المرحاض تحته".

ضحكت بصوت عالٍ وحدقت فيه، فرأت بروزًا
خفيفًا في عظام وجنتيه. كان اليوم رائعا... نقطة
تحول... استراحة من كل ما مضى. سوف لن
تنسى... ولكن يمكنها، على الأقل، أن تستمر.

الفصل الثالث عشر

كان قد وقع حادث مروري فظيع عند التقاطع 18 على طريق M4. شمل الحادث خمس سيارات وحافلة نقل تحمل متقاعدين عاندين من رحلة نهاية الأسبوع إلى لندن.

في غرفة تبديل الملابس الخاصة بالموطّفين، غرغرت أليكس بغسول فموي قوي، ثم نفخت في راحة يديها المكوّرتين لتشمّ رائحة أنفاسها. رائحة النعناع جعلتها تطمئن أنها بخير، ولكن كتدبير احتياطي إضافي، قامت بمضغ علكة بالنعناع من ماركة "ريجلي".

كيف لها أن تنسى أنها؟... وبّخت نفسها مرة أخرى. لحسن الحظّ أنها توقّفت عن شرب الكحول قبل نهاية حفل الزفاف بوقت طويل، وفي الواقع قلّلت كمية احتساء المشروب أثناء ذلك اليوم الطويل كي لا تتمل. مع العلم، أنها دون فحص الدم أو جهاز التنفّس لقياس نسبة الكحول في الدم، لن تستطيع استبعاد أن تكون قد تجاوزت الحد. والمفارقة التي لم تفتها هي أنها، للمرّة الأولى، لم تتمل من أجل أن تنسى... عادت إلى رشدها فوراً... يا لها من حمقاء! من الغباء أن تنسى شيئاً مهمّاً مثل حقيقة أن لديها عملاً تقوم به.

لقد رفضت فكرة مناقشة زملائها لتري إمكانية أن ينوب عنها أحدهم إذا لزم الأمر، كانت حريصة على ألا تعطي ذريعة لأيّ شخص حتى يشوه سمعتها أكثر.

حسنًا، هذه دعوة للاستيقاظ. في بعض الجوانب، كانت محظوظة في أن ذلك قد حدث. اقتربت من حافة الهاوية بسبب إدمانها. أدركت أن الرجل الذي يقف وراء المنضدة في الحانة القريبة قد عرفها جيدًا نتيجة ترددها عليها. ولكن ليس بعد الآن. فهي لم تعد بحاجة للهروب من خوفها.

خرجت إلى وسط الازدحام راسمة ابتسامة على وجهها. مز على الإنذار مدة ثلاثين دقيقة قبل وصول المصاب الأول. شوهد المصابون وهم يصطفون على طول الممر واتساعه. أينما نظرت، كان المكان يعج بالنشاط والاندفاع... وأخيرًا تمهلت أليكس، كان هذا عملها، ولطالما أدته على أفضل وجه. سار كل شيء على ما يرام. مع أنها تعاني الإرهاق، إلا أنها شرّت بالكيفية التي سارت بها الأمور.

كانت الأقسام جميعها في غرفة الإنعاش مشغولة. تصدر كل أجهزة المراقبة صفارات إنذار. وصناديق القمامة طافحة، تكتظ حولها المعدات. امتلات الحاويات الصفراء البلاستيكية الضلّبة، وكذلك أسطح طاولات العمل مليئة حتى حوافها بأكوام الإبر، والمحاقن المستخدمة مرمية ومهملة، والأطباء يتنافسون من أجل إيجاد مساحات صغيرة لكتابة ملاحظاتهم. كان دلوّ وممسحة مسندين إلى الحائط وجاهزين لتنظيف السوائل التي كانت تنسكب بكثرة، وللحفاظ على سهولة أداء العمل، كان من الأسرع أن يقوم أقرب شخص بتنظيف الدم الفسّال، فأخر شيء يحتاجونه وسط هذا الازدحام

هو أرضية رطبة.

أما بقية الفصابين الذين ينتظرون ليتم فحصهم، ومع أنهم يحتاجون إلى عناية عاجلة، فقد كانوا على الأقل أكثر استقرارًا من المصابين الذين دخلوا قبلهم. ماعدا الجرحى القادرين على المشي، فقد تم حتى الآن، معالجة سبع حالات حرجة، واثنتي عشرة حالة خطيرة.

تم توزيع فريق الطوارئ على المصابين، والتحق أطباء وممرضات إضافيون للمساعدة في علاج جميع الإصابات. كانت كارولين مسيطرة كما هي الحال دائمًا، لكن أليكس لاحظت بقع العرق تحت ذراعيها، في إشارة إلى أنها تجد صعوبة في العمل بسرعة. تم استدعاء ماغي فيلدينغ للاعتناء بإحدى الفصابات. وسط نشاز الصخب الفظيع للبكاء والصراخ، وأصوات المنبهات التحذيرية العاجلة، ورنين الهواتف، وأصوات الأدوات، سمعت أليكس صوت ماغي وهي تواسي امرأة مصابة، استغربت الأمر، إذ كيف يمكن لماغي أن تكون لطيفة.

كان أحد المرضى في الحجرة رقم 4 يحدق في أليكس والخوف يملأ عينيه، وقبضته على معصمها. قال لها: "لا بد أنك لن تتركيني أموت، ألسنت طبيبة؟".

حزرت أليكس يدها، وابتسمت مطمئنة إياه، ثم قامت بمحاولة ثانية لإدخال قنينة الإبرة في عروق ذراعه البارزة، قائلة: "ستكون بخير يا جورج. فقط أعطني ثانية واحدة حتى أدخل هذا في ذراعك،

وبعد ذلك يمكنني أن أعطيك الدواء. في وقت قصير جدًا، سيعود قلبك لينبض بشكل طبيعي".
"يبدو كما لو أنه سينفجر فيما إذا نبض بشكل أسرع".

"عليك فقط أن تبقى هادئًا، وتنفس من ذلك الأكسجين، واترك الباقي علي".

لم يكن الرجل العجوز أحد الضحايا الذين جيء بهم مع مجموعة المصابين في الحادث. لقد تم إحضاره من المنزل، وكان بحاجة إلى عناية إسعافية.

همست: "اللعة"، ثم ابتسمت له مرة أخرى قائلة: "أوردتك لا تظهر بوضوح". انتقلت بسرعة إلى الجانب الآخر من عربة المريض، وشدت، بسرعة، الشريط المطاطي على ذراعه الأخرى، وتركت يده تتدلى على جانب العربة، ثم نزلت على ركبة واحدة. أعطت بضع نقرات على وريد في ذراعه، وأخيرا نجحت. ظهرت فيونا إلى جانبها. سألت: "هل تحتاجين إلى مساعدة؟".

شعرت أليكس أن المبادرة حقيقية. كانت الابتسامة الدافئة التي أبدتها فيونا لها في بداية مناوبة عملها بمثابة اعتذار صامت. تلاشت نظرة التشكيك في عينيها، وأصبحت أليكس ممتنة لذلك.
"يمكنك أن تجلبي لي الأدينوزين. لا مجال لوضع أي شيء هنا. تم تعديله وتصنيفه بوضع لصاقة عليه، إنه في خزانة الأدوية".

ابتسم جورج لهما قائلاً: "أنا دائماً مصدر إزعاج. إنها لا تتحفل الافات. أظن أن الأوردة تنكمش عند رؤية إبرك".

أخذت أليكس قنينة الأوردة، بينما ذهبت فيونا لجلب الدواء. عادت بعد لحظة، وقالت لها: "هل لي بكلمة؟".

تبعته أليكس إلى خزانة الأدوية المخدرة، فرفعت فيونا أمبولة فارغة وقالت: "هل هذا ما أعدته؟".

حدقت أليكس في الأمبولة بارتباك، فرأت الملصق الذي كتبه على المحقنة، واسم جورج بارتليت مكتوباً على الملصق. لكن هذه لم تكن ذات الأمبولة التي استخدمتها. لو أنها أعطته هذا الدواء، لكان جورج ميتاً الآن. الأدرينالين 1:1000 كان سيسبب له تسارعاً خطيراً في دقات القلب، فيما هو بالأصل يعاني من تسرع نبضات القلب.

قالت متلعثمة: "أنا... أنا لا أفهم. لم أخرج هذا. أؤكد لك ذلك. لا بد أن شخصاً آخر قام بوضعه هنا. من المستحيل أن أعطيه هذا. مستحيل، لو بعد مليون سنة، لا يمكن أن يفعلها".

عضت فيونا على شفيتها السفلى، وعيناها متقدتان غضباً على أليكس: "أليكس، هذه الأمبولة كانت الوحيدة هنا. كانت بجانب المحقنة مباشرة، في علبة الحقن هذه". أعادت الأمبولة مرة أخرى إلى العلبة والتقطت المحقنة.

بدأت أليكس بتفتيش الطاولة بشكل محموم، رافضة الإقرار بأنها قد ترتكب مثل هذا الخطأ. لا بد

أن تكون أمبولة الأدينوزين الفارغة في مكان ما هنا. يجب أن تكون هنا. فهي وضعتها بيدها. كما قرأت الملصق بوضوح. ولم ترتكب خطأ على الإطلاق.

صرخت قائلة: "شخص ما أتلّفها". تابعت: "والقى هذه الأمبولة على صينية الحقن خاصتي، عن طريق المصادفة. تحققي من الأطباء الآخرين، أراهن أن أحدهم قد قام باستخدام الأدرينالين أثناء الدقائق الخمس الأخيرة".

لمعت عينا فيونا متألّمة لما حدث. أحست أليكس بدقات قلبها تتسارع عندما أدركت أن فيونا مقتنعة تماما أنها ارتكبت هذا الخطأ الرهيب. ثم ارتعدت عندما أدركت مدى سهولة أن يتحوّل الخطأ إلى كارثة.

"أذهبي يا أليكس لشرب كوب من الشاي، وأنا سأطلب من ناثن الحضور لمعالجة الأمر. سأقول له إنك ستأخذين استراحة عدة دقائق".

أحست أليكس بثقل في عينيها، وأن دموعها على وشك الانهيار، قالت: "كلا، لا يمكنني فعل ذلك. يجب أن أعالج الأمر بنفسني".

سألت ماغي فيلدينغ: "هل كل شيء على ما يرام يا دكتورة تايلور؟ هل تفسحين لي الطريق للوصول إلى خزانة الأدوية؟".

تتحت أليكس جانبا لإفساح المجال. أجابت: "كل شيء على ما يرام. أنا... هممم... لا أظن أنك قمت للتوّ بإعداد أي أدرينالين، أليس كذلك؟".

هزت ماغي رأسها نافية: "كلا. لكنني احتاج لأخذ مسكن ألم لمريضتي".

توقفت أليكس عن البحث بين محتويات الخزانة، حيث كلتاها واقفة بجانبها في صمت، وألقت نظرة عليهما.

قالت ماغي: "هل أنت متأكدة من أن كل شيء على ما يرام؟ ثم لِمَ يُفترض أن أكون قد أعددت الأدرينالين؟".

أجابت فيونا بسرعة: "لا لأحد".

ظهرت كارولين فجأة خلفهما وقالت بصوت مرتفع: "ما الذي يجري يا أليكس؟ ماذا حدث مع السيد بارتليت؟ لماذا لم تتدبري أمره؟".

التفت فيونا إلى خزانة الأدوية وسحبت أمبولة أدينوزين لتظهرها للمستشارة. قالت: "نحن فقط نقوم بإعداد هذه".

التقطت كارولين الأمبولة الفارغة من صينية الحقن التي كان مكتوباً عليها اسم جورج بارتليت، ثم انتبهت إلى المحقنة التي عليها ملصق والمشدودة في يد فيونا، ثم قالت بنبرة تشكيك بحدوث خطأ ما: "أعطيني تلك".

أشاحت فيونا بنظرها نحو الأرض عندما سلّمتها الأمبولة.

وبحكم الممارسة المتأصلة، قامت الاستشارية، بشكل تلقائي بفحص الأمبولة. ثم قالت: "ماذا...".

قاطعتها فيونا بسرعة قائلة: "هذه ليست له".

أجابت كارولين ساخرة: "حقًا". وتخلل الذهول كلماتها التالية: "إن اسمه مكتوب عليها! لذا من الواضح أنها ستعطي له!".

اختارت أليكس اللحظة الخطأ لتطلق شهقة فزع، حين رأت الصدمة على وجه كارولين. تعلم أليكس أن بإمكان كارولين شم رائحة الكحول. حدقت في أليكس بتشكيك قبل أن تركز نظرها على الحقنة التي تحملها الآن في يدها. ثم رفعت كارولين عينيها مرة أخرى، كادت أليكس أن تبكي. أرادت أن توضح أن هذا لم يكن ذنبها. لكن الاستياء في عيني كارولين أكد لها أن لا فائدة من ذلك، وأنها ستضيع وقتها دون جدوى.

أمرت كارولين بهدوء: "غادرن القسم!".

أصيبت أليكس بصدمة حتى إنها حاولت بصعوبة أن تتكلم: "أنا... أنا...".

قاطعت ماغي فيلدينغ الاستشارية ذات الصوت المستبد: "مهلاً، ليست هناك حاجة لذلك!" ثم تابعت: "كلتاها كانت هنا يا دكتورة كاوان. ألا تظنين أنه يجب عليك أن تعرفي الحقائق قبل اتهام إحدى موظفاتك؟ حتى إنك لم تسالي بعد من المخطئ. فقط افترضت أن الدكتورة تايلور هي من ارتكبت الخطأ".

نظرت إلى فيونا قائلة: "هل طلبت الدكتورة تايلور منك إعداد الدواء؟".

ردت فيونا بعنف: "كلًا... لقد طلبت مني أن أحضر لها الدواء المخدر".

ابتسمت ماغي ابتسامة خبيثة وقالت: "الشيء نفسه".

اثقت عينا فيونا متوهجتين وأمالت ذقنها بسخط: "كلًا! ليس الشيء نفسه!".

طوال المجادلة، لم تقل كارولين أي كلمة. ظلت ترمق أليكس، ثم كزرت الأمر: "غادري الآن، قبل أن أطلب عناصر الأمن".

دمعت عينا أليكس وهي تهز رأسها.

كان صوت كارولين خافتًا، وعيناها تقدحان غضبًا. "دكتورة تايلور، سأتحذث إليك لاحقًا. من فضلك لا تجعلي الأمر أكثر تعقيدًا مما هو عليه فعلاً. أريدك أن تغادري القسم على الفور".

اتجهت أليكس نحو باب الخروج بساقين مرتعشتين، وانتابها إحساس بأن عشرات العيون تتبعها، لكنها عرفت أنها تتوهم ذلك، فالجميع كانوا مشغولين للغاية، لدرجة أن أحدًا لم يلاحظ أن عالمها قد انهار الآن.

الفصل الرابع عشر

إذا كان يمكن لخيبة الأمل أن تشغل حيزًا ماديًا، فسيكون مكتب كارولين مناسبًا لذلك. فخيبة أملها كبيرة. إنها مهذبة ولطيفة، لكن نبرتها خلت من الدفاء لأنها كشفت جريمة أليكس.

قالت كارولين: "إن كلمة خيبة الأمل لا تكفي لأصف بها ما أشعر به. لقد طلبتِك إلى هذا الاجتماع لكي أمنحكِ فرصة تفسير تصرفك، قبل أن أأخذ قرارًا بشأن جعل الأمر رسميًا من عدمه. كما ترين لم أشرك إدارة الموارد البشرية في هذه المرحلة من التحقيق؛ وهذه فرصة لكِ ولي في آنٍ واحد، حتى نتبادل الحديث بصراحة، وإذا كنتِ توافقين على رأيي، فهذا هو... هل تفهمين يا دكتورة تايلور؟".

ابتلعت أليكس الإهانة بصعوبة وأومات بالموافقة: "نعم. وشكرًا لكِ لأنك لم تجعلي القضية رسمية".

"حسنًا... لم أحسم الأمر بعد بشأن القرار الذي سوف أأخذه. لذا يرجى أن تشرحي لي موقفك".

أجابت بصوت خافت: "لقد نسيت... لقد كنت في حفل".

حدقت فيها كارولين دهشة: "نسيت؟ نسيت! أهذا هو عذرك؟".

قالت أليكس بجديّة: "حقًا لقد نسيت. لقد كان حفل زفاف أختي يوم السبت وقد غاب عن بالي أن لديّ عملاً".

مالت كارولين على كرسيها نحو الأمام، وتعاير

الصرامة على وجهها، ثم قالت: "حسناً يا أليكس، قولها بصراحة، قل لي أنك لم تفكر في العمل. رغم أنني أتفهم أنه كان وقتاً صعباً بالنسبة لك، لكن كان يجب عليك أن تأخذي إجازة لكي ترتاحي بشكل أفضل".

أبدت أليكس استياءها: "أفضل من ماذا؟".

"أفضل من كل ما يحدث الآن! هل تفهمين ما أقول؟ هل تدركين كم أنا قلقة بشأنك؟".

شعرت أليكس بوخز الدموع في عينيها. إنها تحب كارولين وتحترمها أكثر من أي طبيب آخر تعرفه. ولا تريد أن تفقد هذه المرأة ثقته بها.

"اعتذر لأنني خذتك. ظروف أمس لا تسوغ لي خطأي أبداً. أعلم أنك فقدت الثقة بي، لكنني ظننت بالفعل أنني قادرة على أداء عملي".

"وهذا، يا أليكس، هو السبب الذي جعلني أفقد الثقة. إن ما تقولينه هو ما يقوله عادة أي سائق مخمور بعد أن يتسبب بوقوع حادث: "كنت أظن أنني قادر على القيادة بأمان". أنت فتاة غبية، تفسدين حياتك بهذا الهراء. أريدك أن تكوني معي في القسم يا أليكس. أنا أعقد عليك آمال كبيرة بشأن مستقبلك المهني. أتوقع أن أراك، يوماً ما، طبيبة استشارية هنا، ولكن إذا استمررت بك الحال على هذا المنوال، فسوف تدمرين كل شيء. تبين أثناء الأسابيع القليلة الماضية أنك لم تتعافي بعد من الظروف السيئة التي مرتت بها العام الماضي. اذهبي الآن واصطحبي معك أحدهم، لتقوموا بعملية

تصنيف وفرز الأدوية بشكل صحيح. فأنا لن أجعل التحقيق رسميًا، لكني سأضطرّ إلى مراقبة سلوكك". سالت الدموع على خدي أليكس دون إرادتها، وبسرعة قامت بمسحها. كانت كارولين قد كشفت للتو أنها لا تصدق أن أليكس قد أخْطِطت، وأن ما حدث قبل شهر كان مجرد وهم في ذهنها، تخيلت القصة بسبب "الظروف السيئة" التي مرّت بها أليكس العام الماضي.

قالت لها كارولين: "اسمعي، خذي المزيد من الوقت. اذهبي واقضي بعض الوقت مع صديقك الوسيم. إنه قلقٌ يا أليكس... يشعر بالقلق عليك بشأن تعاطيك الكحول". ابتسمت، ثم أردفت: "قال إنك أسرفتِ في شرب الكحول عندما كنتِ مسافرة في إجازة".

ثم استرخت مسندة ظهرها إلى الكرسي، مفرجةً عن تعابير وجهها، وقالت: "فكّري فيما قلته لك... فكّري في مستقبلك".

أحسّت أليكس بإهانة كبيرة حين كانت في سيارتها. كيف تجرأ على ذلك؟ كيف تجرأ على التحدث خلف ظهرها؟ لقد خدعها. بعد فعلته هذه، لا قيمة لكل العناق والطمأنينة التي يمنحها. لماذا لم يوجه هذا الكلام لها مباشرة؟ أخبرها أنه قلق. وتحدّث إليها عن الوضع اللعين. إنه يتصرّف كما لو لم يكن قد حدث شيء؛ هل تناولها للكحول أمر يدعو للاستغراب؟ ومتى أجرى هذه المحادثة مع كارولين؟ متى أبدى الشفقة عليها، حتى إنه اعتقد

أَنْ لَدِيهِ هَذَا الْحَقُّ؟ إِنْ إِخْبَارِ رَئِيسَتِهَا بِأَنَّهَا كَانَتْ مَخْمُورَةً، لَهَا أَسْوَأُ شَيْءٍ فَعَلَهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

التقطت هاتفها المحمول، وضغطت على الشاشة بعنف حتى عثرت على رقمه، وبمجرد أن سمعت صوته صاحت: "خائن!".

صعقتها أولى كلماته حين قال: "كارولين لها الحق في أن تعرف".

أجابت: "أن تعرف! كنت على وشك أن تدمر حياتي المهنية. أنا محظوظة لأنه لم يتم توقيفي عن العمل!".

قال لها بصراحة: "أنت محظوظة؛ لأن المريض لم يمت بين يديك".

"لم يكن خطأي يا باتريك. لم أرتكب خطأ في إعداد الدواء".

"لسوء الحظ، يا أليكس، لا تستطيعين إثبات هذا الكلام. لن يولي أحد أهمية لكلامك فيما لو تأكدوا أنك كنت تحت تأثير الكحول".

كان صوته كئيبيًا، فنفذ الغضب من أليكس. لم يعد لديها المزيد من الطاقة لتقاتل.

وعندئذ، سألتها: "هل أنت بخير؟".

جلست صامتة، عاجزة عن أي جواب.

قال: "أحبك".

همست: "ولكن هل ما زلت تصدقني؟".

سمعته يتنهد، فقاطعته قائلة: "فقط أخبرني!".

قال: "كلفنا فكرث في الأمر أكثر، انتابني اعتقاد أن القصة كانت مجرد هذيان، فالضربة التي تلقيتها على رأسك، أثرت في عقلك. الشرطة لم تجد أي أثر لهذا الرجل يا أليكس".

لم يكن لديها ما تقوله.

"هل تسمعي يا عزيزتي؟ تكلمي معي. أنت، في هذه اللحظة لست نفسك".

سألت: "هل تتذكر ما قلته لك عندما استيقظت على سرير العمليات".

"أجل، ولكن...".

"حينذاك، قلت لك بأن أضواء غرفة العمليات أعمتني".

قال بلهجة حادة: "بحق الله يا أليكس".

ثم تابع: "من الجائز أن أكون أنا وحارس الأمن قد فعلناها، فقد كنا نحمل مصابيح في أيدينا، وكنا نضيئها فوق وجهك".

"إذن، أنت لم تعد تصدقني".

ردَّ بهدوء: "لم أقل ذلك".

ضغطت على زرَّ إنهاء المكالمة ولم تدعه يسمع ردها، حينما همست بمرارة: "بلى، لقد فعلت".

كان الذهاب إلى حفلة الأطباء فكرة فيونا.

إنها فكرة سيئة بالنسبة لأليكس، لكنها ستذهب، وذلك من أجل فيونا ولكي تمنحها ليلة ممتعة. إنها تعلم، ومنذ مدة طويلة، أنه ليس لدى فيونا نشاطات

تقوم بها في حياتها خارج العمل، وبصرف النظر عن صداقتهما، تدرك أليكس أنها لم تهتم بصديقتها كثيرًا في الأسابيع الأخيرة.

في آخر خميس من كل شهر، تقام حفلة للأطباء، وفي كل مرة في مكان مختلف، إما في المدينة أو في النادي التابع للمستشفى. كان من المقرر أن تقام حفلة هذه الليلة في النادي الاجتماعي على أرض المستشفى. المبنى يقع بالقرب من أجنحة الأطباء السكنية، ومن ثم لا يحتاجون إلا إلى مشوار قصير قبل أن يعودوا إلى أسرتهم للنوم تحت تأثير الكميات الكبيرة من الكحول التي يستهلكونها عادة. عندما عادت أليكس إلى باث، عاشت في أجنحة إقامة الأطباء، إلى أن سمحت لها الظروف بالبحث عن مكان أكثر أمانًا للعيش فيه. توجهت إلى الحفل وقد عقدت النية على عدم الشرب.

من الواضح أن فيونا رغبت في الترفيه عن نفسها كثيرًا. كان شعرها مسدولًا وبتصفيفته المعتادة: مجعدًا ويؤطر وجهها. مرتدية سروال جينز أسود اللون وضيق، وبلوزة حريرية خضراء، معلق عليها بروش لامع يحمل شكل سانتا كلوز. وقفت أليكس معها في الخارج بينما كانت تدخن، وقد أزال رقة نيكوريت من كتفها وألصقتها على علبة سجائرهما. هزت أليكس رأسها منزعة عندما أعادت فيونا اللصاقة إلى كتفها بعد أن أطفأت السيجارة.

نبتها قائلة: "إذا واصلت فعل ذلك، فإن مستوى النيكوتين لديك سوف يرتفع".

ضحكت فيونا: "أه، اصمتي، فأنا طبيبة وأعرف كل شيء". ثم تابعت: "أنت تعيشين مرة واحدة فقط، ثم أن يومي كان عصيبًا. نحن ما زلنا في سن الشباب، والواحدة منا حرة وعزباء، لذلك دعينا ننضم للحفلة".

قالت ذلك متصنعة تعابير جذية على وجهها، وحمل خطابها بعض الغمز واللمز. وأردفت: "أنت بحاجة إلى المرح والانفتاح للتخفيف عن نفسك. أنت تحتاجين أكثر من الجميع إلى بعض المتعة والترفيه. أنت فائقة الجمال أيتها البقرة، ويمكنك اختيار من تشائين، أنت..."

رأت نظرة الحزن في عيني أليكس. فقالت: "يا تافهة، أنت تعرفين أنني لم أقصد... اسمعي... دعينا ننسى الرجال تمامًا، ولنذهب إلى الداخل ونستمتع. قبل كل شيء، دعينا نتمل".

هزت أليكس كتفها مستسلمة وعلى وجهها ابتسامة صغيرة: "امهليني دقيقة واحدة، وسأكون هناك. اللعنة الجوّ حارّ في الداخل".

"حسنًا، ما الذي تتوقعينه، وأنت ترتدين سترة صوفية في حفلة؟ ألا يمكنك خلعها؟".

هزت أليكس رأسها نافية: "لا ارتدي تحته سوى حفالة صدر. دقيقة واحدة وسأصبح أفضل حالًا، وبعد ذلك سأكون جاهزة للاحتفال".

انفتح الباب خلفهم، وتوجه نحوهم باتريك، بوجهه المتورّد وعينيه اللامعتين. قال: "تحية لكما، الحفلة بالداخل...".

تنهدت أليكس مستاءة من شدة الحرارة، وقالت ساخرة: "أنا فقط أستمتع ببعض البرودة يا باتريك. لقد أفرطت في ارتداء الملابس، كما ترى".

تفحصها بعينيه: "أليس لديك شيء أفضل من هذا لارتدائه يا عزيزتي؟ كنت قد تركت سترة الساتان الخفيفة في سيارتي. هل تريدني مني أن أحضرها لك؟".

قالت فيونا: "إنها فكرة جيدة يا بات".

لاحظت أليكس نظرة الاستهجان في عيني باتريك، وهو يرمق صديقتها بسبب اختزال اسمه. أدركت فيونا أنها أزعجت باتريك، لكنها لم تعرف السبب.

"إن اسمي باتريك، يا فيونا. أنت تعرفين أنني أحب أن أدعى باتريك".

ابتسمت فيونا ابتسامة دمثة وقالت: "بالفعل. ولهذا السبب أدعوك "بات".

قال مستهزئاً: "يمكنك أن تكوني لطيفة جداً حينما تشائين".

تنهدت أليكس مرة أخرى، فحدق فيها باتريك: "لماذا كل هذه التنهيدات؟ هل أنا السبب؟ من الواضح أنك لست سعيدة لوجودي هنا، مع أنك دعوتني. لقد رأيتك تصلين قبل ساعة من الآن، ولكنك لم تبحتي عني. من الواضح أنني لا أستطيع الحصول على أي شيء بشكل صحيح في هذه اللحظة".

أحست أليكس بضيق في صدرها. وأحست بأنها محاصرة، فأرادت أن تصرخ بأعلى صوتها لكي يتركها الجميع بمفردها. ولكن بدلاً عن ذلك، أعطت إجابة صريحة: "حسنًا يا باتريك، في هذه اللحظة، أظن أنني أنا من لا أستطيع أن أصحح أي شيء. لا يمكنني اختلاق أو اختراع قصة تناسب روايتك للأحداث. ما لم يكن لديك دليل ملموس على أنني لسْتُ معتوهة أو كاذبة، فلا يوجد شيء آخر يمكننا الحديث عنه. هذا هو الأمر بكل صراحة، أم أنك لا توافقني الرأي؟".

اكتست عيناه وميضًا: "يا عزيزتي، لقد أصبحت في حالة هستيرية، ولا أظن أن هذا هو الوقت أو المكان المناسبين لذلك".

هزت أليكس رأسها مستاءة: "ليس الأمر كذلك يا باتريك. وهذه هي المشكلة".

"ربما إذا قللت من كمية تناول المشروب، فستجدين أنه لا توجد أي مشكلة".

نظرت إلى فيونا قائلة: "سأراك في البار. أحتاج إلى خمس دقائق أخرى حتى أبرد".
وبذلك استدارت وخرجت.

أنهت أليكس الكأس الثالثة من الفودكا، تمت لو أنها ترتدي شيئًا أخف، حيث شعرت بالعرق يتجمع أسفل ظهرها. في الآونة الأخيرة، بدأت ترتدي الملابس التي تخفي شكل جسمها. كما لم تكلف نفسها عناء تصفيف شعرها، ووضعت بعض مساحيق التجميل فقط لإخفاء شحوب وجهها

والهالات الداكنة حول عينيها. لم تعد ترغب في أن تبدو بمظهر أنثوي أو أن تكون مثيرة بعد الآن. إنها تفضل أن تكون غير مرئية.

تفاجأت بروية ناثن بيل في البار. لم يسبق لها أن رآته في هكذا مناسبات من قبل. لم يخطر في بالها أن تسأل نفسها أبدًا عن السبب، ولكن لا شك لأنه شخص منعزل، وخجول اجتماعيًا. لم تكن تعرف شيئًا عن حياته الخاصة، باستثناء أن والدته قد "دخلت مرة أخرى مؤخرًا". لم تكن تعرف إلى أين تم أخذها، لأن ناثن لم يتوسع في شرحه، لذلك كان بإمكانها فقط أن تفترض أنه يقصد المستشفى. سمعته مصادفة، وهو يتحدث عبر الهاتف، قائلاً للمتصل: "أبلغها سلامي، وأخبرها أنني سأزورها يوم الثلاثاء". وعندما رأى أليكس، قال فقط: "إنها أمي، لقد تم إدخالها مرة أخرى".

في طريقها نحو ناثن، ألقت نظرة سريعة على باتريك. كان على حلبة الرقص مع فيونا وكثير من ممرضات القسم الأخريات، وهو يرتدي إكليل من الزينة الذهبية حول رقبته. وبالنظر إلى حركات الرقص غير المقيدة التي يؤديها، فإنه كان يعيش وقتًا رائعًا. بدت كارولين محرجة؛ فقد رقصت رقصًا أكثر تحفظًا مع عدد قليل من مساعدي الرعاية الصحية والممرضين. لوحت لأليكس عبر الغرفة، لكنهما لم تتحدثا. كان اختصاصي الأشعة إدوارد داوونينغ، مجتمعًا في زاوية، مع عدد لا بأس به من الموظفين من قسم الأشعة، منفصلين عن بقية رواد الحفل، وتساءلت عما إذا كان لديه حفلة وداع

خاصة به. كان توم كولينز وماغي فيلدينغ يتحدثان معا، كلاهما أنيق وطويل. التقت نظراتها بنظراتهم فأومات إيماءة سريعة. ثم أدارت ظهرها وتحدثت إلى ناثن.

"مرحبًا ناثن. لا أراك تشارك في هكذا نشاطات كثيرًا."

هز كتفه: "أظن أن عليّ أن أكثّر من الخروج. في الواقع... إنها فيونا... قالت إن عددًا من الزملاء في القسم سيذهبون... ومن ثمّ... هأنذا أتيت."

بالنظر إلى الجانب الأيمن من وجهه، والظاهر لأليكس، لاحظت أنه يملك وجهًا جميل الشكل، ذا عظام وجنة مسطحة وقوية، وفك طويل. كانت شفتاه شاحبتين غير ممتلئتين.

سأل فجأة: "كيف حالك؟"

أجابت بمرح: "بخير... رائعة."

"حقًا؟ كنت أظنّ أنّ أحوالك لا تزال صعبة."

"لماذا تفترض ذلك؟"

"هممم... لقد تعرّضت لهجوم قبل شهر، وحدث معك موقف في العمل. أنا آسف... ليس من طبعي أن أتجسّس. اقترحت الدكتورة كاوان أن نعمل معا في المناوبات نفسها لبضعة أسابيع، أتمنى ألا يكون لديك مانع؟"

بغض النظر عن وجود ناثن المستمر، فإن الأمور في العمل كانت تسير على ما يرام أثناء الأيام القليلة الماضية. إذا استقبل كل من الطبيبين

مريضًا واحدًا في الوقت ذاته، سيتم بذلك اختصار وقت الانتظار بالنسبة للمرضى الآخرين. كان هدف كارولين من هذه العملية هو مراقبة عمل أليكس. وأوضحت للموظفين الآخرين أنها فعلت ذلك من أجل تنظيم الوقت والحركة، وقد تقبلوا الأمر، وهذا ما جعل أليكس ممتنة لها. وإن وجدت همسات وثرثرة، هنا وهناك، لم تكن تهتم لسماعها.

أدركت كم كانت محظوظة بخصوص الموقف الذي حصل في حالة جورج بارتليت. فأي صاحب عمل آخر كان ليطلب إجراء تحقيقٍ كاملٍ حول خطأ الدواء المخدّر، لكن كارولين أعطتها فرصة. تناولت كأس ناثان، وشربت منه ثلث كمية الجعة. قالت، دون أن تعني ذلك: "أنا آسفة".

يجب أن تكون ممتنة لكارولين لأنها لم تحولها إلى تحقيق تاديبى رسمي. بالطبع، يجب أن تكون ممتنة لأن حياتها كانت ستتعرض للانهييار.

هز كتفيه، في إشارة إلى أن لا مشكلة، وأشار إلى أحد نُدل البار قائلاً لها: "دعيني أطلب لك كأساً من الجعة".

بعد بضع دقائق، مع المشروبات الباردة المعروضة على طاولة البار، وهو يُمسك بالنقود في جيبه، ردّت عليه أليكس كما لو أن الحديث لم ينقطع: "هل سمعت ما يُقال؟ يُقال إنني خيالية... واتخيل أشياء غير حقيقية".

"حقاً؟"

تجزعت شرابها، ثم قالت: "حسناً، على الأقل هذا

يتيح لي اتخاذ القرارات. إن التلف في الدماغ أو الخبل لا يوقف ذلك تمامًا. خيال... حسنًا، الأمر يبدو غريبًا نوعًا ما. أليكس المخبولة العظيمة".

كانت ثملة، ولم يكن يهفها إن بدت طائشة ومستهترة.

"هل توذين التحدّث في الموضوع؟"

"كلا، شكراً. أفضل أن نطلب المزيد من الشراب، ومن باب التغيير، حدّثنا عنك يا سيد بيل. أريد أن أعرف لماذا لا توجد برفقتك سيدة لطيفة في هذه الليلة".

"يمكنني أن أوجه إليك السؤال نفسه".

"أوه... أنا برفقة شخص. ذاك الرجل، ذو الشعر الداكن والمظهر الأنيق، الموجود في تلك الزاوية البعيدة، والذي يعتقد أنني ثملة وغير قادرة على الفصل بين الحقيقة والخيال".

بدا ناثان بيل محرجاً فقال: "أنا متأكد من أنه لا يفكر بهذه الطريقة".

"توقّف عن محاولة التخفيف عني يا ناثان. انتهى الأمر... إنه لا يصدّقني! لذا فقد انتهى الأمر".

عبس ناثان، ومهما حاولت أن تعزو فظاظتها لتأثيرات الكحول، لم تستطع ذلك. لقد أرادت أن تفاجئ الرجل المسكين، لكنها في الحقيقة فاجأت نفسها بذلك. لم يسبق لها أن تكلمت بهذه الطريقة أبداً. لم تتخطّ قطّ حدود السلوك اللائق. لقد خانت نفسها، ووضعت نفسها في موقف محرج الآن،

حاولت أن تنهض بسرعة قائلة: "اعتذر... يجب أن أذهب الآن".

هتفت فيونا من الخلف: "أذهب؟ حتى إننا لم نرقص بعد. ما هذا الاستعجال؟ لديك هنا الدكتور بيل الرائع، وأنا على يقين من أنه يود أن يرقص. أليس كذلك يا دكتور بيل؟".

رفع ناثن راحتي يديه إلى الأمام في حركة دفاعية قائلاً: "كلا... ولكن شكراً لك على أي حال... أنا هنا على ما يرام... في الحقيقة... كنت أفكر في المغادرة بعد قليل".

تراجعت فيونا إلى الوراء مثبتةً كلتا قدميها متباعدتين، وعبرت عن اشمزازها بحركاتٍ من وجهها، وحدقت في ناثن بغرابة، ثم كررت كلماته مقلدةً طريقته في الكلام بسخرية: "أنا هنا على ما يرام... في الحقيقة... كنت أفكر في المغادرة بعد قليل".

بدا ناثن مشدوهاً وأظهر ابتسامة حماسية، صفق ببطء قائلاً: "رائع! هذا مشهد احتفالي".

ابتسمت فيونا، وصارت تمشي نحو طاولة البار متمائلة بطريقة بطيئة واستفزازية، حشرت نفسها بين ناثن وأليكس، ملتفتةً إلى أليكس وقالت: "عزبتي، لا شك أن لديك شيئاً أفضل من هذا لارتدائه، أليس كذلك؟".

عندما سمعت البائعة في البار كلام فيونا، حملقت فيها، وقالت بصوتٍ ملؤه الإعجاب: "أنت رائعة! هل يمكنك تقليد أي من المشاهير؟".

توقّف أشخاص آخرون في الحانة عن الكلام للاستماع إليها، ابتسمت فيونا أمام جمهورها المنتظر. علّقت عينيها على أليكس، غمزت مشيرةً إلى أليكس، حيث ظهر باتريك فجأة من خلف كتفها. قالت مقلّدة صوت أليكس: "توقّف عن محاولة التخفيف عني يا ناثن. انتهى الأمر... إنّه لا يصدّقني! لذا فقد انتهى الأمر".

أحسّت أليكس كما لو أنها تلقت صفة، فقد أذهلها مدى التشابه بين صوت فيونا وصوتها، وصدمتها قسوة صديقتها القريبى.

تمتت قائلة: "يجب أن أذهب".

وبينما كانت تمشي في موقف السيارات بخطى متعثّرة، ووجهها محمّرٌ حرجًا، لم تشعر بأن ناثن كان يتبعها.

توقّفت عندما رأت سيارتها الميني الخضراء. كانت قد ركنتها في وقت سابق بالقرب من المبنى، مع مراعاة وضع السلامة والحذر، وإبقاء الأضواء الخارجية مضاءة. فكان من السهل عليها رؤية الرسالة المرسومة على الزجاج الأمامي للسيارة. شاهدت الكلمات التي كانت قد كُتبت بوساطة بخاخ أصفر على عرض الزجاج بأكمله: أليكس تحب أن تقول نعم.

بعد أن أجريا محادثة قصيرة مع الضابط في مكتب استقبال مركز الشرطة، تم فصلهما عن بعض. حيث أدخل ناثن إلى غرفة المقابلات المجاورة لصالة الاستقبال، بينما اقتاد ضابط آخر أليكس

وقام بالضغط على أرقام على لوحة مفاتيح المصعد، ليرافقها إلى مكتب المفتش تورنر في الطابق العلوي. ثرّكت بمفردها في المكتب لأكثر من أربعين دقيقة، حتى إن مخطّط الغرفة وتنسيق محتوياتها كان قد طبع في ذهنها.

كانت الجدران الأربعة للغرفة مطلية بلون ليلكي باهت، وعلى الأرضية، توجد سجادة زرقاء اللون. وتوجد على النافذة الوحيدة ستائر بيضاء مسدلة، جعلت الغرفة خائفة. كانت في الجانب المخصص للزوار من المكتب، جالسة على كرسي مماثل للكرسي المقابل لها. وعلى طاولة المكتب توجد أعداد من كل من صحيفة باث، وغارديان، و ديلي ميل موضوعة في تراتبية مختلفة للقراءة. كذلك رأت غطاء لحافظة بلاستيكية، فيها دجاجة نصف مأكولة وأوراق طازجة من الخس البني، وعلبة كوكا في وضعية متوازنة على حافة النافذة.

سمعت ضجيجًا في الممر، ودخل المفتش تورنر، حاملاً بيده صينية عليها كوبان ووعاء سكر.

قال على سبيل التحية: "قهوة"... ثم أوما برأسه نحو الهاتف المحمول على الصينية بجانب القهوة: "تفكير سريع من قبل صديقك".

كان ناثن قد التقط عدة صور لسيارتها بينما كانت هي تتفحصها مرعوبة.

قال الضابط: "اعتذر لأنني تركتك تنتظرين. أرسلت بعض العناصر إلى المستشفى على أمل الحصول على بعض اللقطات من كاميرات المراقبة في النادي

الاجتماعي. سوف لن يتأخروا كثيرًا".

تنفست أليكس الضعداء. ففي وقت قريب ستعرف من فعل بها هذا. وكذلك ما يفعله الجميع.

سأل غريغ تورنر: "هل هو حبيبك؟".

هزت أليكس رأسها، نافيةً: "كلا. إنه زميل... صديق".

"وهل ذهبت إلى الحفلة برفقته؟".

"كلا... كنت مع صديقي، وصديقة أخرى، هي فيونا وودز. التقيت ناثن في الحفلة، وقد تبعني عندما كنت... لقد وضعت نفسي في موقف محرج؛ لأنني كنت ثملة، لذا تبعني ناثن عندما خرجت من النادي. كان برفقتي عندما وصلت إلى سيارتي".

سأل غريغ تورنر بلهجة استنكار: "لم تكوني تنوين قيادة السيارة، أليس كذلك؟".

عاودت هز رأسها مؤكدة: "رغبث فقط أن أبقى وحدي بعض الوقت. على أي حال، لم يكن بإمكانني تشغيلها، فالمفتاح في حقيبتني، والحقيبة لا تزال في مكان الحفلة".

"وصديقك؟".

"ربما لا يزال هناك. ربما لم يلاحظ أنني غادرت".

احمر وجهها عندما شعرت أن في صوتها نبرة شفقة على نفسها، فغيرت الموضوع بسرعة وقالت: "كيف حال والدي إيمي أبوت؟".

أجاب مع حركة صغيرة من كتفه: "إنهما منهاران.

غير قادرين على تقبل ما حدث".

"وعشيقها؟ هل عثرت عليه؟"

نظر إلى مكتبه، وفرك جسر أنفه بإصبعه بحركة غاضبة: "نحن لا نعرف إن كان لديها عشيق، فما نعرفه فقط هو أنها حامل".

قالت: "إذن، لم تتوصل إلى أي شيء، أليس كذلك؟".

"دكتورة تايلور، حقًا لا يمكنني مناقشة القضية معك".

"وتقول ذلك دون أن تنظر إلي!".

رفع رأسه من فوره، ولاحظت أليكس أنه قادر تمامًا على الحفاظ على التواصل البصري.

أحسّت أنها حمقاء، فهو مدربّ على التعامل مع المجرمين الذين، بلا شك، يتجنبون هذا الوضع بالذات.

سالت: "هل يصدّق والداها أنها هي من فعلت هذا بنفسها؟" ثمّ أضافت: "هل يعتقدان أنّ ابنتهم ماتت بسبب ما حصل لها؟".

ظَلّ صامتًا، لكنّها عرفت الجواب.

قالت بهدوء: "بالطبع لا يعتقدان ذلك. من غير المعقول ومن المشين أن تُقدّم أيّ شابة على فعل ذلك. وأين كانت مفقودة طوال الوقت؟".

اصطنع ابتسامة مهذّبة وقال: "لا نعم حتى الآن. ما زلنا نحقق في الأمر. فقد كان لديها الكثير من

الأصدقاء. وكما تعلمين تم العثور عليها في الشارع.
آخر رؤية مسجلة لدينا...".

قالت أليكس: "في ساحة كينغسميد". ثم أكملت
متلكنة: "أنا أعلم ذلك. لقد قرأت هذه المعلومات في
الورقة".

"اسمعي يا دكتور تاييلور، فيما يتعلق بنا، فهذا
ليس تحقيقًا في جريمة قتل. في أسوأ الأحوال،
هو انتحار، ولكن أغلب الظن أنه حادث مأساوي. لا
تظني أن هذا الكلام له علاقة بك. طبعًا، إلا إذا كنت
تملكين معلومات مختلفة عما لدينا".

كانت تشعر بصداع ونقر على رأسها من أثر كمية
الكحول التي شربتها، ومن صخب الموسيقى الذي
تركته خلفها.

قالت: "أنت لم تكن هناك عندما ماتت... إنها
كانت تقول لي شيئًا... نعم، أعرف أنها كانت تريد
أن تخبرني بشيء. كان ذلك واضحًا في عينيها...
هي...".

قاطعهما صوت طرق على الباب. تفاجأت أليكس
برؤية لورا بيست وهي تدخل الغرفة. ابتسمت لها
المرأة بوضوح أكثر مما توقعت. ربما لأن أليكس هذه
المرة ترتدي ملابسها الخاصة ولا ترقد على سرير
مستشفى، مما يجعل المحققة تتعامل معها على أنها
شخص عادي، لا كونها ضحية يتم استجوابها. أو
ربما كانت تُظهر أمام غريغ تورنر وجهها الإيجابي؟
سألها: "بماذا يمكنني أن أساعدك؟".

قالت وهي تحمل حقيبة فيديو سوداء: "ها هي لقطات كاميرات المراقبة".

"يا الله، كنت سريعة جدًا... كيف فعلتها... هل طرت إلى هناك؟".

ابتسمت لورا بيست: "كنت قريبة من المكان، وكان من السهل أخذ اللقطات بسرعة. لدى الدكتورة تايلور ما يكفي من المتاعب. أنا متأكدة من أنها متلهفة لرؤية المعتدي عليها".

نطقت كلمة "المعتدي" بطريقة لطيفة، لكن أليكس كانت حساسة بما يكفي لإدراك أن تقولها بسخرية.

أعطائها المفتش تورنر إيماة وأشار إلى أنه يجب أن تضع الفيديو. إن نظرتها وحركة الكتف اللتين أبدتهما لرئيسها، كانتا تشيان أن لورا بيست قد قامت بمشاهدة مئة لقطة، ولم يكن هناك الكثير من اللقطات المفيدة. انقبض قلب أليكس، وظلت على تلك الحال إلى أن شاهدت الحادث الذي جرى لسيارتها.

كان المعتدي يرتدي سترة غامقة كبيرة المقاس لها قبة فضفاضة، تحجب رأسه ووجهه بالكامل، وسروالاً وقفازات كبيرة أخفت شكل يديه ولون بشرته. كان من الصعب التعرف عليه.

"أظن أنها كانت مزحة".

جحظت عينا أليكس وقالت: "عفوًا...؟!".

رغبت لو أنها تنهض من مكانها وتصفح وجه لورا بيست.

نظرت لورا بيست إلى غريغ تورنر نظرةً تحرّضه فيها على الموافقة على رأيها: "إنها مزحة".

ردّ غريغ تورنر: "إنها مجرد مزحة سخيفة".

"حسنًا... أجل... بالطبع... لكن مزحة، أو مقلب، إذا كنت تفضل ذلك".

شعرت أليكس بالغثيان من الكلام الذي سمعته ثم قالت: "هل تظن أن شخصًا ما فعل ذلك لأنه يعرف أنني قلت له نعم؟".

لم يجبها أحدٌ منهما.

فأضافت: "هل تظن أن شخصًا ما فعل ذلك لأنه يظن أنني امرأة سهلة المنال؟".

هزّ غريغ تورنر رأسه بحزم: "إذا لم تكوني قد تحدثتِ عن التفاصيل الدقيقة لقضيّتك إلى أحد، فلا أعتقد أن أحدًا يعرفها. هل تظنين أنه من الممكن أن تكوني قد أخبرتِ شخصًا ما، وهو من فعل ذلك بسيّارتك بعد ذلك؟".

هزّت رأسها نافية بشدّة.

"حسنًا، يمكنني إذا أن أعد أن المفتشة لورا بيست يمكن أن تكون محقّة في كونها مزحة سخيفة. ربما قام بها شخصٌ، سبق وسمع قضيتك، والآن يمارس قسوته بتحويلها إلى عرض جانبي".

نهضت أليكس ووقفت على قدميها بصعوبة. قالت: "أنا متعبة، أريد أن أذهب إلي البيت حالًا".

قال لها تورنر: "اشربي قهوتك أولاً. سنتحدث قليلًا، ثم سأوصلك إلى المنزل".

توجهت أليكس نحو الباب بالفعل. قالت: "لا أظن ذلك. أنا مجرد مزحة. أليس هذا صحيحًا يا حضرة المفتش تورنر؟ إذن، لا تنس أن تضحك جيدًا على حسابي".

"دكتورة تايلور، هل تريدان هذا؟"

استدارت أليكس، رأت حقيبة يدها السوداء مع لورا بيست. استغربت، وعادت إلى الغرفة لتأخذها.

أفصحت لورا موضحة: "قالت السيدة التي تعمل في البار بأنك تركتها خلفك. وقد توقعت أنك تودين أن أجلبها لك".

تمت أليكس بشكرها.

تبعها الصمت وهي تشق طريقها عبر الردهة إلى الباب. لم تَرَ ناثن في أي مكان. لازمها الصمت إلى الظلام، لكنها كانت تستطيع سماع صوت الرجل الذي هاجمها وهو يسخر منها بقناعه الجراحي:

"ماذا تعني كلمة "لا"؟ إنه سؤال سهل".

الفصل الخامس عشر

لقد مضت ستة أسابيع على تلك الليلة المرعبة، وأسبوغ واحد على حفلة الأطباء. لا يزال الخوف يلاحقها، وكان أي أمل في التفكير بأنه لم يعد يشكل خطرًا عليها يتلاشى من ذهنها لمجرد أن كانت ترى سيارتها. أحسّت بالرعب من فكرة أنه لا يزال موجودًا، ولا تستطيع فعل شيء لإثبات ذلك. فيما يتعلق بالشرطة، فقد عدّوا الرسالة التي كُتِبَتْ على سيارتها مجرد مقلب أو مزاح، وأنها كانت هدفًا لمزاح ثقيل قام به شخص ما.

رفعت الكيس الورقي إلى فمها وبدأت تتنفس فيه. عليها أن تتوقّف عن التفكير في الأمر، وإلا فإنها ستضطرّ إلى أن تسجن نفسها في منزلها، لكنّ الأمر صعب للغاية. لا يُبارحها القلق طوال الوقت. في العمل، تحاول قدر المستطاع أن تركز سيارتها بالقرب من قسمها. إنها تنظر بإمعان إلى كل الرجال الذين يمرون من أمامها، تتفحصهم بفضول. جميع من اتصلت بهم من عمال وممرضات وأطباء، أصبحوا الآن، بالنسبة لها، مشتبهين بهم. كذلك جميع المرضى الذكور الذين عالجتهم، وضعتهم في دائرة الاشتباه، لا سيما أولئك الذين يعانون من أمراض خفيفة، فقد كانت تقف أمامهم وهي تتفحص ملامحهم، وتركّز على أصواتهم. لكن لم يكن لأيّ منهم صوت ذلك الرجل. كيف يمكن ذلك؟ لقد قام بتغيير طبقة صوته بحيث بدا مشوشًا.

أكثر ما ذكرها بصوته، هو صوت مريض أجريت

له عملية الفغر الرغامي، حيث ثقت قصبته الهوائية وأدخل إليها أنبوب اصطناعي لمساعدته على التنفس. عندما تحدث، بدا صوته ميكانيكياً لأن الهواء لم يعد يمر عبر الحبال الصوتية بل عبر أنبوب بدلاً من ذلك. وها هي تتساءل بجنون، هل يمكن لرجل مصاب بثقب القصبة الهوائية أن يخطفها؟ أيكون قد عذها مسؤولة عن فقدان صوته؟ كادت تفقد عقلها مع كل هذه التخمينات الجامحة. إنه يقودها إلى الجنون ويدمر حياتها.

كان باتريك قد توقّف عن الاتصال بها. كانت آخر رسالة مسجلة وردت منه قبل ثلاثة أيام لا تزال محفوظة. قامت بتشغيلها مرارًا وتكرارًا، لتكتشف أيّ نفاق في كلماته. لكن اعتذاره عن التسبب لها بالأذى بدا صادقًا. فلم يعد يذهب، من خلف ظهرها، إلى كارولين ليتحدّث عنها. كان تصرّفه شائنًا، وقد ندم على ذلك بشدّة، لكنه شعر أن وضع أليكس، قد خرج عن السيطرة. أحس أنه خذلها بعدم تصديقه لها. لقد حافظ على رباطة جأشه إلى النهاية حين قال بصوت عميق: "أحبك يا أليكس. أريد أن أتزوجك. من فضلك اتصلي بي".

لم يكن سبب مقاطعتها له وعدم التواصل معه، هو ثقته في كارولين -على كونه أمر مؤلم- إنما بسبب اعترافه لها بأنه لم يصدّقها. دون وجود الثقة والإيمان التامين بالشخص الذي تحبه، لن يكون هناك أي أساس للبناء عليه، ولن تُتاح فرصة النجاح لعلاقة طويلة الأمد، مثل الزواج. بالنسبة إليها، انتهت علاقتهما، مع أنها لم تنته بينهما رسميًا.

لما وقفت وحيدة في المطبخ، تمتت لو أنها لم تفتقدته. كانت تتمنى آلاف المرات أن يعود كل شيء كما كان في أول لقاء بينهما. تمتت لو أن كلا منهما يخطط الآن لما سيشتريه للآخر هدية لعيد الميلاد.

ولكن أكثر من كل هذا، تمتت لو لم تره بهذه الصورة، وقد صار شخصاً مختلفاً وضعيفاً، شخصاً ما كانت لتتوقع في حبه أبداً. كما لو أنها فقدت باتريك، وحل محله هذا الرجل الجديد. استدركت في حزن، ربما هو أيضاً أحس بالشعور نفسه تجاهها.

إنهما فقدتا بعضهما. حتى لو بحثا بعضهما عن بعض بجد، فسيظلان ضائعين لأنهما لم يعودا الشخصين ذاتيهما. لقد نجت من تجربة مروعة، بينما اعتقد هو أنها تجربة متخيّلة.

قبل ستة أسابيع، كان لديها صديق تحبه، ووظيفة تحبها، وحياة خاصة. في غضون بضع ساعات، تم القضاء على عالمها. لقد أصبح الآن غارقاً في الغموض والقلق، يكتنفه المجهول. لولا عملها وتلك الحبوب الزرقاء الصغيرة التي تخفف عنها، لما استطاعت الاستمرار.

في وقت لاحق من بعد ظهيرة ذلك اليوم، لامت نفسها لأنها جعلت كل تسوقها لعيد الميلاد في يوم واحد. عادت إلى موقف السيارات بصعوبة، تحت وطأة حقائب خاصة بمتاجر جون لويس، وماركس أند سبنسر، وثورنتون. كان ينبغي عليها الإبقاء على خطتها الأصلية، وإعطاء الجميع قسائم بدلاً من شراء الهدايا. كان ذلك سيوفر عليها الوقت والجهد،

ولما عانت الآن من كل هذا التعب، ولما شغلتها فكرة أن تكون الهدايا التي اشترتها، ربما، غير مناسبة. فالقميص الذي اشترته لوالدها بدا عصريا أكثر مما يجب، وثوب والدتها يشبه الثوب الذي اشترته لها العام الماضي. لقد كان يوما طويلا، خاليًا من أي شعور بالبهجة. لم تتصل مع فيونا لتخبرها بأنها ذاهبة للتسوق، إنها لم تتحدثا بعضهما مع بعض منذ ليلة الحفلة، فهي لم تغفر لها بعد.

كانت حقائب التسوق مبعثرة على المقعد الخلفي لسيارتها. انضمت إلى مسرب المركبات بطيئة السرعة في طريقها إلى المخرج، أملت أن يكون الازدحام المروري من بريستول إلى باث قد خف منذ الصباح. أرادت التوقف عند المرآب لغسل سيارتها؛ لأن بقعا من الطلاء الأصفر لا تزال عالقة على الزجاج الأمامي، على الرغم من أنها كانت قد نظفتها وفركتها جيدًا. تبقى السيارة النظيفة أقل تذكيرًا لها بما حدث. عندما عادت إلى المنزل، استجمعت قواها لكي تقوم بترتيب شقتها. من ناحية أخرى، فإنها ستكون، يوم غد، في إجازة من العمل، ويمكنها الاستفادة من ذلك الوقت في القيام بجميع الأعمال المنزلية. هذا سيبقيها مشغولة حتى تعود إلى العمل.

وبعد ذلك يمكنها العودة إلى التفكير في حياة الآخرين بدلًا من التفكير بحياتها.

خيم الظلام الشتوي في الرابعة مساءً، بينما كانت تقود سيارتها في الطريق المنحدر إلى موقف

السيارات في الطابق السفلي تحت مبنى شقتها، وكان ذهنها خاليًا من التفكير بكل الأشياء المزعجة، مشغولة بالتفكير بما ستأكله على العشاء، بالحفام الطويل الذي ترغب بأخذه، وبمشاهدة الدراما التلفزيونية التي تعرض في الساعة التاسعة.

لو أنها كانت تقود السيارة أسرع بدرجة واحدة فقط، لكانت قد صدمت المرأة مباشرة. داست على الفرامل بقدمها بقوة، وحاولت إضاءة المصابيح الأمامية كلها. كانت المرأة مستلقية على الأرض، ممددة على ظهرها في موقف سيارة أليكس. في حركة غريزية، فتحت أليكس صندوق السيارة الداخلي، وسحبت منه قطعًا مختلفة من المعدات الطبية التي تحتفظ بها في متناول يدها، في حال وقوع حادث ما. هرعت لنجدة المرأة مسرعة، وهي تحمل في إحدى يديها السماعة وأنبوب هواء فموي بلعومي، وفي يدها الأخرى رزمة من الضمادات.

لفتتها ملابس المرأة ومساحيق التجميل على وجهها: حذاء أسود لامع بكعب عالٍ، وتثورة ساتان حمراء قصيرة تغطي بصعوبة الفخذين العاريتين، وقميص أسود ذو فتحة عنق منخفضة، تحت سترة من الساتان كريمي اللون. ظنت للوهلة الأولى أن المرأة قد تعرّضت للضرب، ولكن عندما تفحصتها عن قرب، تبين لها أنها مخطئة. كان مرفقها الأيمن مفتوحًا بزاوية مستحيلة، وبدا كتفها متورمًا بشكل كبير. عظام أصابعها قد اخترقت الجلد منحنية إلى الخلف. تجاهلت أليكس الهد الدامية. أكثر ما أثار قلقها هو العلامة السوداء على السترة الكريمية،

على صدرها. كانت آثار إبطار سيارة. أخرجت هاتفها المحمول وطلبت سيارة إسعاف.

قزبت أذنها من فم المرأة، شعرت بدفء أنفاسها، كما لاحظت ارتفاعاً في صدرها. كان الوريد في رقبتها منتفخاً ونبضه قويًا. إنها تتنفس ولكن لا تدري إن كانت على ما يرام. إذا كانت قد صدمتها سيارة، فهناك احتمال لكسور متعددة في أضلاعها، وإصابة في الرئتين. فتحت الزر المفرد الذي يغلق السترة كريمة اللون، ومزقت القميص الأسود الرقيق من المنتصف. كان القفص الصدري مشوهًا، ولم يكن هناك سوى ارتفاع ضعيف على الجانب الأيسر من الصدر. لاحظت أن الصدر قد تعرّض لصدمة كبيرة، وأيقنت أنه دون وجود فريق جراحي وأدوات مناسبة يمكن أن تفقد المرأة حياتها.

كانت توجد معها في صندوق سيارتها مجموعة قسطرة صغيرة، عبارة عن أنابيب للصدر، ومشارط، ومعدات أخرى، تفيد في إجراء نفخ الرئة، ولكن إن كانت الأوعية الدموية قد تعرّضت للتلف بشكل كبير، فإنّ الدم فقط، أو كميات كبيرة من السوائل الفستبدلة، ستحافظ على نبض قلبها. ولكن عليها أن تفكر بشكل إيجابي. عليها فعل ما بوسعها لإبقاء المرأة على قيد الحياة لأطول مدة ممكنة.

تنبّهت إلى صوتٍ مخنوقٍ صادرٍ عن المرأة، فالتفتت إلى وجهها، وأصيبت بصدمة حين رأت عيني المرأة مفتوحتين.

قالت لها بهدوء: "مرحبًا، لقد تعرّضت لحادث، وأنا

أقوم بساعدتك".

حاولت المرأة الإجابة ولكن لم يخرج من بين شفثيها المتحرّكتين أي صوت.

"أنا طبيبة. وسيارة الإسعاف في الطريق".

شعرت أليكس بأمل ضعيف. فطالما أن المرأة واعية، هذا يعني أنها، ربّما، لا تعاني من نزيف داخلي. لا شك أنّ إحدى رثتيها متضّرة تمامًا، لكن يمكن لأليكس معالجة ذلك. كل ما يهمّ الآن، هو الحرص على إبقائها تتنفس؛ لأنه إذا توقّف قلبها عن الخفقان، فستكون أليكس تضغط على أضلاع مكسورة نحو قلبٍ ورثتين من المحتمل أنها متضّرة.

سعلت المرأة، فتطاير رذاذ الدم من فمها ولوث كلّ وجهها. مسحت أليكس جفنيها بأطراف أصابعها بعناية، صلّت في عجلة من أجل وصول سيارة الإسعاف بسرعة. فقد كانت المرأة على وشك أن تموت من شدة النزف! ثم تكلمت المرأة. نبه صوت غرغرة الدم أليكس إلى أنها كانت تختنق. قالت: "أحدهم يريد أن يلعب دور الأطباء... انقذيني...".

سعلت مرة أخرى، وبأسنان مليئة بالدم، ابتسمت ابتسامة شنيعة وأضافت: "أحد الأطباء...".

غمر الدم فم المرأة، استخدمت أليكس الضمادات، وملابس المرأة، وما أمكن من ملابسها الخاصة لتمسح الدم النازف بغزارة. ولم يتوقّف الدم عن السيلان إلا عندما توقّف قلبها عن الضخ.

وصل طاقم الإسعاف. وجدوا المرأتين غارقتين في الدم من الرأس إلى أخمص القدمين، ظنوا في البداية أن كليهما مصابتان. فيما بعد، وعندما حققت الشرطة مع المسعفين، وصفوا الدكتور تاييلور بأنها كانت تبدو كامرأة مجنونة راكعة على جثة. قال أحدهم: "بدت مثل كاري في فيلم الرعب المشهور، حين كان شعرها ووجهها يقطران دما، وعيناها تحمقان".

قال أحدهم: "مثل كاري اللعينة".

الفصل السادس عشر

طوّقت أربع سيارات شرطة وحافلة نقل المكان الذي غيّر فيه على المرأة المقتولة. حضر عناصر طاقم الإسعاف، وغادروا، ثم حلت محلهم مجموعة من عناصر الشرطة. طلبوا من سكان المبنى العائدين من أعمالهم أن يركنوا سياراتهم في مكان آخر. سوف تُمنع المركبات من الدخول إلى المكان عدّة أيام، على الأقل، باعتباره مسرح جريمة. كانت أليكس ترتعش وهي في المقعد الخلفي لإحدى سيارات الشرطة. لم يُسمح لها بالصعود إلى شفتها وتغيير ملابسها؛ جفّ الدّم على ملابسها ويديها، وتكوّنت قشور سوداء تحت أظافرها.

رأت لورا بيست برفقة شرطي آخر يحومان حول سيارتها الميني الخضراء، التي تمّ غسلها حديثًا، عدّة مرات. انبطحا على بطنيهما يتفقّدان أسفل السيارة. ثم طلب منها أحد عناصر الشرطة أن تنفخ في جهاز كشف الكحول، كانت أليكس مطمئنة لأنها في الأيام القليلة الماضية لم تكن قد تعاطت الكحول. إنّها متهمة في جريمة قتل. ليس بالضرورة أن تكون المشتبه به الأول، ولكن يبقى المتهم متهمًا لا فرق. كانت قد قدّمت إفادتها المختصرة للضابط الأول في مكان الحادث، وقيل لها بأنّه سيتمّ استجوابها مرّة أخرى لاحقًا. لقد مرّ أكثر من أربع ساعات منذ أن عادت من تسوّق عيد الميلاد، ومع أنّه كان وقتًا مليئًا بالأحداث التي تدور من حولها، إلا أنّها تعدّ من أطول الساعات التي عاشتها على

ربما لو استطاعت مغادرة سيارة الشرطة وعبرت موقف السيارات باتجاه المصعد، دون أن يراها أحد، لأمكنها أن تذهب إلى شقتها، لكي تستحم، وتعد شيئاً للعشاء...

انقطعت أنفاسها من شدة البكاء، حتى لم تشعر بوصول المسعفين وفتح باب السيارة لمساعدتها على الخروج. ثم رافقوها إلى شقتها، وألقوا غطاءً على كتفيها، ثم قَدَموا لها كوباً من الشاي الساخن، فجعلها دفء الشاي المحلى تعود لتدرك ما يدور حولها.

وقف غريغ تورنر على بعد عدة أقدام، وهو يراقبها بعينين مضطربتين. كان المطر يتساقط على شعره المتموج، ويبلل أكتاف سترته الجلدية، وللمرة الأولى لم يكن جافاً في تعامله معها.

قال: "اعتذر عفاً حدث. سيكون لي معهم كلام آخر لاحقاً. أظن أنهم نَسُوا بأنهم وضعوك في المقعد الخلفي للسيارة".

عندما تسلل الدفء إلى أطرافها المتجمدة برداً، انتابتها قشعريرة. كان الطقس في موقف السيارات، تحت الأرض، بارداً بطبيعة الحال، وجلوسها عدة ساعات زاد من إحساسها بالبرد، حتى كادت تفقد الإحساس بأطرافها. همست: "لم أستطع إنقاذها. كان الأمر أشبه بمنطقة حرب. استمر دمها ينزف ولم يكن بوسعي فعل شيء. قال المسعفون إنها مُصابةً بجروح خطيرة. لا أظن أن بإمكان أحد فعل الكثير

في هكذا ظروف".

ثم صرخت: "ولكنني طيبة". وتابعت: "هذا عملي... مهفتي هي إنقاذ الأرواح. كان يجب أن أفعل المزيد، كان يجب علي التصرف بشكل أسرع. وضعت لها أنبوبًا صدريًا لتفريغ الصدر من الدم النازف. ووضعت أنبوبًا آخر في مجرى التنفس، ليساعدها على التنفس... هذا قبل أن تفرق في دمها!".

قال بهدوء: "أنا متأكد من أنك فعلت كل ما بوسعك". ثم أضاف: "سنحتاج إليك في أن تدلي بشهادتك بشكل تفصيلي. وكلما قمنا بذلك بشكل أسرع، كان هذا أفضل".

وبينما كانت تمسك الكوب الدافئ بين يديها، لاحظت أليكس أن الدم الجاف يكسو أظافرها، وأن رائحة معدنية لاذعة تفوح منها بفعل الحرارة.

"هل يمكنني أن أستحم أولًا؟".

تردد، ثم قال: "بالتأكيد. لكننا نحتاج إلى الملابس التي ترتدينها".

"أنا متهمة... أليس كذلك؟ يظنون أنني دستها بالسيارة، أليس كذلك؟".

هز رأسه: "إنها مجرد إجراءات. فمن الممكن أن يوجد أي دليل على ملابسك. لقد كانت عاهرة. وتعرف باسم "ليلي وقت الغداء".

حدقت فيه أليكس بازدراء.

رفع يديه، مشيرًا إلى أنه ليس هو من أطلق عليها

هذا الاسم. ليليان أرمسترونج، معروفة لأصدقائها ولنا باسم ليلي. اكتسبت اللقب لأنها كانت تعمل عادة أثناء ساعات النهار فقط، أثناء وجود أطفالها في المدرسة، ولعدم وجود زوج يهتم بهم في الليل. راحت أليكس تخفن من أي صنف من النساء كانت تلك المرأة، لكنها لم ترغب أن تقول. لقد التقت بكثير من النساء مثل ليلي على مز السنين، وتعرف أن لديهن أسبابهن للقيام بما يفعلن. عندما كن يراجعن قسم الطوارئ في المستشفى بدلاً من ذهابهن إلى عيادة الصحة الجنسية من أجل المراهم والمضادات الحيوية، كانت حريصة ألا تطلق عليهن أحكاماً جائرة أبداً. وغالباً ما كانت تقدم لهن الشاي بنفسها بعد أن يتم علاجهن من آثار الضرب الذي تعرّضن له في الكثير من الأحيان. كان عالمهن عالقا مريضاً، ووظيفتها هي معالجة المرضى.

قالت: "سأضع ملابسي في كيس بلاستيكي إذا أردت".

سحب كيسين بلاستيكيين كبيرين من جيب سترته وقال: "أفضل أن تضعيها في هذين الكيسين".

نهضت أليكس واقفة في ضجر وقالت: "هناك آثار إطارات. توجد على سترتها آثار إطارات سيارة".

عبس تورنر: "أين بالضبط من السترة؟".

"على صدرها... لقد تمّ دوسها".

"هل حركتها عندما وصلت إليها؟".

أجابت بحدة: "بالطبع لم أفعل. ربّما كانت مُصابة بإصابات في العمود الفقري!".
"أنا آسف، لم أقصد أن أتهمك".

"هذا مفهوم... لقد مررت بيوم عصيب". ثم سألت:
"لماذا تسألني هذا السؤال؟ لماذا تظن أنني قمث بتحريكها؟".

هز كتفيه قائلاً: "إنها مجرّد فكرة".

ما كان ليصدمها غريب تورنر بذلك السؤال، لمجرد فكرة خطرت له، ما لم يكن هناك سبب لذلك. لكنّها لا تظن أنه سيخبرها ما هو. كان عليها أن تعمل بنفسها لتعرف ما يدور في رأسه، لكن، بعد أن ترتاح قليلاً.

كانت الساعة تقترب من الحادية عشرة عندما أغلقت باب منزلها، أخيراً. صدرت تعليمات تطلب منها الحضور إلى مركز شرطة باث في اليوم التالي للإدلاء بإفادتها الكاملة. تمت ألا تكون لورا بيست هي من ستتحقق معها. حينما كانت تجلس في المقعد الخلفي في سيارة الشرطة، رمقتها المرأة عدّة نظرات فاحصة وباردة. كان عناصر الشرطة لا يزالون يفحصون موقف السيارات والمحيط الخارجي له. سمعت صوت طرقات على كثير من أبواب جيرانها، لا بدّ أنهم طلبوا منهم أن يدلّوا بإفاداتهم، لكن الشك راودها في أن تتمكن الشرطة من العثور على أيّ شيء.

لديهم آثار إطار سيارة، لكنّها راهنت على أن هذا كلّ ما يمكنهم أن يجدوه من أدلّة.

كما الحيوان المنزلي الأليف الذي يلجأ إلى مكانه المعتاد للنوم، كذلك لجأت أليكس إلى مكانها المعتاد للنوم. مسندة ظهرها إلى جدار غرفة المعيشة، تحت لحاف يغطيها حتى كتفيها، تذكرت مرة أخرى كلمات المرأة: "أحدهم يريد أن يلعب دور الأطباء...".

حتى هذه اللحظة، كانت تعتقد أن المرأة قصدتها هي؛ كونها طبيبة وتحاول إنقاذها. ولكن لنفترض أن الأمر لم يكن كذلك، ثرى هل كانت المرأة الميتة تقصد الشخص الذي داسها؟
"أحد الأطباء...".

لنفترض أن الشخص الذي صدمها طبيب؛ إذن، لماذا لم يحاول إنقاذها... أو لماذا لم يطلب سيارة إسعاف؟ هل يمكن أن تكون الحادثة متعمدة؟ هل يمكن أن يكون من داس المرأة هو الشخص نفسه الذي استهدف أليكس؟ راودتها فكرة مرعبة، ماذا لو كان قد جاء لمهاجمتها هي مرة أخرى، فظهرت له ليليان أرمسترونغ واعترضها بطريقة ما؟ هل يعلم أنها تقيم هنا؟

"أحدهم يريد أن يلعب دور الأطباء...".

إن كلمات ليليان أرمسترونغ الأخيرة لم تكن سوى آخر محاولة ضعيفة من امرأة تحتضر لفهم ما يحدث لها. صلت أليكس لتكون كذلك. يعني أن المجرم كان موجودًا هناك. لا يزال نشطًا، ولم تكن تلك هي المرة الوحيدة. إنه مستمر في انتحال دور طبيب، لكنه، الآن، صار يقتل ضحاياه.

الفصل السابع عشر

التقيا في مطعم لم يسبق لأحدهما أن ارتاده من قبل. مطعم فرنسي الطراز، صغير يقع على جسر بولتيني، يتميز بأرضية حجرية وطاولات خشبية من دون أغطية، والكثير من الشموع الحمراء الذائبة. كان مطعمًا شعبيًا غير نظيف، ولكن أسعاره مرتفعة بعض الشيء. عادة يكون ممتلئًا، تقريبًا في عطلة نهاية الأسبوع، ولهذا السبب لم يجيئنا إليه قبل ذلك. في ليلة الأربعاء هذه، لم يكن هناك سوى طاولة واحدة مشغولة. كان باتريك جالسًا إلى طاولة تتمتع بإطلالة بانورامية على سد صغير. عندما وصلت، كان منكبًا على قائمة الطعام، مرتديًا قميصًا عنابي اللون -هي من ساعدته في اختياره- وسترة سوداء أنيقة. بدا وجهه الوسيم، على ضوء الشموع، متجهًا، وقد استرخى في جلسته وأمامه على الطاولة كأس كبيرة من النبيذ الأحمر. تساءلت عفا إذا كان هذا هو أول كأس له.

تفاجأ بها حين تسلّت لتجلس على الكرسي المقابل له، وكانت مسرورة لأنها باغتته في وضع غير ملائم. نهض واقفًا وكان عليه أن ينحني من فوق الطاولة في وضعية غريبة، حتى يقبلها. أعاقته الشمعة المضاءة والزهرة الوحيدة على الطاولة بينهما، كما لم يمكّنه وجهها المتجئب إلا بتمرير شفتيه على خدها. لو أنها أمالت رأسها قليلًا، لتمكّن من تقبيلها بشكل صحيح، لكنها لم تكن ترغب في ذلك.

في الثواني القليلة التالية، ساد صمت محرج، إلى أن فتحت قائمة الطعام الثانية وقدمها إليها. قال: "الطعام يبدو رائعًا. كان يجب أن نأتي إلى هنا من قبل".

جاء نادل وسكب لها كوبًا من الماء، وسألها عما ترغب في شربه. اختارت أليكس النبيذ الأبيض الجاف. النبيذ الجاف هو الأفضل، لأنها سترشفه ببطء، بدلًا من تجزعه دفعة واحدة. الكحول هو عدوها في الوقت الحالي، عليها ألا تنسى ذلك. فإن سمحت لنفسها، يمكنها أن تشرب، قبل تقديم الطبق الرئيس، كوبين من الشراب الأحمر، أو الأبيض، الأكثر حلاوة. وحينها سيجري الحديث بينهما بشكل أفضل، ويكون تجاوز اللحظات المحرجة أكثر سهولة، لكن في نهاية المساء سوف ترغب بالمزيد. كانت تعد زجاجات الشراب الموجودة في شقتها بمنزلة أصدقاء لها وتنسى أنها باتت أعداء. من الأفضل لها البقاء على فكرة كوپ واحد من النبيذ الأبيض.

طلبت من النادل حتى قبل أن يسألها هو: "أريد وجبة من بلح البحر، بالإضافة إلى طبق من سمك الراهب".

طلب باتريك مثلما طلبت، مع كأس آخر من نبيذ ميرلوت.

كما كان متوقعًا، قال لها: "شكرًا لك على حضورك". ثم تنحنح وحرك يده في لفطة محرجة، مضيئًا: "أنا أسف. لقد بدا ذلك سخيفًا... أبدو كما لو كنت مضيئًا

في حفلة".

ترقبها حتى نظرت إليه، ثم قال: "أود أن أعبر لك عن مدى أسفي، ليس فقط بسبب تصرفي الذي لا يُغتفر مع كارولين، بل وعن الأسابيع التي سبقتها أيضًا، حينما رفضت السماح لك بالحديث عما حصل معك. وكان تصرفًا أحرق مني حين أسرعت بأخذك إلى باربادوس كما لو أن قليلاً من الاستمتاع على شاطئ جميل وتحت شمس دافئة، يمكن أن يجعلك أفضل حالًا وتنتهي المسألة".

شعرت أليكس أنها بدأت تفقد قوتها وتماسكها، وفي محاولة منها لحبس دموعها، أحست بالمرح يجتاح جسرها وحلقها. لم تكن لتسامحه بسهولة، هي بحاجة لسماع المزيد.

جلب النادل طلبهما من الشراب، ثم بعد ذلك ببضع دقائق، أحضر الخبز الساخن وأطباقًا من بلح البحر تتصاعد منها الأبخرة. وأثناء الدقائق العشر اللاحقة، راقبت الأجواء بينهما. في الخلفية، كان إيل ديفو يغني أغنية "يا ليلة مباركة"، وأضواء شجرة عيد الميلاد تتلألأ، واقتصر أحاديثهما على المكان الذي كانا فيه، وعلى الطعام الذي يتناولانه، والاستمتاع بصحبة بعضهما، من جديد، في مدة الاستجمام تلك.

عندما وصل الطبق الرئيس، كانت تضحك، فطلب باتريك زجاجة من نبيذ بوردو. لقد كانت قد نسيت كم كان خفيف الظل، ونسيت أن الضحك يمكن أن يكون مثيرًا للشهوة الجنسية. اجتاحتها رغبة شديدة لممارسة الحب معه، حتى إنها كادت أن

تطلب منه ما إذا كان بإمكانهما المغادرة. ضبطت نفسها بالانشغال بتصاميم المطعم، ثم فُزّت، عندما داعبت أصابعه الجزء الخلفي من يدها.

"اليكس الجميلة... هل ستغفرين لي في يوم ما؟ أعدك أن لا أخذك مرّة أخرى. سألت نفسي عن السبب الذي جعلني أسوء معاملتك، وكان الجواب الوحيد الذي تمكّنت من التوصل إليه، هو أنني اعتقدت أنك تعانين من انهيار عصبي، وأنا لم أتحمّل رؤيتك على تلك الحالة".

شبكت أصابعها مع أصابعه وشعرت بقلبها يطير فرحًا. سيتحدثان عن كل شيء فيما بعد. ستخبره عن شكوكها حول وفاة إيمي أبوت، وعن المرأة التي نذفت حتى الموت في موقف السيارات قبل يومين. وقد أدلت بإفادتها، يوم أمس، مع عيّنة من الحمض النووي. ربما يمكن لباتريك أن يساعدها في إقناع الشرطة بوجود شخص ما يقوم بكل هذا، فهو أقل عاطفية منها، ويمكنه أن يجادل في قضيتها بشكل أفضل.

همست قائلة: "شكرًا لك على ذلك يا باتريك".

أزاح الشمعة والزهرة من أمامه جانبًا، ثم انحنى نحوها وقبلها دون وجود إعاقة أو أي مقاومة منها. كانت قبلة مليئة بالحنان، بلسم لشفاء ألمها، ولم يسبق أن أحست بمثل هذا الأمان.

قال بهدوء: "أسأل نفسي ما إذا كان سلوكي معك قد ساهم في ما حصل لك". ثم تابع: "وهل كنت تعانين في الأشهر الماضية، وبحاجة إلى

مساعدتي؟".

قالت: "ماذا؟...".

قال وهو يمسك بيدها: "دعيني اكمل. طالما عددتك قوية ومثالية لدرجة أنه عندما أخبرتني عن كل ما حدث معك، لم أتقبل فكرة أن تكوني بحاجة إلى مساعدة. إن المساعدة الحقيقية التي كان علي تقديمها، لم تكن أخذك في عطلة سخيفة".

أحسّت أن جسدها تحوّل إلى حجر... كان عقلها الشيء الوحيد الذي ما زال يعمل. لا رعشات تسري في جسدها، ولا قلب ينبض في صدرها.

الأمر أسوأ مما كانت تتخيله. فقد لام نفسه لأنه لم يلاحظ عليها مدى حاجتها إلى مساعدته. وحسب رايه أن هذا هو ما دفعها لكي تتخيل أشياء.

الوضع ميؤوس منه، وهي حمقاء! لم يعرفها على الإطلاق. لم تكن أي من الأفكار العميقة التي تشاركها خلال العام الماضي، كافية ليعرف أي شيء عن طبيعتها. لقد عدّها امرأة قويّة ومثالية لا تستسلم لضعفها.

مع ذلك، لو كان حقًا يجدها امرأة بهذه المواصفات، فليس من المعقول ألا يحاول، على الأقل، استكشاف إمكانية وجود تفسير آخر، كأن يقف ويقول لها: "حسنًا يا أليكس، تعالي لنحقق في الأمر. فأنت امرأة عاقلة وطبيعية، لماذا إذن تدعين حدوث شيء وهو في الواقع لم يحدث؟".

ولكن بالطبع، لشدة ما كان قلقًا، لم يكن بحاجة

لقول شيء، ما دام مقتنعا بأن الأمر لم يحدث في الأصل. هي فقط، قد فقدت عقلها واحتاجت إلى المساعدة المناسبة.

وقفت، ومن خلال شفّتين متحجرتين، تمكنت من الكلام: "وداعا باتريك شكرا لك على دعوتي لهذه الليلة".

الفصل الثامن عشر

بمجرد وصول غريغ إلى العمل قالت له لورا: "لقد اتصلت بك معجبتك مرة أخرى".

كانت لورا مناوبة في الليلة الماضية، ومع ذلك بدت أنيقة وكأنها للتوّ تبدأ يومها، كانت روائح عطرها تفوح حينما وقفت عند مكتبها، وقميصها الأزرق الفاتح خالٍ من التجاعيد.

لم يكن بحاجة لأن يسألها من هي المعجبة، فهو يعرف تمامًا إلى من تلمّح لورا. فقد اتصلت أليكس تايلور بمركز الشرطة عدّة مرّات أثناء اليومين الماضيين، راغبة في الحصول على أيّ جديد حول وفاة ليليان أرمسترونغ. ولأنها كانت دومًا، تطلبه هو شخصيًا، فسرت لورا الأمر تفسيرًا أبعد ممّا يحتمل. لكن حتّى الآن لا جديد لديه ليخبرها عنه. كان لا يزال ينتظر تقرير التشريح.

سأل غريغ: "ما الذي كانت تريده؟".

"تريد معرفة ما إذا كان لدينا أيّ مستجدّات عن قضية ليليان أرمسترونغ. لكي يقوم أحدنا بطمأننتها وياخذ بيدها، على الأرجح".

وضع غريغ حقيبته، والتفت إلى لورا باهتمام: "هل هناك حادثة أخرى؟".

جحظت عينا لورا، ورفعت حاجبيها عاليًا: "تقصد جريمة قتل أخرى مثلًا؟ أم طبيب خيالي يريد أن يجري لها عملية؟ هل سألت نفسك لماذا كانت ليليان أرمسترونغ في موقف السيارات في ذلك

المبنى بالذات؟ إنها ليست منطقتها المعتادة للصيد. لو أنها جاءت تبحث في تلك المنطقة عن زبون، فهي ليست المنطقة المناسبة. وإذا افترضنا أن هذا صحيح، فلا بد أنها قد جاءت بناءً على دعوة، هذا أمرٌ مؤكد. لا يمكن الوصول إلى موقف السيارات داخلياً، إلا من قبل السكان، أو باستخدام مفتاح. ألم تنتبه إلى شيءٍ يا غريغ؟ مثل حقيقة أن الدكتورة تايلور تعيش هناك؟ وحقيقة أنه ليس لدينا شهود على وجود سيارة فزت من مكان الحادث؟ وعدم وجود كاميرات مراقبة لتوثق الحادثة؟".

صرَّ أسنانه وقال: "كنت أقصد إن كان شخص ما قد ترك رسالة على سيارتها مرّة أخرى".

قالت بنبرة توحى أن لديها رأياً مخالفاً: "أوه، ذلك".
"لكن كلينا رأى شخصاً عند سيارتها".

قالت لورا مستهجنةً: "ليس من المستبعد أن تكون هي من فعلتها. ارتدت تلك الملابس الفضفاضة وغادرت الحفلة بضع دقائق للقيام بذلك. ثم يكون معها شاهدٌ يدلي بشهادته لصالحها عندما يتم اكتشاف الحادثة".

"لم تكن تعرف أن ناثن بيل سيتبعها".

"لم تكن تعرف؟ لا يبدو أنه يحظى بالكثير من المعجبات بالنظر إلى البقعة الحمراء في وجهه".
لوت قسمت وجهها، وأضافت: "ربما أعطته سبباً ليتبعها، وفي الظلام ربما لن تمنع ذلك".

شعر غريغ أن أسنانه الخلفية تكاد تُطحن من شدة

الصريبر. طريقة تفكير لورا تسبب له الغثيان أحيانًا. قال لها: "إذن، تعتقدين أن متعة في المقعد الخلفي لسيارتها هي ما جذبتة لملاحقتها؟".

التقط حقيبتة متظاهراً أنه يفكر في ما قالتة. ثم خفض صوتة وجعله صادقاً: "عمل جيد، لديك خبرة في التفكير بهذه الطريقة. نحن بحاجة إلى نساء مثلك يعرفن كيف تتصرف النساء الأخريات. سأفكر بالأمر بعض الوقت يا لورا. اذهبي أنتِ إلى المنزل، تبدين متعبة".

بقيت لورا في مكتبها لحظات بعد مغادرته، وفكرت بتعليقه، وحتى بعد مضي ساعة، حينما أوت إلى سريرها للنوم، كانت لا تزال تتساءل عما إذا قصد إهانتها".

إنّ اليأس والقنوط هما ما قاد أليكس إلى منزل ماغي فيلدينغ. ليس هناك شخص آخر تلجأ إليه. لم تطرح ماغي فيلدينغ أسئلة على الهاتف، أو تظهر مفاجأتها من تلبية دعوتها، الآن، بعد أن كانت قد دعته لزيارتها منذ عدة أسابيع. لقد حددت لها فقط موعد وجودها في المنزل. كما أعطتها توجيهات حول كيفية الوصول إلى عنوانها.

والآن، هي واقفة في الظلام، على الرصيف خارج منزل ماغي. ندمت أليكس بشدة على إجراء المكالمة، فهي تعرف بصعوبة المرأة، والقليل الذي تعرفه عنها لا يبعث على الارتياح. لا تبدو ماغي هي المرأة التي ستكون سعيدة بتقديم الشاي لها والتعاطف معها. بدت مناسبة أكثر لإلقاء محاضرات

ونصائح. لكن فات الاوان على التراجع عن الزيارة.
رأت إحدى الستائر تتحرك، وقد تفت رؤيتها من
خلف الستارة.

يفصلها عن الباب الأمامي ذي اللون الأزرق الغامق،
ثلاث خطوات، رفعت مطرقة النحاس لتطرق الباب،
لكنه فُتح قبل أن تدق.

قالت ماغي فيلدينغ بعد الترحيب: "لقد رأيتك
حين وصلت، هل جئت مشيًا أم بالسيارة؟".

أجابت أليكس، وهي تدخل إلى قاعة واسعة:
"جئت مشيًا. لم أعثر على مفاتيحي لفتح مدخل
موقف سيارات المبنى الذي أعيش فيه".

"حسنًا، يمكنك تناول مشروب".

كانت الردهة رائعة، جدرانها مرتفعة نحو خمسة
عشر قدمًا أو أكثر، مطلية بلونٍ بنفسجي، والممر
وأطر الصور بلونٍ ذهبيٍّ كتييم. وصوت خطاها
على قطع البلاط ذي الأحجام الكبيرة، مثل حجارة
رصيف قديمة، كان رائعًا. كان يمكن للمرأة المذهبة
الكبيرة فوق طاولة القاعة والمطلية بالذهب أن
تكون مزخرفة جدًا، لكنها لم تكن كذلك.

سالت أليكس: "كم عمر هذا المنزل؟".

أجابتها ماغي: "تم بناؤه عام 1730. وكان جد
جدي الأكبر، أو أظنُّ الأقدم منه، هو أول من امتلكه،
وقد بقي للعائلة منذ ذلك الحين".

كانت غرفة الجلوس أكثر إثارة. امتلات رفوف
خزائن مصفمة بحيث تغطي الجدران من الأرضية

حتى السقف، بكتبٍ بدت كتبًا من الأدب الجاد. وتفصل بين اثنين من الرفوف كوة مقوسة مطلية بلون أحمر ياقوتي غامق، تحوي طاولة كتابة بأرجل مزخرفة على شكل قضبان الدرازين، وصُف من الأدراج الضيقة على كل جانب من التجويف الرئيس. وعلى طاولة المكتب، وضع مصباح ذو قاعدة سوداء وذهبية مع غطاء أسود، يصدر عنه ضوءٌ خافت، إلى جانب جهاز حاسوب محمولٍ من ماركة أبل ماك.

غلقت ستائر ذهبية ثقيلة فوق النوافذ جورجية الطراز، ووضع عدد من الأرائك الحمراء المطرزة، عالية المساند، قبالة بعضها بعضًا، أمام مدفأة حجرية رمادية.

فخامة المكان، والثراء الواضح لهذه المرأة، التي لم تكن تعرفها معرفة جيدة، أثارا الرهبة لدى أليكس. لقد نشأت في منزل من الطراز الإدواردي القديم، في حين أنّ هذه الغرفة تعادل مساحة المنزل الذي تربت فيه أليكس. وقر لها والداها ما يكفي من كماليات الحياة. من المؤكد لم يكن ينقصهم شيء، لكن هذه الثروة هي ثروة مدعومة بأموال قديمة. لا بد أن هذا المنزل يحوي على الأقل اثنتي عشرة غرفة.

ندمت مرة أخرى على الاتصال بها. كانت أشبه بزيارة للملوك.

قالت ماغي فيلدينغ: "اسمعي، علي إجراء مكالمة سريعة. البيت بيتك. تجولي فيه براحتك. المطبخ

على اليسار في نهاية الردهة. هناك بعض النبيذ الأبيض في الثلاجة، يمكنك سكبها لنا. سأخذ بعض دقائق فقط، وبعدها يمكننا أن نتحدث".

أحسّت أليكس بالراحة لأنها ستبقى بعض الوقت بمفردها. لو أنهما بدأتا في التحدث على الفور، لكان من المحتمل أن تتصرف بحماقة، كما يفعل المرضى، وتحدث لها عن قلة النوم، عن فقدان الوزن، وعن الكوابيس، إلى أن تهرع المرأة بدفعها إلى خارج المنزل، بأدب ولكن بحزم. عليها أن تهدأ وتفكر مثل امرأة عاقلة، قبل أن تقول أي شيء عما تشعر به.

رفعت ماغي هاتفها المحمول للإشارة إلى أنها ستجري اتصالها الآن، بينما خرجت أليكس من الغرفة لتعطي المرأة بعض الخصوصية، وذهبت للبحث عن المطبخ. كان عليها أن تمشي على طول رواق ثانٍ وهي تستدير إلى اليسار، للوصول إليه.

إنها غرفة أخرى أبهرتها أيضًا. كانت خزائن خشبية بيضاء تحيط بجزيرة مصنوعة من الخشب الغامق وسط المطبخ، حيث يمكن لاثني عشر شخصًا، على الأقل، الوقوف وإعداد الطعام. يتوسط الخشب حوض نحاسي دائري، يفترض أنه لغسل الخضار، كما كان هناك حوضان آخران عميقان وواسعان تحت نافذة تطل على حديقة ذات جدران حجرية عالية، حديقة واسعة تكفي لإقامة حفلات كبيرة.

ذهبت للبحث عن الثلاجة، وقد قرّرت في نفسها عدم الانزعاج من هذا الثراء الفاحش. وجدت الثلاجة في غرفة التحضير بالقرب من المطبخ.

بضغط الزر الأيمن، تقدم الثلاجة الفضية الماء البارد، والثلج المكعب، والثلج المجروش، حتى الفودكا والكوكا كولا، إذا ضغطت على الزر الصحيح! سحبت زجاجة النبيذ دون حتى أن تلقي نظرة على الملصق. لم ترغب في معرفة أنها من نوع باهظ الثمن. كما لم ترغب حتى أن تشربه. فضّلت لو كانت الآن في منزلها وسط رفاهية معتدلة، محاطة بأشائها الخاصة، وتشرب الفودكا. لكنها وبدافع المجاملة فقط، ستبقى لتناول كأس واحدة، وتخبر ماغي فيلدينغ أن كل شيء على ما يُرام. وأن... فجأة، لفتت حركة عابرة انتباهها، كانت الشعيرات الناعمة على رقبتها منتصبّة. لم تستطع التحرك، تجمّدت بشكل غريزي، كان على رف الثلاجة وقريننا جدًا بما يكفي لكي يقفز على رأسها. في وضعيتها الجامدة، رفعت عينيها فوجدته ساكنًا يحدّق. ثم تحرك جسمه البني السمين، ورأت ذيله الطويل والمقرف.

انزلقت الزجاجة من بين يديها وتحطمت على الأرضية الحجرية، متحوّلة إلى شظايا صغيرة متناثرة، وأطلقت صرخة كادت تمزّق لوزتي حلقها.

أسرعت ماغي فيلدينغ نحو المطبخ، وشاهدت ضيفتها متسفرة في مكانها، في حالة من الهلع، والارتجاف، لا يمكن السيطرة عليها. أجلستها على أقرب كرسي. واستغرق الأمر عدّة محاولات قبل أن تفهم منها ماغي فيلدينغ ما حدث. ثم قالت ماغي بلهجة اعتذار: "إنه ديLAN... أسفة جدًا... نسيت أنه

خارج القفص... أسفة جدًا يا أليكس... لقد نسيت تمامًا."

حدقت أليكس فيها بذهول وقالت: "تقصدين...".
"إنه جرد أليف، مروض بشكل ممتاز، والآن، على الأرجح يجثم مرتعدًا من الخوف".

"ألا تخشين من أن يتبول ويتبرز في كل مكان؟".
كان هذا هو الشيء الوحيد الذي خطر لها لتقوله.
ابتسمت ماغي فيلدينغ وقالت: "كلا، لا يفعلها، إنه مروض في المنزل، أو بالأحرى، أعرف عاداته، فهو لا يتبرز خارج قفصه".

فتحت ماغي زجاجة ثانية من النبيذ الأبيض مثل نادل محترف، وصبت كأسًا كبيرة لأليكس. بعد الجرعات الأولى على معدة فارغة، تماسكت أليكس وأحست بالسكينة.

لم تكن مستعدة للتعرف على الجرذان، لكن ماغي فيلدينغ أصرت على أن ديLAN سيترك لديها انطباعًا أفضل في المرة الثانية. عندما عادت، كانت تحمل بيدها علبة من حبوب الإفطار تشيريوس، بينما يجثم ديLAN على كتفها.

عندما وضعت الجرذ على السطح الحجري في المطبخ، فزت أليكس متراجعة إلى الزاوية. سألت بتوتر: "هل يقفز؟".

"كلا. إنه فتى ودود، إن منحته فرصة".

لم يتحرك الجرذ من مكانه. هزت ماغي العلبة هزة خفيفة، فرفع رأسه الكبير وتحرك أنفه المدبب

وشارباه. ثبت عينيه على صاحبتة. أخرجت ماغي حبة واحدة من علبة الرقائق وأمسكته بين أصابعها. هرع الجرد نحوها مسرعًا. جلس على رجليه الخلفيتين، ومد يديه النائتتين، ومخالبه الجرداء الصغيرة، معلقة نحو الأمام في انتظار الطعام. وضعت ماغي قطعة الحبوب بين مخالبه البارزة، وبدأ الجرد يقضم الرقاقة بأسنانه الطويلة.

سألت ماغي: "هل تريدان أن تجزبي؟"

هزت أليكس رأسها، فضحكت ماغي.

"ربما في مرة قادمة."

لا تعتقد أليكس ذلك، ليس في هذه الحياة. إنها تفضل التعامل مع الخوف من المباني المنهارة حولها، وهي تساعد الناس المحاصرين، على أن تضع إصبعها قرب أسنان ومخالب الجرذان.

جلست المرأتان أخيرًا للتحدث؛ بعد أن تم تنظيف أرضية المطبخ، وإعادة ديلان إلى قفصه بأمان. لقد استغرقتنا بعض الوقت لتعود الأجواء الودودة. ولكن لا بد أن تعترف أليكس بأنها بدأت تحب ماغي فيلدينغ. وسط الفوضى التي تسود حياتها الآن، كانت بحاجة إلى أصدقاء جدد.

سألت أليكس ماغي: "أخبريني، من أين حصلت على كل هذا الفن الرائع؟"

"لقد ورثته عن أجدادي. عاشوا في فرنسا وإيطاليا مدة طويلة. وهم من جلبوا العديد من اللوحات. أنا لست من هواة جمع التحف الفنية، فليس لدي

الوقت لذلك".

"ماذا عن تلك اللوحة الموجودة فوق طاولة الكتابة؟"

كانت إحدى اللوحات قد لفتت انتباه أليكس بمجرد وصولها ودخولها إلى غرفة الجلوس، وظلت عيناها تنجذبان إليها مرارًا وتكرارًا، أثناء حديثهما. امرأة مستلقية على سرير، وذيها مكشوفان، وتمد ذراعها نحو رجل يتراجع عنها، وتحمل في يدها ثوبًا، كما لو كانت تشير له أن يعود. لكنه كان مرتديًا ملابسه ويمضي مبتعدًا.

"اللوحة تسمى "جوزيف وزوجة بوتيفار". وهي للرسام أوراتسيو جنتيلسكي. العديد من الفنانين، رسموا لوحة السيدة الجميلة، بما فيهم رامبرانت".

لم يسبق لأليكس قط ان سمعت عن زوجة بوتيفار، لكنها تمت لو كان بإمكانها الحديث عن اللوحة. كان والدها شغوفًا بالفن، لكنها لم تهتم كثيرًا بالكتب الكبيرة والمكلفة التي كان يستعيرها من المكتبة.

"يبدو أنها حزينة للغاية. حبيبها يهجرها، أليس كذلك؟"

غمزت ماغي، كما صارت أليكس تناديها الآن، وابتسمت بخبث وقالت: "اقرئي عنها يا أليكس. سوف تستفيدين منها".

سكبت كلّ منهما المزيد من النبيذ، ولأول مرة ومنذ زمن طويل، استمتعت أليكس بارتشاف النبيذ بدل شرب الكأس دفعة واحدة. فهي لم تكن بحاجة

إلى تجزّع كفية سريعة من الكحول لتهدئة أعصابها، فقد كانت مسترخية بشكل رائع، ولم تعد ترغب في مناقشة مشاكلها. لكن ماغي كانت تترقّبها لتبدأ الكلام؛ فهذا هو سبب وجودها هنا، للتحدث إلى هذه المرأة التي لا تزال غريبة نسبياً، حول الأمور التي يمكنها مشاركتها مع أي شخص آخر. فضّلت أليكس أن تتعرفا بعضهما على بعضاً أكثر، وأن تنسيا في الوقت الحالي الرجل الذي هاجمها والذي لا يزال يرهبها.

قالت أليكس: "هل يمكنني أن أسألك عن أمرٍ شخصي؟".

ارتفع حاجبا ماغي الغامقين في حركة مرح. كان شعرها بلون الشوكولا الفسدل يلامس خصرها تقريباً. وكانت ترتدي بلوزة كريمية اللون بياقة عالية، وبلا أكمام، مصنوعة من الصوف الناعم، وسروالاً بني اللون. كانت جذابة، بالإضافة إلى عقلها الراجح وثقتها الكبيرة بنفسها، وهذه الصفات تجعل منها صديقة مرغوبة جداً لأي شخص.

سألت: "هل أنتِ متزوجة؟".

انفجرت ماغي ضاحكة: "بكلّ صراحة يا أليكس، ظننت وهلة أنك ستسألين عفا إذا كنت مثلية. لا هذا ولا ذاك. فأنا لست مثلية ولا متزوجة. كنت تقريباً مخطوبة".

خفّ بريقٌ عينيها لحظة، وانخفض صوتها، ثم تابعت: "تقريباً. لكن كانت لديه مشكلة في الالتزام. أظن أنه في النهاية، هو فقط استغلّ علاقته بي

لاستخدام استوديو التسجيل الخاص بوالدي. كنت أحب سماع صوته". وبلهجة أكثر حيوية، أردفت: "مع ذلك، من الأفضل التعلّم عاجلاً وليس آجلاً". سألت أليكس: "ماذا يعمل والداك؟".

امتلات عينا ماغي بالحزن، وقالت: "كانا... كانت والدتي عازفة بيانو، ووالدي يعزف التشيلو. قُتلا معا في حادث تصادم حافلة أثناء إحدى جولاتهما. أخشى أننا لم نكن مقرّبين كثيرًا. أظن أنهما شعرا بخيبة أمل لأنني لم أتبع خطاهم، وبدلاً من ذلك اخترت مجال الطب. برأي والدتي، الطب ليس خيارًا مناسبًا كمهنة". ثنت يديها النحيلتين وتأمّلت فيهما. ثم بعد أن قالت ذلك، واصلت حديثها: "أنا أحب ما أقوم به، وفي النهاية، أفترض أن هذا هو المهم". ثم رفعت ماغي كأس النبيذ قائلة: "والآن... لدي حبيب من حينٍ لآخر، أو صديق، لكنهما ليسا دائمين". تنهّدت، ثم تابعت: "هذه هي أول وظيفة استلمها بوصفي طبيبة اختصاصية. وهذا أول عيد ميلادٍ احتفل به في المدينة منذ أن غادرت المنزل للالتحاق بكلية الطب. أملك هذا المنزل الجميل والكبير في انتظار أن أكوّن فيه عائلة، لكن لم يتسنّ لي الوقت الكافي لذلك بعد. في الأسبوع الماضي، بلغت الثانية والثلاثين من عمري، وبسبب ما أنا عليه، فكّرتُ بإيجاز بساعتي البيولوجية، ثم قلت: مهلاً... لا وقت لدي من أجل الزواج، إضافة إلى إنجاب طفل". ارتشفت نبيذها ثم قالت: "وماذا عنك؟ أم أنك تظنين سأتركك تهريين دون أن أسألك؟".

"لا صديق، ولا حبيب، ولا خاطبين".

"ماذا عن ذلك الذي التقيت به؟ بدا جذابًا".

والآن، حان دور أليكس لكي تضحك: "لقد كانا
كانا من المؤسف حقًا أن يكون غيبًا إلى هذه
الدرجة. ما زال يحبني، وفي الحقيقة يريد أن
يتزوجني. والمشكلة الوحيدة هي وجود اختلاف
في الرأي بيننا... هو يعتقد أنني فقدت عقلي".

شعرت أليكس بالحرج؛ لأن ماغي لم تعلق من
فورها. وبسبب الحرارة التي شعرت بها، عرفت أن
وجهها قد احمر. قالت: "اسمعي، مع أن الحديث
معك ممتع، لكن عليّ أن أذهب الآن. لدي عمل في
الصباح الباكر، كما أنّ هناك بعض الأشياء عليّ أن
أقوم بها هذه الليلة".

"لا حاجة للإحراج يا أليكس. لم أعتقد ولا حتى
لدقيقة واحدة، أنّك فقدت عقلك. سأكون صادقة
معك، أنا أميل أكثر إلى الاعتقاد بأنك تعاني من
اضطراب ما بعد الصدمة. شيء يفرض نفسه على
أنه حقيقي، ربّما له علاقة بالماضي، أو بطبيعة
العمل الذي تقومين به". توقفت قليلاً، ثم ابتسمت
ابتسامة ساخرة وتابعت: "تساءلت كيف سمحت لي
بأن أقوم بفحصك في تلك الليلة. ربّما لأنني جديدة
في المستشفى، أي غريبة نسبيًا، إن جاز التعبير.
لكنك لم تستلطفيني، لذلك ما زلت أجده أمراً غريباً.
كان بإمكانك أن ترفضني".

احسّت أليكس أن وجهها يزداد سخونة، قالت: "لم
قد؟... كنت الأفضل. أنا محظوظة لأنك كنت هناك

للتعامل مع تلك الشرطية البائسة. ولكن بالفعل... أنا لم أستلطفك؛ لأنه كلما التقيت بك، بدوت متجاهلة ولا مبالية".

تنهدت ماغي: "هذا صحيح يا أليكس. عندما أركز في عمل ما، يصبح كل شيء آخر لا أهمية له، بما في ذلك عاداتي وسلوكي. ما باليد حيلة".

رفعت أليكس حاجبًا في سخرية: "عندما تكونين خارج العمل، أنت لست بهذا السوء، على ما أظن".

قالت ماغي بسخرية مماثلة: "أنا سعيدة لسماع ذلك". لاكت شفقتها وهي تنظر إلى أليكس ثم قالت: "أظن أنك مدينة لنفسك بمزيد من متابعة هذا الأمر. وإذا اقتنعت بذلك، يمكنني أن أعرفك على شخص. إنه محلل نفسي ممتاز ولديه خبرة كبيرة في التعامل مع حالات اضطراب ما بعد الصدمة، كما أنه يمارس التنويم المغناطيسي، ويسترجع الذكريات، وأشياء من هذا القبيل". حدقت في أليكس في حالة ترقب، ثم قالت: "أنت صامتة... هل تكلمت كثيرًا؟".

هزت أليكس رأسها. الغريب أنه بدلًا من أن تشعر بخيبة أمل مما قالته ماغي، شعرت ببعض الراحة. ربما، أقول ربما، يجب عليها استكشاف فكرة أن يكون ما حدث معها، مجرد وهم تخيله. لكنها ليست هي من تركت الرسالة على سيارتها الميني. لم تتخيل الرسالة المكتوبة على السيارة؛ فقد حدث ذلك بالفعل وكانت الحادثة حقيقية مما لا يدع مجالًا للشك. ولكن ربما، كما افترضت لورا هيست،

أن تكون قد كُتبت من قبل شخص على سبيل
الممازحة.

على أنها كانت غير مقتنعة بهذا الافتراض، لكن من
الأفضل أن تخضع للتنويم المغناطيسي. على حد
علمها، أن هذه العملية قد تكشف عن الأشياء التي
كتمتها. فقط لو أن العملية ستمنعها من عدّ كل امرأة
تموت، هي ضحية للرجل الذي هاجمها، فإنها فرصة
تستحق التجربة بطريقة أو بأخرى.

سألت: "هل يمكنك أن تعرفيني عليه؟".

قالت ماغي فيلدينغ: "بالطبع. سأتصل به قريبًا. أمّا
الآن، انسي فكرة الذهاب إلى البيت والاستعجال،
فإنك ستبقيين على العشاء، وهذا أمر لا جدال فيه".

الفصل التاسع عشر

جثم غريغ على الأرض وهو يتفحص المكان الذي عُثر فيه على ليليان أرمسترونغ في موقف السيارات. كان دمها المسال لا يزال على الأرض. وبدت بقع الدم الجافة على الحائط أشبه بطلاء بني. كما ظهرت آثار أقدام الدكتورة تايلور في المكان، مبتعدة تدريجيًا حتى أصبحت في النهاية غير مرئية بالعين المجردة.

تذكر، من فوره، كلام الدكتورة تايلور، حين أخبرته عن رؤيتها لآثار عجلة سيارة على صدر المرأة، وعن احتمال أن تكون قد نُقلت من مكان آخر. والآن تتضح صحة فرضيتها. فقد كانت السيارات مركونة طوال اليوم على جانبي موقع الجثة. حيث وجدت مستلقية ورأسها إلى الحائط، ومع ذلك أشارت آثار الإطار إلى أن سيارة قد مزّت فوق صدرها. لذلك يفترض، إن لم تكن هي التي استلقت بهذه الطريقة، أن شخصًا ما قد فعلها من دون شك.

لا بد أنه كان قد تم استدراج ليليان أرمسترونغ إلى هذا المكان. لورا محقة في ذلك.

كانت عاهرة بدوام جزئي، تعمل تحت غطاء مهنة التدليك. لو أنها كانت جادة في مهنتها، لأدركت أنها اختارت المدينة الخطأ للعمل فيها. على أن مدينة باث تملك تاريخًا قديمًا في تجارة الجنس، إلا أنه لا توجد في باث منطقة أضواء حمراء. ولسوء حظ ليليان أرمسترونغ وأمثالها، يتم تذكر العاهرات إذا ما وقعن تحت الأنظار. فقد تم توقيفها وتحذيرها

عذة مزات بسبب التسكع: في إحدى المرات تم القبض عليها في مراحيض شارع مونموث للاشتباه في ممارستها الإغراء، ولكن تم إسقاط التهمة عنها فيما بعد. وذات مرة، في أحد المطاعم، حيث صادف وجود غريغ وزوجته هناك في الوقت ذاته وهما يتناولان الطعام. حينها أبلغته زوجته أنها تقدمت بطلب الطلاق. وبينما كان غريغ في حالة ذهول وصدمة، اخترق صوت ليليان أرمسترونغ الخشن مسامعه. ذهب غريغ لنجدة مدير المطعم، حيث كانت ليليان تزعج أحد الزبائن، والذي كان جالسًا بمفرده، ويحاول إخفاء وجهه خلف قائمة الطعام. أنهى غريغ المسألة باقتياد ليليان إلى مركز الشرطة، وفي هذه الأثناء، اغتنمت زوجته الفرصة وغادرت المطعم.

في مركز الشرطة، ادعت ليليان، بكل وقاحة، أن لديها بطاقة تتيح لها العمل بشكل مشروع، وأظهرت بطاقة وردية اللون من النوع الرخيص، مطبوع عليها اسمها ورقم هاتفها، وعبارة:

استرخ مع ليليان. اقض وقت الغداء مع التدليك المريح.

ومن هنا جاء لقبها.

في وقت سابق، كان اختصاصي علم الأمراض، قد اتصل مع غريغ، وأخبره أن فرصة إنقاذها ضئيلة؛ لأنه لديها إصابات في القصبة الهوائية والرئتين. ويؤتي هذا النوع من الإصابات عادة إلى موت معظم المصابين لحظة وقوع الحادث، نتيجة ما

تسببه من سعال واختناق بالدماء. حتى أولئك الذين يحظون بالوصول إلى المستشفى وهم على قيد الحياة، تكون نسبة الوفيات بينهم مرتفعة. عندما تحدت غريغ مع الدكتورة تايلور، نقل إليها هذا الكلام، ليمنحها شيئًا من راحة البال. وأعطاه رقم هاتفه الجوال؛ لأن اتصالها بالمركز يثير غضب لورا.

فكر... ليلى المسكينة. تحت مساحيق التجميل والملابس المثيرة، كانت مجرد امرأة تعمل لكسب المال لكي تربي أطفالها.

كانت المنطقة المشتركة لمبنى ليليان أرمسترونغ عبارة عن سلم حجري مزين برسومات على الجدران، ومليء بالقمامة التي يلقيها السكان. كان بناء مؤلفًا من ستة طوابق، يشكل كتلة قبيحة المنظر في منطقة تكثُر فيها هوية ركوب الدراجات النارية المسروقة. لا تبدو يولا باكوسكي، جارة ليليان، أنها تنتمي إلى هذا الحي. تعيش في بريطانيا منذ أربع سنوات، كانت أثناء ثلاث منها جارة ليليان أرمسترونغ. هي عزباء وقد شاركت شقة مؤلفة من غرفتي نوم مع فتاة بولندية أخرى. كلتاها تعمل في الفندق نفسه. شريكها في السكن تعمل في مناوبة عمل مزدوجة، ولا تزال في عملها. كانت غرفة المعيشة المربعة والصغيرة ذات السقف المنخفض والجدران المطلية بلون سكري باهت، مكانًا غير ملهم لكنه نظيف للغاية. منزل شخص يهتم بالنظافة. وضعت يولا على الطاولة صينية عليها إبريق شاي وأوان فخارية، مع طبق من الكعك ذي مظهر رطب، ثم شرعت في خدمة غريغ كما لو

كان ضيفًا عزيزًا قد جاء لزيارتها.

"شكرًا يولا".

قال ذلك وهو يمسك كأس الشاي ليشربه، وهذا أمر لم يكن قد صادفه في معظم المنازل الأخرى التي زارها أثناء مهام عمله. كان عطشًا وجائعًا جدًا، لكنه بدأ بالحديث أولاً ثم تناول قطعة من الكعك.

قال: "هل كانت ليليان جارة جيدة؟".

أبدت يولا ابتسامة صفراء. كان من الصعب تقدير عمرها. على أي حال، خمن أنها بين العشرين والثلاثين عامًا، حسب تقديره. صغيرة الحجم، بشعر بني نظيف مربوط خلف رأسها على شكل ذيل حصان قصير. كانت تملك وجهًا جميلًا وطبيعيًا، خاليًا من مساحيق التجميل، وعينين بُنيّتين خجولتين.

"كانت صديقة. أحببت ليليان كثيرًا، فقد كانت لطيفة جدًا. ساعدتني كثيرًا في معرفة شوارع المدينة، وأين يجب أن أرمي القمامة، وأي الحافلات يجب أن أستخدم في تنقلاتي، كما كانت دائمًا تصح لي العبارات الإنجليزية لأنطقها نطقًا صحيحًا. دائمًا ما كانت تردّد: قلبي "ذهبت"، وليس "أذهب إلى المتاجر". "أنا"، وليس "أنا كانت"... أنا حزينه جدًا لأنها ماتت. الآن أصبح أولادها "دور أيتام".

صحح لها غريغ قائلاً: "أصبحوا" أيتام".

تابعت: "شكرًا لك. نعم أيتام. هل تعرف أين هم

الآن؟".

أوما براسه: "نعم، إنهم في حضانة مؤقتة. إنهم لدى عائلة ترعى الأطفال في هكذا ظروف، إلى حين إيجاد منزل دائم لهم. هل رأيت والدهم من قبل؟".

هزت يولا رأسها قائلة: "لم تتزوج ليليان منه. كانت تقول بأنه وغدّ، ومن الأفضل لها أن تعيش دونه. لم يسبق لي أن رأيتَه قطّ".

قال: "هل تعرفين كيف كان سيبدو لو أنّه زارها؟".

قالت: "أرتني ليليان صورةً عندما كانا صغيرين. إنه رجل أسود، لكنني لم أراه قطّ، وتقول ليليان إنها لم تزه منذ زمن. لم يكن يعطيها المال ليساعدها في مصاريف الأطفال. لقد كان يتهزّب من المسؤولية".

ارتشف غريغ الشاي، وأثنى عليه بتقييمه بعشر درجات من أصل عشر. كوبّ شاي مثالي، وما جعله أفضل هو كونه في فنجان صيني. لم يسبق له أن ذاق هذه النكهة في الشاي.

قال: "هل يمكنني أن أسألك عن عمل ليليان؟".

هزت يولا كتفيها: "بالتأكيد. إنّها لم تخفّ ما كانت تقوم به. لكنها كانت حذرة للغاية، وغيّرت عملها في العام الماضي، لم تعد تعمل في الدعارة".

فوجئ غريغ بصراحتها المثلجة للصدر: "ولم تعتقدين أنّها توقّفت؟ ألم تكن تستقبل رجالاً في شقّتها؟".

ردّت باستهجانٍ مع إمالة للرأس ورفعٍ للكتفين واليدين: "بالطبع. لكنهم لم يكونوا يأتون من

أجل الجنس. ليليان كانت قد توقفت عن ممارسة الجنس. كانت لديها مشكلة مع... كيف تقول... هي قالت لي ذلك: أنا... لقد حبث يا يولا. وقالت إنها لم تضع اللولب مرة واحدة، مقابل المزيد من المال، لذلك حبثت. بسبب هذه الحادثة امتنعت عن ممارسة الجنس."

قال: "لا شك أن هذا سيمنحها المزيد من المسوغات لاستخدام الواقي في عملها، فيما لو استمرت، أليس كذلك؟"

هزت رأسها يمينا ويسارا في حركة متكررة، ثم وقفت كما لو أنها تعزز حجتها: "كانت قد توقفت عن ممارسة الجنس؛ لأنها شعرت بالخوف بعد تلك الحادثة."

علق غريغ بهدوء: "حسنا. حسنا. أصدقك". ثم قال: "هل يمكنك أن تخبريني لماذا عندما وجدناها، كانت ترتدي ملابس فاضحة، بدت وكأنها لا زالت تعمل في مهنتها القديمة؟"

قالت يولا بشيء من الحزن: "لا أعرف". وأضافت: "كانت ترتدي ملابس جميلة أثناء عملها، سراويل سوداء وقمصان سوداء. كانت تقوم بالتدليك بشكل ممتاز، وترتدي ملابس جميلة حتى خارج أوقات العمل، كأن ترتدي سروال الجينز، وقمصانا، ومعطفا أنيقا. ثم إنها حتى في عملها القديم، لم تكن ترتدي ملابس مثيرة للغاية. كانت تعني بأطفالها، وتبدو أما سعيدة، لا تصرخ في وجه الأطفال ولا تضربهم أبدا. يمكنك أن تعتبر أنهم كانوا سعداء."

سألها غريغ عددًا من الأسئلة، وقد نهض للمغادرة. آخر مرّة شاهدت فيها يولا ليليان كانت قبل يوم من وفاتها، وبدت سعيدة وطبيعية، كانت قد حجزت لقضاء عطلة في منتزهات هافن لمنتصف شهر شباط في بلدة وايمث، هذا ما أخبرته ليولا، ستذهب برفقة أطفالها في عطلة على شاطئ البحر. مع أن الوقت سيكون فصل الشتاء، لكنهم سيبنون قلاغا من الثلج إذا لزم الأمر.

بينما كان يسلك طريقه على الدرج وبعيدًا عن المبنى الأسمنتي، خطر في باله شكل ملابس ليليان أرمسترونغ الأخيرة. كانت واضحة مثل ضوء أحمر. على احتجاج يولا بأنها توقفت عن الدعارة، إلا أن ليليان أرمسترونغ كانت بالفعل ترتدي ملابس العمل. ولكن مع من؟ هذا هو السؤال.

الفصل العشرون

كان المطر ينهمر بغزارة على زجاج نوافذ قاعة التحقيقات الجنائية، والسماء ملبدة بالغيوم السوداء، ومصايخ القسم مضاءة مع أن الساعة بلغت العاشرة صباحاً.

جعل صوت المطر والظلام في الخارج الجو كئيبتاً. بالإضافة إلى صوت طقطقة لوحات المفاتيح ورنين الهواتف المحمولة، كانت أصوات عديدة أخرى تسبب الصداع لغريغ. عادت لورا بيست إلى مناوبتها الصباحية، وكان مجرد حضورها مزعجاً له مع أنها لم تقل أو تفعل شيئاً لتغيظه.

كانت مشغولة بشؤونها، جالسة تعمل منذ ساعة في مكتبها. ولكن تعمل على ماذا؟ تساءل غريغ.

أخذ يحدق في شاشة الحاسوب من فوق كتفها ثم سألها: "ما الذي تبحثين عنه في هكذا أشياء؟".

أدارت رأسها لتنظر إليه وقالت: "أريدك أن تقرأ هذا، ثم أريد أن أتحدث معك بأمرٍ. إنها فكرة راودتني أثناء الأيام القليلة الماضية".

"وماذا عن الأمور المطلوب منك القيام بها؟ مثل التحقق من أصدقاء ليليان أرمسترونغ بشأن الزبائن المشبوهين، والتأكد إن كانوا يعرفون أي زبائن مقربين إليها. كذلك نحتاج لمعرفة جهات اتصالها في هاتفها المحمول، وإن كان لديها حساب فيسبوك أو تويتر. نحن لا نعلم أي شيء عما كانت تفعله أثناء الساعات التي سبقت مقتلها، أو ما الذي كانت

تفعله في موقف السيارات أصلاً. هذه هي الأشياء التي يجب عليك البحث عنها يا لورا وليس البحث عن مرض ما. عليك أن تنفذي الأوامر، لم لا تفعلين ذلك؟".

ابتسمت لورا ولم تتضايق من انزعاجه منها.

"هدئ من روعك، لم لا تفعل ذلك؟ هذه الأشياء التي أبحث عنها قد تكون استجابة لأوامرك. لقد أجريت تحقيقاً حول الدكتوراة تايلور، مؤخرًا، وهي ليست بريئة كما يبدو عليها. لقد تحدثت مع بعض أفراد طاقم العاملين في قسم الطوارئ، هنالك إشاعة عن أنها قامت بخطأ فادح منذ أسبوعين، ولكن تم التستر على الأمر. الممرضة التي تكلمت معها تظن أنها كانت على وشك إعطاء أحد المرضى الدواء الخطأ. أثارت بعض الجلبة حول شخص ما قام بالخلط بينهما. يبدو أن الخطأ كان سيؤدي إلى قتل الرجل لو أعطي الدواء الآخر. وهناك معلومة أخرى حصلت عليها من إحدى صديقاتها المقربات، وهي فيونا وودز. قالت شيئاً على غرار (ما كان يجب أن يحصل هذا معها مجددًا). حاولت أن أظهر لها أنني متعاطفة مع أليكس لكي تتكلم".

رفع غريغ حاجبه، وقد رأى حماسة لورا بيست في العمل. لقد كان هو الطرف المتلقي.

أردفت لورا: "ومن ثمّ قالت "لا أقصد أن هذا سيحدث مجددًا على نحوٍ حرفي. هذا صحيح، كنت أظن أنها قد غادرت". والان أتساءل: ما الذي كانت تقصده بهذا الكلام؟".

كان ينظر إليها وهي تعلق الكريمة من على شفتيها، مبتسمة.

قالت: "سوف أجري المزيد من البحث بخصوص الدكتورة تايلور".

"والآن، لماذا توجد هذه الأشياء على شاشة حاسوبك؟ تبحثين حول متلازمة مونخهاوزن؟".

كان يجب ألا يشعر بالتعاطف مع أليكس تايلور، ولكنه فعل. كان لديه إحساس بأنه ملزم بحمايتها. كانت لورا بيست تستهدف الدكتورة، وقد سبق له وأن رآها كيف دمّرت أناسًا، أبرياء كانوا أو مذنبين. لا تهتمُّ لذلك طالما أنها تحصل على نتيجة.

"حسنًا، دعني أقرأها لك يا غريغ، ربما ستتوقف عن مضايقتي".

دفع غريغ كرسي مكتب لورا جانبًا ثم اقترب من شاشة الحاسوب، وقال لها: "كلا، سأقرأها بنفسي".

عابن غريغ الملف الذي كان عن متلازمة مونخهاوزن بسرعة، وهي عبارة عن اضطراب نفسي يتظاهر فيه المصاب بالمرض، أو يُظهر أعراض المرض على نفسه عمدًا.

نظر غريغ إليها بشك. وكانت أشبه بضربة تحت الحزام، حتى بالنسبة إلى لورا: "هل تعتقدين بجدية أن الدكتورة تايلور لديها متلازمة مونخهاوزن؟".

قالت، وهي تبتسم بعجرفة من جديد: "لقد قمث بحفظ الأفضل من أجل النهاية يا غريغ". ثم نقرت على زرّ الفأرة، فظهرت وثيقة جديدة على الشاشة:

"البحث عن متلازمة مونخهاوزن باستخدام البروكسي يجعل القراءة أكثر إثارة. أنا...".

قاطعها ببرود وسخرية: "هذا عندما تقوم الأم بجعل طفلها مريضًا. أنتِ تبحثين عن المرض الخاطئ".

تنهدت لورا وكأنها تحاول الحفاظ على هدونها مع طفلٍ شقي: "اصبر يا غريغ، وسيتم كشف كل شيء. هذا ليس فقط عن أمهات يجعلن أطفالهن مرضى. إنه عن أناس يقومون بأدوار رعاية: ممرضات، أطباء، محترفون طبيون يتعمدون جعل حالة المرضى أكثر تدهورًا، ثم يقومون بإنقاذهم حتى تتم الإشادة بهم. هذا يعرف أيضًا بـ"لعب دور الرب".

شعر غريغ بقشعريرة باردة تسري في جسده. لم يعجبه أن لورا قد بحثت بهذا العمق. ولكن هناك أشياء يمكن تطبيقها بالفعل...

ردّ غريغ بعنف: "هذا هراء. سوف تواجهين تهمة التشهير إن لم تتوخ الحذر".

"هل هذا هراء؟ لا أظن ذلك يا غريغ".

"اليكس تايلور هي من أخبرتنا عن آثار العجلات على معطف ليليان أرمسترونغ. هل تظنين أنها كانت لتفعل ذلك إن كانت هي من داستها؟ أن تستعمل سيارتها ثم تدلنا على السلاح المُستخدم؟".

"من قال أنها استعملت سيارتها؟ ربّما استخدمت سيارة شخصٍ آخر. بالنظر إلى كل ما نعرفه، ألا تظن أن ظهورها المتواصل مثير للاهتمام بعض

الشيء؟ لقد تم اختطافها ومهاجمتها ثم تم قتل مريضتها إيمي أبوت، وفقاً لما قالته. ثم تُركت رسالة على سيارتها. بعدها قامت بارتكاب خطأ طبي كاد يؤدي بحياة شخص ما. وعلاوة على كل هذا، كانت أول شخص في مسرح جريمة دعس وفرار. وهذا يترابط مع نظريتها حول وجود طبيب مجنون، طليق. توجد الكثير من إشارات الاستفهام، بالنسبة لشخص من المفترض أن يكون بريئاً. ولكن، سيكون كل هذا منطقيًا إن كانت مريضة نفسيًا كما أعتقد. يمكنك أن تتوقع حتى تزايدًا في عدد الجثث". حركت كرسيها ثم وقفت: "أنوي التحقيق في أمرها، وبعد ذلك، سوف نعرف إن كنت محقة أو مخطئة". ثم أكملت بنبرة وقحة: "أوه، ولعلمك، ليليان أرمسترونغ كان لديها حساب فيسبوك مليء بالهراء، من قبيل ما تناوله الأطفال على العشاء، وما فعله الأطفال في المدرسة، وما كان يفعله الأطفال في اليوم التالي. ولكن لا شيء يُذكر عن عملها. يتم حاليًا التحقق من سجلات هاتفها وهاتف عشيقها السابق، أو بالأحرى والد أطفالها، الذي كان مشغولاً في وقت وفاتها، وهو سائق سيارة أجرة في ساوثهامبتون، ومن الموثق أنه كان يعمل في ذلك اليوم".

حدق غريغ في الشاشة مدة طويلة بعدما غادرت لورا. شعر وكأن هناك كلبًا مسعورًا قد أطلق، ينهش ويزمجر وينبح راغبًا في الدماء... وهو لا يستطيع أن يفعل شيئًا ليوقفه. ولا يستطيع أن يحذر الدكتورة تايلور بأنه قادم في اتجاهها.

الفصل الحادي والعشرون

قطع ناثن قطعة من شوكولا غالاكسي وأعطاهها لأليكس. كان قد اعتاد أن يشاركها وجباته السريعة من المأكولات غير الصحية. وهي بدورها لم تعد تشكره بعد تكرار تلك العادة مرارًا؛ إذ أصبح الأمر مزعجًا لكليهما.

قالت أليكس: "إذا ما واصلت شراء هذه الأشياء، فلن يتبقى لي أي أسنان. لو أن والدي، طبيب الأسنان، رأني لقتلني، فقد ظل على الدوام، قبل أن أترك المنزل، يعتنى بأسناني لتبقى في حالة مثالية. ألا يمكنك أن تختار مأكولات صحية؟ فاكهة مجففة مثلًا؟ أو شطيرة؟ أو ربما بعض المكسرات -أيضًا- ستكون جيدة".

لاحظت شفثيه تتحرّكان بينما يواصل كتابة ملاحظاته، ثم قال: "أليكس، إن كنت تريدين خيارات صحية، يمكنك إحضارها بنفسك. أنا ليس لدي الوقت لصنع السندويشات أو التسوق لشراء الفواكه المجففة. آلة البيع تزودني بكل ما أحتاج إليه، كما يمكنني شراء السمك والبطاطا المقلية، أو الطعام الصيني أثناء عودتي إلى المنزل".

قالت: "سينتهي بك الحال بأن تصاب بمرض السكري إذا لم تحذر هذه المأكولات. أو ربما ستصاب بنوبة قلبية أو مشكلات في الكلى. ستصبح مدمنًا على الطعام، وعندما تبلغ التسعين من عمرك، فستكون دون أسنان".

أدرت أنه توقّف عن الكتابة، ولم يردّ عليها بعد

صمت دام عدة ثوان، وحين رفعت رأسها رآته
يحدق فيها، سألت: "ماذا هنالك؟ ما هذه النظرة؟
لماذا تحدق في هكذا؟".

خلا مكتب الأطباء إلا منهما، مع ذلك كان يتكلم
بصوت منخفض: "أنا أعرف العلامات. لا بد أنك
تتعاطين شيئاً يا أليكس. وهو غير الكحول. شيء
يمنحك درجةً من الهدوء، لا أظنه نتيجة ممارسة
اليوغا، أو أي نوعٍ من أنواع التعذيب الأخرى. أسمع
من حين لآخر في صوتك. يمكنك القول أنك تبدين
أكثر ارتياحاً".

تفاجأت من اكتشافه أمرها، مع حرصها الشديد
على إخفاء الأمر. فهي لم تزل تأخذ دواء الديازيبام،
وقد زادت الجرعة إلى 5 ملغ. وحتى هذه الكمية
لم تستطع إخراجها من الحالة التي تعاني منها. لكن
أخرجتها من حالة الذعر. كانت متوترة بشأن زيارة
الطبيب النفسي يوم غد. وكانت متخوفة من أن
يخبرها أن كل شيء من صنع خيالها.

قال لها: "ارتاحي... لم ينتبه إليك أحد سواي. وأنا
استطعت أن ألاحظ ذلك لأنني أعمل معك. كارولين
-أيضاً- لم تلاحظ، فهي مهتمة فقط بمحاولة شم
أنفاسك. لكن يا أليكس، عليك التوقف عن تناول
المهدئات لأنها ستؤثر في أداء عملك، وأنا أكره أن
أراك ترتكبين أي خطأ". عاد إلى كتابة ملاحظاته. ثم
أضاف: "ربما تكون ممارسة اليوغا أو شيء من هذا
القبيل ليست فكرة سيئة بالنسبة لك".

حاولت إخفاء وجهها المثقده متظاهرة أنها بخير.

ولكنها بالطبع لم تكن كذلك. أصبح ناثن صديقًا جيدًا. كان لطيفًا ومتسامحًا. قدّرت فيه ذكائه وثقته بنفسه. لم يجعلها تشعر بأنه يراقبها، كما لا يدع المريض يشعر بأن هناك شيئًا غير طبيعي.

لقد وثقت به. ومنذ ليلة حفلة الأطباء، أدركت أنها معجبة به. لم تعد قادرة على تجنب نظراته إليها. لم تعد الوحمة التي على وجهه تلفت انتباهها، فقد صارت ترى الرجل الذي خلف الجلد المشوّه.

احمَرَ وجهها خجلًا، لكن لسبب مختلف، وسألت نفسها عما يحدث معها. ناثن بيل كان زميلًا ولا يفترض أن تشتهييه لمجرد أنها اكتشفت أنه رجلٌ جذاب.

عندما لمسها بيده، جفّلت.

سألها وهو يحمل علبة الشوكولا: "هل تريدان القطعة الأخيرة؟".

كانت لا تزال تشعر بحرارة وجهها عندما تناولت منه قطعة الشوكولا وأكلتها.

ذهبت بعد قليل، لتبريد وجهها بالماء البارد، حدّقت في المرأة وتأوّهت، فقد كان شعرها بحاجة إلى قص، وحاجباها بحاجة إلى نتف، ورات بشرتها شاحبة وباهتة.

تساءلت في نفسها عن رأي ناثن بها. ماذا سيكون رده إذا طلبت منه الخروج لتناول شراب؟

كلا... انسي ذلك. من المؤكّد أنها فكرة سيئة. ربما المشي في الحديقة، أو ربما يمكنهما الذهاب إلى

حفلة أو مشاهدة معرض فني. هذه فكرة أفضل.
فليها تذكرة احتياطية؛ لأن صديقها خذلها.
أحست بنفسها كما لو أنها مراهقة سخيفة. نظرت
إلى صورتها في المرآة مرة أخرى. لا ضرر من أن
تظهر مفاتها من جديد. عندما عادت إلى القسم،
كان كتفاها معتدلين ورأسها مرفوعًا، وعلى شفثيها
شيء من اللعان.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل الثاني والعشرون

لقد كانت ليلة ممتعة حتى الآن، شعرت بتحسّن مزاجها بعد الألم الذي أحسّت به. عانقتها فيونا بكل طاقتها، وكررت مرارًا اعتذارها لأنها تصرّفت بغباء وقسوة، فقط لكي تلفت الانتباه. ولم تقصد أن تعيد المحادثة التي جرت في مشهد التقليد الهزلي، لكن هذا ما حضرها في تلك اللحظة وتفوّهت به بشكل عفوي.

قالت: "في بعض الأحيان أكون بقرة غيورة".

التقتا في الساعة التاسعة، وكان لديهما الوقت لشرب العديد من المشروبات المتنوعة قبل أن تتوجّها إلى وسط المدينة. الآن، هما في ملهى ليلي مع الكثير من الناس المعربدين.

كان شابّ طويل القامة، والجزء العلوي من جسده ووجهه موشومًا باللون الأزرق، يقفز صعودًا وهبوطًا في المكان نفسه قدر الإمكان. بدا كأنه خارج عن السيطرة، لا يتحكّم بنفسه. ترافقه صديقه التي ترتدي تنورة حمراء اللون، قصيرة جدًا ومنتفخة، وقميصًا أحمر بنقط سوداء، وعلى ظهرها هوائيات سوداء منفوشة، وفي قدميها زوج من الأحذية الرياضية البيضاء.

لم تكن الدعسوقة والمحارب الوحيدين الخارجين عن المألوف، فقد اكتظّ المكان بأمثالهما من الأشخاص. أينما اتجهت أليكس، رأت ثيابًا غريبة، حتى إنّها تساءلت إن كانت في حفلة تنكرية. أحسّت بأنها كبيرة في السن.

صرخت فيونا بصوت مخنوق: "ناثان بيل!". كانت تحمل في يدها زجاجة من جعة بيروني، وسيجارة إلكترونية في اليد الأخرى. كان شعرها المجعد البني، الذي كانت قد صَفَفْتَه منذ المساء، يضيق وجهها النحيل: "ناثان بيل؟ لا بد أنك تمزحين؟".

صرخت أليكس: "اسكتي... اتفهمين... لا تدعي العالم كله يعرف".

قالت ذلك بصوت عالٍ؛ لأنه كان من المستحيل التحدّث بهدوء وسط أصوات الموسيقى، أو بالأحرى وسط ضجيج الموسيقى الذي كان أعلى من ضجيج قطار يمرّ وسط غرفة صغيرة. وفي الحقيقة لا أحد يمكنه سماع محادثتهما إلا إذا وضع أذنه أمام فم فيونا أو فم أليكس.

صاحت فيونا بصوت أعلى: "لا أصدق أنك سوف تسألينه".

أجابت أليكس بشكل متقطع: "أخربي، هل فهمت؟... أتمنى لو أنني لم أقل شيئاً... إنه فقط...".

قالت فيونا متحدية أليكس ومستاءة مما قد يحصل: "ماذا... هل هو بشع؟... ليس جذاباً؟... النظر إليه مُربك؟". ثم تابعت: "مملة أنت! أنا لا أهتم بمظهره الجذاب. لقد رأيت سابقاً كل الذين أقمت علاقات معهم، لم يكن أيّ منهم وسيفاً. لا... هذا مملٌ للغاية، لا أصدق أنك ترفضين الخروج معه لهذا السبب... يا الله! فكري جيداً قبل أن تضعي نفسك في مثل هذا الموقف. سوف يتوهّم أنك مهتمة به، ومن ثم سيكون عليك التخلّص منه".

تمت أليكس لو أنها لم تتحدث عن الأمر. ولكن هذه هي المرة الأولى التي يخرجون فيها معا منذ مدة طويلة. لذلك فإنهما، وبعد الحديث عن التزيين وعن أمور العمل العادية، كذلك عن تجاربهما الأخيرة، تحدثتا بشكل طبيعي عن الرجال. لم يكن لدى فيونا عشيق في الوقت الحالي، وكذلك هي حال أليكس الآن، فقط لديها علاقة محتملة، وقد أخبرت فيونا عنها.

ولا شك أن أسلوبها عكس ما كانت تحس به، لذلك قامت فيونا باحتضانها ودفنت رأسها بين نهدتها قائلة: "تعالى إلى هنا أيتها البقرة السخيفة. أنت تعرفين أنني أحبك يا حلوتي... أنا، فقط، مهتمّة بك، ولكن إذا كنتِ ترغبين به... فلك ذلك". تراجعت عن أليكس قليلاً لتدعها تتنفس، ثم قالت: "على الأقل، هو ليس غيبًا مثل باتريك".

عندما ذكرت باتريك، شعرت أليكس بانقباض وألم في بطنها. كان يصعب عليها تصديق فكرة أن كل شيء بينهما قد انتهى. ربما كان من السابق لأوانه التفكير في علاقة مع شخص آخر.

صاحت فيونا: "أنتِ من ترغبين فيه. لك ذلك. على الأقل يمكنكِ أن تتأكدي إن كان سيعجب بك بالمقابل!".

حملت أليكس فيها، ثم اقتربت لكي لا تضطر إلى التحدث بصوت عالٍ، وقالت: "ما الذي تقصدينه بذلك؟".

لوحت فيونا بشكل عرضي والسيجارة الإلكترونية

بيدها: "لا شيء".

عرفت أليكس أنها تكذب، فقالت: "فيونا، هل تظنين أن ما حدث معي في العام الماضي كان خطئي، وأنا أنا التي سعيت إليه؟".

اثسعت عينا فيونا وفغرت فمها: "لا تكوني غبية يا حبيبتي. أنت ما كنتِ لتعرفي أن ذلك سيحدث، حتى ولو كنتِ رغبت به".

شردت أليكس بنظرها بعيدًا، من الواضح أن فيونا تعتقد أن ما حصل معها هي تتحقل جزءًا من مسؤوليته. مما يعني أنها وقعت في الموقف دون إرادتها وبشكل أعمى.

قالت أليكس: "وماذا عن الذي حدث معي مؤخرًا؟ وما حدث لسيارتي؟ والليلة التي وجدت فيها في موقف السيارات؟ هل تظنين أن كل هذا مجرد أوهام أتخيلها؟".

تنهدت فيونا قائلة: "اسمعي يا عزيزتي، يحدث معك الكثير من الأمور في هذا الوقت. تعلمين أنك حساسة، أليس كذلك؟ دماغك لديه القدرة على الإفراط في التفكير في بعض الأحيان. لا أحد منا يعرف ردة فعله عندما نكون مرهقين".

قالت أليكس: "مثل ارتكاب خطأ تركيب العقار المخدر؟".

هزت فيونا رأسها: "قلت أنك لم تفعلي ذلك. أنا أصدقك. وكذلك الدكتورة اللعينة فيلدينغ صدقتك بقرة. تحدثت عن الأطباء الذين يؤازرون بعضهم

بعضًا".

فاحتجت أليكس قائلة: "إنهم لا يفعلون". وتابعت:
"المؤسف أنها قالت لك ذلك. هي... ربما تعرف فقط
أنني مررت بوقت عصيب".

وافقتها فيونا قائلة: "حسنًا. أنا أصدّقك، وبالطبع
هي على حق. كما قلت لك، لا أحد منا يعرف كيف
يمكن أن تكون ردود أفعاله حين... وأنا لا أقصد أنك
تسببت في حدوث خطأ المخدر".

سألت أليكس بحدة: "ولكن هل يُحتمل أن أكون أنا
من قمت بالكتابة على السيارة؟".

هزت فيونا رأسها: "أليكس، ليس من الممكن أن
تكوني أنت من فعلت ذلك، لأنك كنت موجودة في
الحفلة".

انتابت أليكس رغبة في البكاء. لماذا لم تسأل
فيونا عما فعلته الشرطة بهذا الصدد؟ أو، لماذا لم
تقل بأنه علينا معرفة من فعل ذلك؟ أو، لماذا لم تقل
بأنه يجب أن تكوني حذرة لأن هناك من يلاحقك،
شخص ما يكرهك ويحاول إخافتك؟ وبدلاً عن
ذلك، راحت تعطي عذراً ضعيفاً لتفسر لماذا لا تكون
أليكس هي التي من قامت بالفعل الحقيقي. وهذا
يترك ثغرة كبيرة بما يكفي لأن تقع أليكس فيها.

"مرحبًا أنسة مونيبيني. هل ترغبين أن آخذك بعيدًا
عن كل هؤلاء الرجال السيئين؟".

نظرت أليكس إلى فيونا وهي تؤدّي مشهدًا
للتسلية. كان ينبغي أن تكون فيونا على المسرح،

إنها فنانة موهوبة.

صرخت فيونا: "هل تحبين الكباب؟".

أليكس لا تحب، ولكنها ستوافق على أي شيء للخروج من هذا المكان. لقد أزعجها ما قالته فيونا. صداقتهما مهمة بالنسبة لها، لكن في هذه اللحظة أحست أنها زائفة بعض الشيء.

قالت أليكس: "لماذا لا نأخذ الوجبات الجاهزة، ونعود إلى بيتي بدلاً من الذهاب إلى محل آخر؟".

ابتسمت فيونا قائلة: "الآن تتكلمين. ولكن بشرط واحد... أن أنام أنا على السرير".

تساءلت أليكس وهي تندس تحت لحافها الاحتياطي على الأريكة. ارتاحت لفكرة نوم فيونا في الغرفة المجاورة. انتهت السهرة قبل الموعد المتوقع، كانت ليلة عابرة، وكانت مسرورة بفكرة عدم الاستيقاظ غداً وهي تحت تأثير الكحول.

سيطرت أحاديث من الماضي والحاضر على تفكيرها، ضغطت على عينيها المغمضتين لإبعاد صوت فيونا من رأسها. إنها تحب فيونا، وترفض هذه الأفكار السلبية. لكن للأسف ستظل تتذكر ما قالته فيونا قبل عام؛ لأن لديها ذاكرة جيدة: هل أنت متأكدة من أن الأمر كان سيئاً كما تقولين يا حبيبتي؟ هل أنت متأكدة من أنك لم تعطه إشارات خاطئة؟

تقلبت على جانبها بحدة وضربت الوسادة برأسها بقوة، رغبة في التخلص من هذه الذكريات القاتمة.

سوف لن تستسلم للشفقة على نفسها. كانت فيونا رائعة تجاهها بعد ما حدث معها، وأصرت أن تبقى ألكس في بيتها إلى أن تتجاوز الحالة النفسية التي تعاني منها. وقد ساعدتها في العثور على هذه الشقة. لولا فيونا لما عرفت ماذا تفعل. ركزت على الأفكار السارة، الأيام المشمسة، مشاهد الشاطئ، السماء الزرقاء، الرمال الحريرية، وعيني ناثن...

استيقظت على صوت ارتجاج هاتفها. تصارعت الأفكار في رأسها، أي يوم يكون؟ هل هي في المستشفى، أم عند باتريك؟ أم عند والدتها؟ أخذت الهاتف المحمول لإيقاف الضوضاء الصادرة عنه وغمغمت: "مرحبا".

رد صوت قائلاً: "قريبًا...".

فتجمدت أنفاسها في حلقها.

كلمته الوحيدة كانت كفيلا بحرق أعصابها والاستيلاء على كيانها.

أرخت فكها، وتلعثمت في الكلام: "ع... ع... عفوا". امتد صمته، ثم تحدث من جديد وقال: "سأعود قريبًا من أجلك".

ارتعشت بشكل لا إرادي، سقط الهاتف المحمول من يدها، وعندما لمستها فيونا، جفلت كما لو أنها تعرضت لصعقة كهربائية. ثم سألت ألكس متضرعة: "بحق المسيح، لا تقولي لي أنك تلقيت مكالمة مرة أخرى؟".

لم تستطع ألكس التكلم. صدر عنها بصعوبة أنهن

متقطع. تسفرت في مكانها مرتعبة.

"يا إلهي!... سأقول إن هذا ذنبي... أو أفضل من ذلك، سأقول إنك مريضة. دعيني...".

أسكتت صرختها فيونا. ثم أحرقَت الفودكا، التي أجبرتها فيونا على شربها، حلقتها، قبل أن يسعفها الكلام لتخبر فيونا بأنه قد اتصل.

قالت فيونا: "أنا سأتصل بالشرطة!".

هزت أليكس رأسها: "سوف لن يصدقوني".

رفعت فيونا ذقنها بشكل حازم وقالت: "سوف يصدقوني! سوف يتتبعون المكالمة!".

ضحكت أليكس بصوت هستيري: "لن يتتبعوا المكالمة أبدًا! ثم ما الذي ستقولينه لهم؟ إنني سمعت رنين الهاتف؟ ووجدتني أرتجف في مكاني؟ لن يصدقوني، يا فيونا، إنهم يعتقدون أنني أتخيل كل مل يحدث لي".

الفصل الثالث والعشرون

غرست لورا بيست مرفقها في أضلاع الشاب النائم بجانبها. صرخ باستياء وتملص مبتعدًا عنها. لكنها لم تستسلم، هزت كتفه بشدة، وتكلمت في أذنه بصوت عالٍ: "هياي. أيها النعسان. حان وقت الذهاب إلى المنزل".

رفع دينيس مورغان رأسه عن الوسادة بعينين دامعتين وقال: "لا يمكنني قيادة السيارة. لقد أفرطت في الشراب".

قالت له: "اطلب سيارة أجرة إذن".

"وماذا عن سيارتي؟"

"سوف أحضرها لك غدا صباحًا إلى العمل".

"ولكن هذا يعني أنني يجب أن أستقل سيارة أجرة إلى العمل أيضًا".

هذا ليس خطئي يا دينيس. ما كان عليك أن تفترض أنك تستطيع المبيت هنا".

ردًا بانفعال، وقد استفاق ينظر إليها بعدم ثقة: "ما كان عليك فتح زجاجة النبيذ". ثم أردف: "هل أنت جادة؟ أحقًا تريدني أن أغادر؟".

كان رأسها أعلى من رأسه، إذ كانت نصف مثكئة في السرير، بينما كان دينيس لا يزال مستلقيًا، فراها تومي برأسها.

قال متفاجئًا: "أنا لا أصدق هذا! ما الذي فعلته؟".

قالت له بهدوء: "لقد انتهينا يا دينيس".

احمرّ وجهه من الغضب. لم تدع معاني كلماتها الواضحة مجالاً للشك في أنها كانت جادة. لقد مارسا الجنس، والآن تريده أن يغادر.

غادر السرير وصار يبحث عن ملابسه ثم قال: "ما مشكلتك؟ ما كنت لأخرج من هنا، وأدع الجيران يرونني. كان يمكن أن أكون حذرًا!"

"لا يهمني الجيران يا دينيس. مشاركة سريري تقلق راحتي".

توقف عن شدّ حزامه ثم قال: "شكرًا جزيلاً. كنت أظن أن ممارسة الحب هي عادة مشاركة في السرير".

ابتسمت وقالت: "لا تأخذ الأمر على محمل شخصي. الأمر ليس كذلك".

كان يرتدي معطفه بغضب، حينما قال: "بالتأكيد. لا شيء شخصي في الجنس، أليس كذلك؟ سوف آخذ سيارتي الليلة، شكرًا جزيلاً. لا أريدك في سيارتي بعد الآن".

تنهدت غير متأثرة بانزعاجه، وقالت: "ابق في الصفوف الخلفية من السيارات، إذن، ستكون فرصة رؤيتك أقل".

كان ظهره إليها وهو يغادر غرفة النوم، عندما نادته بلطف: "دينيس. هل تريد فعلها مجددًا في وقت ما؟".

صرخ في وجهها: "كلا، لا أريد ذلك. أنت لست جيدة يا لورا".

ضحكت برقة، لكنها توقفت عندما أغلق الباب الأمامي، مما أثار لديها الإحساس بالذنب والشفقة. لقد فعلتها مرة أخرى. جعلت شخصاً قريباً منها يبتعد عنها. عاقبته بسبب ما مزت به. على الإهانة التي شعرت بها على يدي غريغ، كانت على استعداد لجعل شخص آخر يشعر بالألم نفسه. كان دينيس لطيفاً، وكان معجباً بها حقاً. ولكن في الأشهر الستة الأخيرة، بدأ إحساسها بالمرارة يتفاقم. مرارة خلقت في قلبها قساوة. ولم تكن مستعدة لتسمح لهذه القساوة أن تتصدع.

كانت تظن أن غريغ أحبها. يا لها من فكرة غبية. رن هاتفها المحمول، فالتقطته باستسلام، ولكن الرسالة لم تكن من دينيس، بل كانت من صديقتها ماندي، الموظفة المسؤولة عن تلقي الاتصالات في فريق الإسعاف. تلقت الدكتورة تايلور من خاطفها اتصالاً هاتفياً يهدها فيه. ابتسمت لورا ابتسامة متكلفة. بالطبع ستتابع الأمر. كانت المسألة فقط مسألة وقت.

ردت على صديقتها برسالة نصية، تطلب منها أن تبقئها على اطلاع على كل جديد.

خرجت من السرير، ونزلت إلى الطابق السفلي وذهنها مشغول بالعمل. أطفأت الأنوار، وأسدت الستائر جيداً في المطبخ. كان جارها غاس بيرد، يحب أن يراقبها عندما لا تكون زوجته في المنزل. سكبت لنفسها كأساً من الحليب، وأخرجت الظرف البني من حقيبتها، وجلست إلى طاولة المطبخ.

كان من السهل الحصول على هذه المعلومات. فهي من سلك الشرطة، وتحتاج فقط إلى نسخة من المعلومات. ومعرفتها بالمرأة التي تعمل هناك، جعل الأمر أسهل قليلاً. لم يكن هناك حاجة لمذكرة تفتيش أو لتدخل أي شخص آخر. الشرط الوحيد، كان أن تتلف المستند بعدها، وألا تخبر أحد من أين حصلت على المعلومات.

كانت السيرة الذاتية للدكتورة الكساندرا تايلور بين أيديها الآن. تصفحت أول صفحتين بدون تركيز على التفاصيل، وكان الأمر مثيراً للإعجاب. أحست لورا بالغيرة الشديدة. كانت الطبيبة أكبر منها بسنتين فقط. في الشهر المقبل، سوف تكون في التاسعة والعشرين من عمرها. وكان هناك العديد من الشهادات والاختصاصات بعد اسمها: جامعة كامبريدج - شهادة الطب، وشهادة في الجراحة، (زميلة جامعة طب الطوارئ)، مدربة الدعم الطبي للراشدين - الدعم الطبي للراشدين الذين يعانون من الصدمات.

بعض الأماكن التي عملت فيها كانت راقية للغاية: مستشفى سان بارثولوميو في لندن. مستشفى سان ماري في بادينغتون. مستشفى فيكتوريا الملكي في بيلفاست. قلبت عدة صفحات، وفي حلقها غصة، لترى بعض اهتماماتها وهواياتها. الجري كان على رأس القائمة، ومن بعدها التسلق. ثالثا الإسعاف البري (إسعاف حالات في أماكن مقطوعة). ثم قرأت عن هواياتها الخاصة: قيادة مروحية (تحمل

رخصة قيادة مروحية تجارية). قضت ستة أشهر في خدمة الطوارئ الطبية للطائرات المروحية.

ازدادت غيرة لورا. أليكس تايلور ليست فقط ذات إمكانيات عالية، بل يمكنها قيادة مروحية لعينة! في غضون عشر دقائق من معرفتها بها، كرهت تلك المرأة، والكراهية تزداد كل ساعة منذ ذلك الحين.

كانت طريقة الكلام المحترمة والموقرة عن أليكس واضحة بمجرد دخول لورا المستشفى. خيم الصمت، بينما تابعتها عيون الزملاء عبر الطابق إلى غرفة الاختبار الخاصة، الرسالة في تلك النظرات كانت: "اهتمي بها، إنها مميزة".

كان الاحترام الكبير الذي يكنه توم كولينز للمرأة واضحًا.

لم يجد الطبيب الشرعي النيوزيلندي الوقت ليقول للورا، صباح الخير، عندما كان في مخفر الشرطة، ولكنه جلس خارج غرفة الفحص لأكثر من نصف ساعة وبدا حزينًا تمامًا مثل أي قريب لها. وكان هذا الطبيب هو الرجل الذي لم يظهر مشاعره.

يبدو أن الدكتورة تايلور لديها كل شيء - الذكاء، مسيرة مهنية، الاحترام - كما أنها عملت في لندن، حيث تمت لورا العمل. كانت قد قدمت طلب انتساب لشرطة لندن، ولكن تم رفضها بشكل قاطع. كان أداؤها أفضل بقليل مع شرطة تايمز فالي وغيرها من قوات الشرطة، حيث قدمت طلبات انتساب. كانت رسائل الرفض كلها متشابهة، مغلفة بلباقة مصطنعة، مع إمكانية فرصة قبولها عند إعادة

تقديم الطلب مجددًا.

أخيرًا، تم قبولها من قبل شرطة أفون وسومرسيت. لقد عملت في كل بلدة في المنطقة، حيث فرصة حدوث أي شيء مثير للاهتمام شبه معدومة، قبل أن تفوز بمدينة باث بمثابة جائزة.

علقت لورا في مدينة حيث الجرائم الجدية نادرة الحدوث، وإن حصلت، خاصة جريمة قتل، تبقى عالقة في أذهان العامة سنوات قادمة. مدينة مشهورة بهندستها المعمارية، ومبانيها الجورجية، وجين أوستين، والرومان اللعينين. والآن، تريد أن تصبح مشهورة من خلال قضية قاتل متسلسل - د. هارولد شيبمان آخر سيكون مناسبًا - حتى تستطيع أن تحظى بحصتها من الشهرة عندما تلقي القبض عليه، أو عليها. فكرة لم تكن لتشاركها مع أحد بالطبع. لم تكن بهذا الغباء. لم تكن تريد أن يتم وصفها مثل الطبيبة الناجحة تايلور.

قد تقضي الأعوام الخمسة القادمة عالقة هنا، دون أن تحصل على ترقية - إلا إذا حصلت على قضية كبيرة. ومن المحتمل أن تكون الدكتورة أليكس تايلور هي قضيتها.

عند التفكير بالأسابيع القليلة الماضية، هناك بكل تأكيد أشياء مثيرة للاهتمام تتراكم: اختطافها المزعوم، موت إيمي أبوت، الذي أعلنته الدكتورة تايلور جريمة قتل، موت ليليان أرمسترونغ، والحديث عن الخطأ الطبي الذي كاد يؤدي بحياة أحد المرضى، الذي كانت تايلور متورطة فيه أيضًا.

ربما لم يكن لديها الفرصة لتجعل حالة مريضها تتدهور قبل أن تستطيع إنقاذه. هل كانت فعلاً تنوي أن تقتله؟ أدركت لورا أن هذا يتنافى مع نظريتها عن اضطراب مونخهاوزن بالوكالة.

من المحتمل أن تكون أليكس تايلور قاتلة متسلسلة. لم يكن هذا أمراً مستحيلاً. فهي تمتلك المهارة الطبية اللازمة لكي لا يتم اكتشاف أمرها.

الآن، كل ما كان على لورا العمل عليه هو معرفة الدافع... وزلة لسان فيونا وودز قد تكون الإجابة. ما الذي كان يجب ألا يحدث مجدداً؟ هذا ما أرادت لورا معرفته. عندها، قد تكون حصلت على قضية. ما الذي كان يجب ألا يحدث مرة أخرى؟ ثم قد يكون لديها قضية.

الفصل الرابع والعشرون

نظرت أليكس إلى ساعة يدها، وجدت أن لديها من الوقت ساعة وعشر دقائق قبل انتهاء مناوبتها في العمل. وبعدها تبقى لديها أربعون دقيقة قبل أن يحين موعدها. كان وقتنا كافيًا لتأخذ حمامًا سريعًا وتترزين ببعض مساحيق التجميل، وإذا بقي المكان بهذا الهدوء، يمكنها أن تشرب كوبًا من الشاي أيضًا.

من غير المعتاد، في منتصف شهر كانون الأول، أن يكون القسم بهذا الهدوء. عادة ما يكون قسم الطوارئ في مثل هذا الوقت من العام مزدحمًا بالمرضى، معظمهم من كبار السن. ومن الأسباب الأكثر شيوعًا لإدخالهم إلى المستشفى، هي حالات السقوط، والتهابات الصدر، أو انخفاض درجة حرارة الجسم. والمؤسف، أن بعضهم يمرض نتيجة للشعور بالوحدة، كونهم يعيشون بمفردهم في أيام الشتاء الطويلة والمظلمة. مما يؤدي إلى إصابتهم بحالات من القلق، ينسون ما هو اليوم، وينسون إن كانوا قد تناولوا حاجتهم من الطعام والشراب والدواء، أم لا.

مع اقتراب أعياد الميلاد وقبله بأسبوعين تقريبًا، تدهم بعضهم حالة اكتئاب، وينتابهم شعور بالوحدة، لمجرد التفكير في أنهم سيقضون العيد وحيدين. وكيف يمكنهم تناول عشاء عيد الميلاد، والذي يتم تسليمه يدويًا، على أمل ألا تسرع السيدة التي تقدم لهم الوجبات على عربة، بالذهاب.

الجلوس في سرير المستشفى في يوم عيد الميلاد، حيث وجود أناس للتحدث معهم، كان سببًا

جيدًا لإقبالهم على المستشفى في منتصف شهر كانون الأول.

حاولت التخلص من هذه الأفكار السلبية، فهي لديها ما يكفي من القلق والهموم. لقد سئمت أن تكون مثار السخرية والشفقة وعدم التصديق من قبل الآخرين. سئمت الأفكار والأسئلة الكثيرة التي ترهق تفكيرها. هل كانت في طريقها إلى الجنون؟ هل كانت تهلوس في تلك الليلة؟ هل ما سمعته وما رآته لم يكن حقيقيًا، وأنها تخيلت كل شيء؟ ألم تعد تسيطر على عقلها؟ هل كانت المكالمات الهاتفية التي تلقتها ليلة السبت حقيقية؟ لقد أعطت وفيونا إفادتيهما للشرطة الجنائية، لكنهما لم تتلقيا أي رد حتى الآن. وقد يكون تحديد موعد مع المحلل النفسي هو الحل الوحيد.

كانت قلقة بشأن مقابله. تذكرت كلمات فيونا حين عانقتها صباح يوم الأحد، قبل افتراقهما: "إن ما حدث معك في العام الماضي كان تجربة لعينة. لقد تجاوزت الأمر بسرعة يا عزيزتي، ربما لم تكوني قد تجاوزتها بالفعل. ومن المحتمل لو أننا قمنا بالتبليغ عن الحادثة بشكل صحيح، لكننا سببنا بعض المشكلات لذلك الرجل اللعين. وذلك أفضل بالنسبة لك. كان سيسمح لك بتجاوز الأمر بشكل أفضل."

أصغت إليها أليكس باهتمام، وكل ما كان يشغلها هو: هل أخبرت فيونا أي شخص آخر؟

قالت فيونا: "بالطبع لا. لا أحد يعلم، فقط أنا وانت، وكارولين، بالإضافة إلى العميل السري

المكلف، بالطبع. كان على كارولين إخبارهم حتى
نتمكّن من التخلّص منه. لكني لم أخبر أي
شخص آخر. فنحن اتفقنا على ذلك".

كانت أليكس قد قرّرت ذلك. لا يوجد أيّ شاهد أو
دليل على كلامها. كان من الممكن أن يسجل كلامها
ضدها، ولم ترغب في المغامرة. لقد كان اختيارها
صائبًا عندما قرّرت العمل في باث. فهي مدينتها
التي نشأت فيها، والتي رجعت إليها ورغبت في
البقاء فيها. ولو أنها في يومٍ من الأيام قابلت الرجل
المناسب، ستكون سعيدة بإنشاء عائلة. في العام
الماضي، قرّرت ألا تذهب إلى الشرطة، حتى لا
تعرّض مستقبلها إلى الخطر.

ربّما لم تناقش فيونا ماضيها مع أيّ شخصٍ آخر،
لكن كلامها كشف عن رأيها في ما يحصل الآن. هو
ما كانت أليكس تشكّ فيه طوال الوقت، إن أقرب
صديقاتها لم تصدّق ما حدث معها.

المحلّ النفسي اسمه ريتشارد سيكيرت، عندما
قامت بالبحث عن اسمه على محرك غوغل، أحسّت
بالقلق حينما قرأت عن وجود رجلٍ اشتهر بأنه
جاك السفاح، وكان اسمه الحقيقي والتر ريتشارد
سيكيرت. كما قرأت عن أنّ الفنان ريتشارد
سيكيرت، قام برسم أربع لوحاتٍ مستوحاة من
حادثة قتل إحدى العاهرات، والتي وقعت في
كامدن تاون في لندن عام 1907، وقد توفّي في
سنوات الأربعينيات، في مدينة باث. وتساءلت عما
إذا كان ثمة ارتباط بينهما.

كان يرتدي قميصًا بمربّعات زرقاء اللون، وسروالًا أسود اللون، وحذاءً من نوع تان أسود اللون أيضًا. كان شعره الغامق مبللًا، كما لو أنه خرج للتوّ من الحمام. وإطار نظاراته أسود مستطيل مصمّم بشكل عصري، ومن الصعب تخمين عمره، ربما في أواخر الأربعينيات، أو أوائل الخمسينيات، لكن بالنظر إلى نشاطه، فإنه يوحي أنه أصغر من ذلك. بدا المظهر الخارجي والشرفة غير ملفتين للنظر، ممّا أعطى أليكس الانطباع أن هذا بيته. حتى إنّه لم تكن هناك لوحة باسمه ومهنته معلقة على الجدار الخارجي. تساءلت عما إذا تعقد فعل ذلك، حتى يجنّب الأشخاص الداخلين إليه الإحساس بالإحراج، أو الإسراع لتجنّب رؤية الآخرين لهم وهم يدخلون إلى عيادة محلّي نفسي.

بغض النظر عن وجود طاولة مكتب وهاتف وملفات، فإن عيادته كانت أشبه بغرفة جلوس مريحة للغاية. فيها أريكتان من جلد الغزال، بلون بني غامق، وضعتا على مسافة مريحة من بعضهما، ويفصل بينهما طاولة قهوة خشبية متينة. ومصباح على لوح جانبي، بالإضافة إلى ضوء آخر صادر عن مصباح بغطاء كريمي كبير في إحدى زوايا الغرفة.

كانت غرفة مريحة جدًا، تم تصميمها لتتوفّر فيها شروط الاطمئنان، لكن الصمت المخيم في المكان كان لافتًا. الصمت والسلام. جلست غارقة في إحدى الأريكتين، وكان من دواعي سرورها أن تجلس هناك مدة طويلة دون التفوّه بكلمة واحدة.

ابتسم ابتسامة صغيرة كما لو كان يقرأ أفكارها، ثم جلس في الأريكة الأخرى، وتركها تسرح في تأملاتها. مرّت عدّة دقائق وهي صامتة، ثم شعرت بأنّ عليها أن تقول شيئاً، فقالت ما هو معتاد أن يقال في البداية: "شكراً لك على استقبالي".

قال: "يمكنك ألا تتحدثي إن لم تكن لديك الرغبة في ذلك. يسعدني أن تجلسي هنا وتسترخي. لا داعي للعجلة، يمكنك أن تقضي ساعة أخرى في هدوء إن أحببت. إن الدكتورة فيلدينغ، وبعد موافقتك، اطلعتني على ما يحدث معك، لذلك لا داعي للعجلة".

أسندت رأسها إلى ظهر الأريكة اللين مسترخية، ثم قالت: "ظننت أنه سيكون لديك الكثير من الأسئلة".

"كلا. لا أعمل بهذا الأسلوب. يحتاج العقل إلى وقت كافٍ ليكون مهياً للتخلّي عن المعلومات، أو يفرز المعلومات المخزّنة. غالباً ما يحتاج العقل إلى جلوس المرء بهدوء دون أي ضغط على التفكير. إنها فسحة العقل للراحة".

"يبدو أن ذهني لا يريد أن يتوقّف عن العمل، على العكس، لمجرد أن أكون في حالة سكون أو أحاول النوم، يُفرط في النشاط".

"هل توذّين إخباري بشيء عن نفسك؟ وكإجراء شكلي، هل لديك مانع أن تحدثيني عن تاريخك الصحي؟".

قالت، موافقة: "حسناً".

تناول من على طاولة المكتب ورقة مطبوعة ثبتها على ضاغطة، ثم أمسك القلم بيده مستعدًا للكتابة. "سنبداً بشيء سهل. ما الأمراض التي أصبت بها في عمر الطفولة، غير نزلات البرد والسعال وما شابهها؟".

"كلا، لم أمرض في طفولتي، بل كنت أتمتع بصحة جيدة حتى سن الرابعة عشرة، حيث أصبت بالحصى الغذائية. عانيت بسببها من الوهن عدة أشهر، لكن بعدها تعافيت تمامًا".

"هل عانيت من الاكتئاب في حياتك؟".

هزت رأسها نافية: "لم يتم تشخيص شيء. لكن عانيت في العام الماضي من الاكتئاب مدة معينة، وبالطبع لم تكن الأسابيع القليلة الماضية على وجه التحديد مدة سعيدة بالنسبة لي".

"إذن، لم تستشير طبيبتنا، ولم تتلقي أي علاج؟". شعرت أليكس أن رقبتها احمرت: "كلا. أنا فقط. تدبرث الأمر أو تجاوزته، على ما أظن".

خربش كلمات على الورقة، فتساءلت أليكس عما إذا عذها لم تقل الحقيقة كاملة.

الديازيبام... كانت تأخذه بالتأكيد بوصفة طبية. تساءلت إن كان يكتب كلمة "كاذبة".

"ما عدا الحمى الغذائية، ونوبة الاكتئاب، ألم تتعرضي لشيء آخر؟ ولا إلى إصابة في الرأس؟".

هزت رأسها مرة أخرى قائلة: "كلا". ثم أضافت: "كان هذا صحيحًا، حتى قبل أسابيع من الآن".

حيث قالوا لي في المستشفى إنني أصبت بارتجاج خفيف، من المحتمل أن يكون نتيجة سقوط غصن شجرة على رأسي".

"هل حدث ذلك في الليلة التي تعتقد أنك اختطفت فيها؟"

"نعم".

"وطبعا أنت لا توافقين على تشخيصهم؟"

هزت رأسها يائسة: "أنا لا أعرف. لا أعرف أكثر من ذلك. المؤكد أنه بدا حقيقيا. إنه بالفعل حدث. لا يمكن أن يكون متخيلا في ذهني... إنه... إنه...".

تسارع تنفسها، وتسارعت دقات قلبها حتى إنها شعرت بخفقان قلبها في صدرها.

قال: "جيد... أنت تقومين بعمل جيد. هدئي من روعك، تنفسي ببطء واسترخي".

أخذت أليكس بعض الأنفاس العميقة، فأحست بشيء من الراحة.

بعد برهة، قال: "والآن، أفضل؟"

أومأت برأسها مؤكدة: "آخر الأسئلة. وبعد ذلك يمكننا أن نستمر".

"هل عانيت من الهلوسة، أو المشي أثناء النوم، أو من الكوابيس؟"

"الكوابيس؟ نعم. وكذلك من قلة النوم، خاصة في الوقت الحالي".

"وماذا عن الكحول أو عن تعاطي المخدرات؟"

قالت بلهجة قاطعة: "كلًا. المخدرات كلًا. أما الكحول؟ من الممكن أنني أكثرث من الشراب أثناء الأسابيع القليلة الماضية، لكن ليس بإفراط".

مزة أخرى، كتبت شيئًا على الورقة. تساءلت أليكس في نفسها عما إذا كان يضع خطًا تحت كلمة "كاذبة"، مؤكدًا ذلك.

"حسنًا، حسنًا، كان هذا آخر الأسئلة".

أعاد الضاغطة إلى الطاولة، ووضع القلم من يده، ثم ابتسم قائلاً: "والآن، أخبريني المزيد عن نفسك". قالت أليكس باستهجان: "أنا طبيبة. هذا كل شيء".

"وماذا أيضًا؟"

"هذا ما أردت أن أقوم به طوال حياتي. إن مهنتي هي حياتي".

تنهدت بتعب وأغمضت عينيها. سمعت صوت الماء يسكب في كأس، ثم يوضع أمامها.

قالت بعد أن شربت رشفة: "شكرًا".

"كيف تشعرين بشكل عام؟"

تنفست أليكس الصعداء وقالت: "أشعر بالإرهاق، بالذعر، ذهني لا يتوقف عن التفكير. كل رجل أنظر إليه، أرى أنه من المحتمل أن يكون خاطفًا. تأتيني كوابيس، أرى أنني أمشي في المستشفى وأشعر به يمشي خلفي. أبداً في الركض، وأفكر فيما إذا سأستطيع الوصول إلى نهاية الممر والاختباء. لكن الممرات تتغير باستمرار. وتختفي الأبواب

والمخارج. الإشارات التي تدل على مداخل الأجنحة فارغة لا تحتوي على شيء. وأنا عالقة. كلما وصلت إلى نهاية ممر، أجدني أمام ممر آخر. وهو مستمر في ملاحقتي".

تحدّث معها بكلمات هادئة ولطيفة، فأراحها صوته، ثم سألتها: "هل تستطيعين رؤيته؟".

"كلا. لكن أستطيع سماعه! أسمع خطاه وهي تقترب مني!". قالت ذلك وأجهشت بالبكاء.

فقال لها: "استديري إليه وواجهيه. أسأليه ماذا يريد منك".

"إنه غير مرئي. إنه غير مرئي للجميع. لا أحد يصدّق أنّه موجود. لكنه حقيقي. لقد لمسني!".
"متى لمسك؟".

"عندما كنت فاقدة للوعي، نزع عني ملابسني. رأني عارية، ولمسني من الداخل".
"بماذا؟".

"أنا لا أعرف إن كان...". تلعثمت في الكلام، ثم قالت بصوت أقرب إلى الهمس، مليئًا باليأس: "أراد أن... قال إنه سيقوم... لكنني لا أعرف ما إذا كان قد فعل، لكنه كان يريد أن... وأنا قلت له نعم".

"وهل أنت واثقة من أن هذا حقيقي؟".

قالت وهي تضيق عينيها بشدة: "نعم! كان ذلك حقيقيًا! كنت هناك. لقد رأيته".

"هل تخشين أن يعود مرة أخرى؟".

أجابت بشكل قاطع: "نعم. لقد أخبرني أنه سيأتي من أجلي".

جلس ريتشارد سيكيرت في صمت، وعيناها مستقرتان في النظر إليها، أما هي فقد شعرت بالاطمئنان.

ثم تحدث قائلاً: "أريد منك أن تفعلي شيئاً. أريد منك أن تغمضي عينيك وتتخيلي نفسك في ذاك الممر. إنه ممرٌ طويل. والجدران عالية. أنت وحدك. تبدئين بالسير في الممر، ثم تسمعيه. الآن، ابدئي العدّ ببطءٍ بالترافق مع كل خطوة تخطينها. لا زلتِ تستطيعين سماعه. لكن خطواته لم تعدّ تزداد سرعة. إنها تطابق خطواتك. عندما تصلين إلى العدد عشرة، ترين باباً زجاجياً. يوجد للباب مقبضٌ يمكنكِ فتحه. الشمس مشرقة خلف الزجاج. والضوء ساطع...".

"المشهد أمام عيني. لا أستطيع أن أرى وجهه، لكنني أسمعُه".

"ما الذي يقوله؟".

"إنه يخبرني بأنه لم يحدث لي شيء. ثم أغضب وأطلب معرفة ما يجري، لكنه يرفع يده البنفسجية اللون، حاملاً دباسة. يهذد بتدبير شفتي ببعضهما، ويقول... إنه يقول...".

فجأةً استقامت في جلستها. فتحت عينيها تماماً، شاردةً الذهن، كما لو أن ما سمعته في ذاكرتها أصبح واضحاً. "اليكسا".

ثبتت نظرها على ريتشارد سيكيرت وقالت: "لقد ناداني باسمي، أليكس، قبل أن أذكر له اسمي. إن هذا الرجل يعرفني! أنا لم أكن مجرد ضحية عشوائية له."

الفصل الخامس والعشرون

قالت أليكس بصرامة للمرة الثانية: "كان يعلم من أنا يا ماغي".

رفعت ماغي حاجبها، وضغطت على شفثيها مغا، دون أن تبدي أي تعليق. تابعت تحميص حبوب الصنوبر في مقلاة جافة. وعلى طاولة الإعداد، كانت قد حضرت سلطة الملفوف مع بصل أحمر مفروم وأنصاف طماطم كرزية، قبل أن تخلط المحتويات في وعاء غير عميق وتضيف الخل البلسمي وزيت الزيتون. وكانت حبوب الصنوبر المكوّن الأخير لتضيفه.

في الفرن، كانت قطعتان من لحم الضأن المتبل جاهزتين للتقديم، وعلى الموقد، يوجد طبقان أبيضان يتم تسخينهما.

بعد موعدها مع ريتشارد سيكيرت، توجهت أليكس مباشرة إلى منزل ماغي، غير قادرة على مواجهة العودة إلى المنزل والبقاء وحيدة مع أفكارها.

ماغي كريمة بما فيه الكفاية لتدعوها على العشاء. ندمت لأنها لم تتوقّف على الطريق لشراء زجاجة نبيذ، على الأقل، بدل تلك التي كسرتها، والآن تحسّ بشيء من الخجل لتطفلها على وقت المرأة مرة أخرى.

من المحتمل أن يكون لديها ارتباط آخر، من المحتمل أنها تقف الآن أمام الموقد تفكرّ أن ضيفتها غير المدعوة أصبحت مصدر إزعاج.

تحسّست ماغي أطباق العشاء بظهر يدها، ثم استعملت مسّاقة الفرن لتخرج لحم الضأن الطري. أنهت تحضير الوجبة، وهي ما تزال صامتة، ووضعت أدوات المائدة على طاولة الطعام، ثم جلست على كرسي بمواجهة أليكس.

"نبيذ؟ أم أنك ستقودين السيارة؟"

"نبيذ من فضلك، لقد أتيت سيزًا على الأقدام مجددًا، لم أجد مفاتيحي بعد. يجب أن أحصل على نسخة بديلة إن لم أرغب في الاستمرار بالاتصال بالحارس لفتح البوابة لإدخال سيارتي وإخراجها. لا أعلم أين فقدتها."

التقطت ماغي زجاجة نبيذ بيلورو من سطل مليء بالجليد، فتحت الفلينة، ثم سكبت كمية قليلة في كأسين، وانتظرت حتى استقرت الفقاعات قبل أن تملأهما حتى حافة الكأس.

قالت ماغي: "سنتحدّث بعد تناول الطعام. أنتِ نحيلة جدًا يا أليكس، وإن بدأنا بالحديث فمن الممكن ألا تأكلي بعدها، لذلك كلي!".

قالت ذلك، وابتسمت ابتسامة لطيفة.

بعد نصف ساعة، شبعت أليكس من الطعام الشهي، وبدأت بالاسترخاء مع الكأس الثاني من النبيذ، وشعرت أنها لا ترغب في العودة للحديث الذي بدأ قبل وجبة الطعام. إن ذهبت إلى المنزل الآن، ولم تفكر في اكتشافها أكثر، ستستطيع، على الأرجح، أن تنام جيدًا. اليوم التالي يوم عطلة، وكانت تريد أن تظهر بمظهر حسن من أجل خطة كانت تفكر فيها.

كان ناثن بيل سيتلقى منها اتصالاً. تفقدت لائحة المناوبة، فوجدت أن ناثن بيل -أيضاً- في عطلة. الآن عليها فقط أن تقنعه بإمضاء العطلة معها.

سالت ماغي: "أليكس، عدا عن نطقه لاسمك، ما الذي يجعلك متأكدة من أن ما حصل هو حقيقي؟". كان صوت ماغي لطيفاً، ولكن ظهر في عينيها تحدُّ يوحي بأنها لم تكن مستعدة لتسمع إجابة هينة.

"حسناً، عدا تلك الليلة، كل ما يحصل معي! لقد ماتت إيمي أبوت أمام أعيننا، وأنا متأكدة من أنها كانت تحاول إخبارنا شيئاً ما. موتها لم يكن عادياً على الإطلاق. أنت طبيبة توليد، هل يمكنك التصديق أن شخصاً ما قد يفعل ذلك بنفسه حقاً؟ ثم إن سيارتي ثركت عليها رسالة ليقرأها الجميع. لقد اتصل بي هاتفياً بحق الله. إنه يستفزني. تلك المرأة المسكينة التي غُثر عليها مرمية في مكان وقوف سيارتي. هي -أيضاً- جزء من هذا. أنا متأكدة من أنه هو يقف وراء كل ما يحدث. إنه يدمر عالمي ولا أحد... لا أحد على الإطلاق يصدقني!".

صرخت ماغي في دهشة: "أليكس، ما الذي تتحدثين عنه؟ من اتصل بك؟ أي امرأة في موقف سيارتك؟ ليس لدي أدنى فكرة عما تتحدثين عنه!".

بعد مضي ساعة تقريباً، كانت أليكس قد أخبرتها بكل المستجدات التي حصلت معها.

جلست ماغي صامتة.

سألها أليكس بصوت مرهق: "إذن، ما رأيك الآن؟"

هل ما زلتِ تظنين أنني متوهمة؟".

هزت ماغي برأسها: "لا أعلم. ما أعنيه هو أنني لا أعلم إن كان كل هذا مترابطا. المكالمة الهاتفية والرسالة على سيارتك حقيقتان دون شك. هل كان هناك أحدٌ معك عندما تلقيتِ المكالمة؟".

تنهدت أليكس بعمق وقالت: "نعم. فيونا. ولكنها لم تسمع ما قاله".

"والشرطة؟".

"لم يتواصلوا معي بشأن المكالمة. إنهم يعتقدون أن الرسالة على سيارتي مجرد مقلب".

"وذاك الذي ترك امرأة مرمية في موقف سيارتك، والتي وجدتها تحتضر؟".

أومات أليكس: "نعم... لقد ماتت المسكينة بشكل فظيع".

"وأنت. ألم تشاهدي كيف حدث ذلك، أو الشخص الذي قام بذلك؟".

ردت أليكس بحزن: "كلا. كنت أقود سيارتي في الطريق المنحدر، فرأيتها مرمية هناك في موقف السيارة، لم أر أي سيارات تغادر. كانت البوابات مفتوحة، ولكن لم تمر أي سيارة بي. أنا... يا إلهي... ماغي، أنا حمقاء للغاية!". فغر فمها، ونظرت جاحظة العينين في الفضاء، وقالت: "سلسلة مفاتيحي! لقد فقدت مفاتيحي. البوابات كانت مفتوحة عندما وصلت إلى المنزل. البوابات كهربائية ولا يمكن فتحها إلا بالمفتاح. أنا لم أفقد المفتاح! أحد ما أخذه

بكل تأكيد! يجب أن أخبر الشرطة. لا أظن أنهم سيصدقونني. سيظنون أنني أنا من صدمت المرأة".
بدا القلق على ماغي: "يا إلهي يا أليكس! هل أنت بحاجة إلى محام؟".

قالت أليكس بحدة: "كلا! لقد حاولت أن أنقذها".
رفعت ماغي يديها بطريقة مطمئنة: "حسنًا. هذا يعني أنه بقيت إيمي أبوت فقط. حسنًا، يحزنني أن أقول نعم، يمكنني تخيل امرأة تفعل شيئًا كهذا. كل يوم تأخذ النساء جرعات فموية وتحاميل مهبلية ليقيمن بالإجهاض، حتى في البلدان التي تجيز الإجهاض قانونيًا. وهذا لا ينجح دائمًا. إيمي أبوت كانت ممرضة مؤهلة، ولعلها كانت واثقة كفاية من معرفتها لكي تفعل ما فعلته".

قالت أليكس بصرامة: "هل أنت مقتنعة بذلك حقًا؟ لقد حاولت أن أخبرني بشيء ما! أنا متأكدة من ذلك، لأنني أنا أيضًا كنت هناك على طاولة العمليات! في انتظار الموت!".

"هل كنت هناك؟ كيف؟ كيف يمكن أن تكوني هناك؟".

"لقد قام بتخديري، كمنني بقطعة قماش، حتى فقدت الوعي".

تنهدت ماغي بعمق. هزت رأسها قليلًا كأنها تحاول التخلص من فكرة مزعجة. ثم قالت ببطء وإيجاز: "التخدير بوساطة قطعة قماش اختراع هوليوودي سخيف. تحتاجين إلى قناع شيملبوش على أقل

تقدير، ولمدة طويلة، وبعضهم من الإيثر، وأن يبقى لبعض الوقت بشكل مستمر حتى ينجح في التخدير."

"كان لديه قناع شيملبوش!."

"في موقف السيارات، يا أليكس! أنا أتحدث عن موقف السيارة! حتى إن نجح بإيقاعك، كنت ستقاومين في محاولة للهروب. كان الأمر يحتاج إلى أن يمددك على ظهرك، ثم يضع القناع على وجهك، ويقطر الإيثر عبره وقتًا طويلًا. وكل هذا حدث وهو في الخارج أمام أعين المارة."

كان قلب أليكس يخفق بسرعة. كانت ماغي تقول أشياء لم ترغب أليكس في سماعها.

"أتقصدين أنه أمر مستحيل؟"

"أقول إن الأمر لم يحدث بذلك الشكل."

الفصل السادس والعشرون

رَن هاتف ناٲان بينما كانت رؒوة الحلاقة تؒظي وجهه. فؒر في عدم الرَد، فقد كانت المكالمة الثالثة التي تُرذُه أثناء الساعة الأؒيرة، وهو متأكد من أنها من دار المسنين مزة أخرى، ومع تعليمات أخرى من والدته.

كان قد جَهز حقيبةً على سريره، ووضع فيها ثوبها القديم ذا الأزرار، ومجموعة من الأشرطة الصوتية للكاتبة كاترين كوكسن، بالإضافة إلى ملح النشادر خاصتها، الذي نادراً ما تغادر دونه، ربما تكون قلقة بشأن الزجاجة الصغيرة البنية. هي دائماً ما تحمل عبوة النشادر في جيب سترتها الصوفية، مع منديل قطني مطوي فوقها.

لقد قضى طفولته مع رائحة الأمونيا على المناديل القطنية، التي كانت تستخدمها لمسح وجهه. وكانت عيناه تدمعان حينما تلامس المادة وجهه. طالما شعر بالذنب لأنَّ الطبَّ البديل أستخدم، فقط، عندما كان يسبب إزعاجاً. أملاح النشادر وصراخها جزء من ذكريات طفولته. ألم يكن يستطيع أن يراعي مشاعر الآخرين ويكون أقلَّ أنانية؟ ما كانت تعنيه حقاً، هو أنها ليست بالقساوة التي تجعلها تواجهه وتطلب منه أن يخفي ذلك الجانب من وجهه.

توقف الهاتف عن الرنين. ساد صمت مفاجئ، وعاد ليحلق ذقنه بسرعة، ثم لبس ثيابه، لكي يذهب للزيارة.

اليوم سيجلس بالقرب من طرفها المصاب

بالجلطة، ويجئها رؤية الجزء المشوه من وجهه.
عاد الهاتف ليرن بعد عشر دقائق، مرة أخرى. نفذ
صبره وذهب لكي يجيب.

قالت أليكس تايلور: "مرحبًا".

للحظة، تاهت عنه الكلمات، فصاحت به: "هل
تسمعني يا ناان؟".

"نعم، لقد فاجأتني، توقعت أن المكالمة من شخص
آخر".

"أنا... لاحظت أنك في عطلة".

فكر لحظة، متأملًا، فيما لو أنها ستطلب منه أن
ينوب عنها في العمل. وهذا سيعطيه مسوغًا لكي
يتخلص من زيارة أمه بسبب وجيه.

"حسنًا، أنا -أيضًا- في عطلة، وإذا لم تكن لديك
خطط، هل بإمكاننا فعل شيء معًا. أنت تعلم... هاه".
ضحكت ضحكة أنثوية، ثم أضافت: "فكرت أنه كان
بإمكاننا القيام بنشاط ممتع".

حاول استحضار أفكار في ذهنه، من فوره،
تمكّنه من التخلص من زيارة والدته. مثلًا، يمكنه
الاتصال بدار المسنين ويقول إنه تم استدعاؤه إلى
المستشفى لأجل حالة إسعافية.

قال: "أنا، حسنًا، هذا...".

أجابت أليكس: "بعد ظهيرة اليوم، سألتقي مع
سيب موريسي. لا بد أنك تعرفه، أليس كذلك؟
وفكرت بأنه قد ترغب في الانضمام إلينا، ما رأيك؟"

كانت خيبة الأمل التي أحس بها، كما لو أنه تلقى صفة، بدا ذلك على جانب وجهه الشاحب، الذي ظهر في المرأة فوق الرف الحجري. إنها مدينة له بدعمه لها في الأسابيع القليلة الماضية، لذلك عرضت عليه اليوم أن يشاركها هي وسيب موريسي.

قال: "أنا متأسف يا أليكس، لكنني لست...".

"سيكون الأمر ممتعًا طالما يمكنك أن تتحفظني في مقعد السائق".

لقد شعر أنها تلمح بإشارة خاطئة. شعرت بالشفقة عليه، ولهذا كانت تتصل. كانت مثل الآخرين، فالجميع يشعرون بالشفقة عليه. كان يأمل في الحصول على المزيد منها. كان متأكدًا من أنها مختلفة. ومنذ اللحظة التي التقى بها، تمنى أن تنظر إليه مثل شخص طبيعي. والآن، أصيب بخيبة أمل مريرة.

"أليكس، أنا آسف على الفظاظ، ولكن لماذا تتصلين بي؟". شعر بصدمتها، لذا أردف بسرعة مرة أخرى: "إنها ليست فكرة جيدة. شكرًا لك، لكن لدي بالفعل خطط لهذا اليوم".

ودعها في عجلة وخجل. أدرك أن عليه أن يشعر بالأسف بسبب وقاحته، لكنه لم يفعل. ظل واقفًا إلى جانب الهاتف عدة دقائق وهو يحدق بمرارة في المرأة، متسائلًا - وهي ليست المرة الأولى - لماذا لم تخنقه أمه عند الولادة. إنه مسخ، كان من الأفضل أن تربيحه من مأساته. ولكن لو فعلت ذلك،

كيف لسييليا بيل أن تعيش حياتها كشهيدة؟ وهو
تعبير عادة ما يستخدمه أصدقاؤها عندما يجتمعون
حولها، بينما هي تأخذ أملاحها ذات الرائحة.
ضحية مقدسة في سبيل الحفاظ عليه.

الفصل السابع والعشرون

لاحظ غريغ أن ابنه، ذا الثماني سنوات، بدأ يزعج الناس الذين يسبحون في ممر السباحة السريع بجواره. ظلّ جو يسبح تحت الحبل الفاصل بين الممرات المائية، مسببًا إعاقة أمام الكبار وهم يسبحون. كان قد تم إغلاق الألعاب المائية في مسبح الأطفال، ولم يكن أمام جو سوى السباحة في الممرات. بعد نصف ساعة من السباحة، بدأ يشعر بالملل، فلم يتمكن حتى من أن يلعبا معًا المطاردة، أو لعبة تقاذف الكرة. شعر غريغ بالذنب لأنه لم يتحقق من الجدول الزمني، والتخطيط ليومهما بشكل أفضل. رأى أن الوقت قد حان للمغادرة، كما كان عليه أن يفكر في نشاط آخر للترفيه عن الصبي الصغير...

ربما يمكنهما الذهاب إلى مسرح رويال، والتحقق إن كان هناك مقاعد شاغرة لعرض بعد الظهر. حيث كانت تُعرض مسرحية بيتر بان. مع العلم أنه لم يكن متأكدًا من أوقات العرض، لكنه سمع قبل أيام شرطيتين تتحدثان عنها، وتشجعان حضورها. وظن أنّ جو سيحبها. لكنّه لا يريد أن يفسد أيّ خطط أو مفاجآت قد تضطرّ سو إلى مواجهتها أثناء عطلة عيد الميلاد. فهي عادة لديها شيء مخطط له في أول أيام العطلة المدرسية. ربما يمكنهما الذهاب إلى السينما بدلًا عن ذلك، لا بدّ أن هناك فيلمًا يمكن لكليهما أن يستمتعا بمشاهدته. من الأفضل البقاء هنا وترك جو يزعج الناس. اكتفى غريغ بدوره من

السباحة. فهو، عادة، ليس بالسباح الجيد، إنه يفضل ممارسة التمارين في صالة الألعاب الرياضية، أو لعب مباراة كرة قدم.

مع ذلك، قَرّر بشكل قاطع، أن اليوم لم ينته بعد. كان هناك الكثير من الأمور التي يمكن القيام بها، كأن يقوموا بجولة سياحية في غرف المضخات والحمامات الرومانية... كما يمكن لابنه أن يستمتع بلعب الكرة في الحديقة، ما دام هناك وعدٌ بالذهاب إلى مطعم ماكدونالدز فيما بعد.

يمضي غريغ كل يوم سبت مع ابنه. كانت حياته مقسمة بين عمله وابنه الذي يعيش في أكسفورد. لذلك لم يكن بمقدوره الالتزام أكثر من ذلك. وهذا لا يزعج زوجته السابقة سو. التي لا تلومه لعدم رؤيته لابنهما، في كثير من الأحيان. ولا حتى تسببت له بمضايقات بهذا الخصوص. إنها تعمل ما هو جيد لابنها جو، وتدعم علاقتهما بأي طريقة ممكنة. كانت امرأة جيدة وأم جيدة.

انتهى زواجهما ليس لأنها كرهت زوجها، فقط بردت مشاعرها تجاهه. مات حبها ببطء، مثل نبتة، وكان من المستحيل أن ينمو من جديد، لذلك طلبت منه الطلاق.

ما زال غريغ يحب زوجته السابقة، لكن ليس بالشغف نفسه الذي كان عليه في السابق. هي أشبه بصديقة مقربة بالنسبة له. امرأة لن يؤذيها أبداً، وسيساعدتها دائماً، بغض النظر عن وضعهما. سيحبها دائماً لأنها والدة جو، وهذه حقيقة.

شعر أنه يرتجف من البرد، نادى جو ليبلغه أن
عليهما المغادرة.

قال جو: "هل يمكنني أن أقفز لمرة واحدة فقط؟".
نظر غريب حوله، وجد لو أن جو سريع بما فيه
الكفاية، يمكنه الخروج، ثم القفز مرة أخرى، دون أن
يلاحظه أحد.

قال: "هيا إذا، افعلها بسرعة".

خرجت امرأة من المسبح، عادت متجهة نحوه
وهي تعلق المنشفة على السياج. كان شعرها
متموجًا ومثبتًا بشكل غير محكم إلى الخلف من
رأسها، مبللًا تتساقط منه قطرات الماء. بدت له
ساقاها نحيفتين، كاحلاها مجوفين، وربلتا الساقين
ممتلئتين بشكل جيد. نزعت عنها المنشفة، فشاهد
ظهرًا طويلًا ونحيفًا، ومؤخرة صغيرة ومكورة.
وجدتها نحيلة بعض الشيء، لكنها كانت جميلة
المظهر. بدت في ملابس السباحة ذات اللون
الأخضر الزيتوني، مثيرة. استدارت، فنظر إليها
نظرة شبة، وفجأة شعر بدفء في وجهه. كانت
أليكس تايلور على وشك النزول إلى المسبح.

ثم أطلق جو صرخة قوية.

الفصل الثامن والعشرون

أخلى الناس بركة السباحة بسرعة عند رؤية الدماء فيها. عندما رأى غريغ وجه ابنه غارقاً في الدماء، هبّ مهتاجاً وهو يدفع الناس جانبا، محاولاً الوصول إليه في عجلة. كانت الدماء تغطي الجزء السفلي من وجهه. خاف غريغ من أن يجد شيئاً خطيراً.

انحنت أليكس تايلور على حافة البركة وسيطرت على الوضع برفع جو وإخراجه منها. لفتته بمنشفتها من فورها، ثم أخذت منشفة شخص آخر لتضعها على وجهه. عندما رأت غريغ يهرع باتجاهها، وهو في حالة قلق ومضطرب، خفّت أن الولد والرجل تربطهما صلة قرابة.

وجهت بهدوء: "لنأخذه إلى غرفة الإسعافات الأولية. يمكنني الكشف عليه هناك بشكل أفضل."

كان جو يبكي طوال الطريق إلى غرفة الإسعافات الأولية. بينما غريغ يملؤه الشعور بالذنب لعدم رؤيته ما حدث؛ لأن عينيه كانتا مشغولتين بشيء آخر.

في الغرفة الصغيرة، تولّت أليكس تايلور الأمر مجدّداً. أخبرت المسعف الذي هرع لتقديم المساعدة، أنها طبيبة وسوف تهتمّ بالأمر. طلبت بعض الضمادات ووعاء من الماء الدافئ وبعض الثلج.

بصبر وهدوء، مسحت الدماء عن وجهه بالماء الدافئ، متجاهلة صراخ جو الهستيرى. ثم سحبت

شفتته السفلى إلى الأسفل، وتفقدت أسنانه ولثته، قبل أن تتفحص شفته العلوية بالطريقة نفسها. أخذت مكعب ثلج من كيس بلاستيكي ووضعت بين أصابع جو. قالت له: "أمسك بهذا كأنه مثلجات، ولكن لا تلعقه".

فعل جو ما طلب منه بشكل مدهش. أخذت المزيد من مكعبات الثلج، غلفتها ببعض الضمادات، ثم وضعتها على الجانب الخلفي من عنق جو، واستخدمت يدها الثانية لتقرص أنفه. قالت له، مشجعةً: "أحسنت صنعًا. سنتدبر أمرك بسرعة، ثم سيشتري لك والدك المثلجات لتحسن شفتك المصابة".

لقد كانت مذهلة. في مدة وجيزة للغاية، توقف النزيف، وظهر الجرح بوضوح. لقد عض اللحم تحت شفته السفلى، وتعرض لنزيف بالأنف.

قال جو: "لقد أصبت رأسي يا أبي، وأنفي، وأيضًا ذقني". ثم قال، وهو يضع مكعب الجليد الذي يذوب على ذقنه: "حاولت أن أقفز إلى الخارج، ولكنني وقعت".

تخيّل غريب أنّ جو كان يريد القفز من الحافة، ولكنه لم يتجاوزها تمامًا، فأصاب رأسه عوضًا عن ذلك.

كان ممتنًا لعدم وجود أيّ ضرر دائم، وأنه يستطيع إعادة جو لوالدته مطمئنًا أن طبيبة قد قامت بفحصه.

قال لأليكس تايلور: "اعتذر منك لأنني أفسدت

عليك السباحة".

كان الجميع مرتدين ملابسهم، واقفين في الردهة جاهزين للمغادرة. شعر بالذنب عندما رأى الظلال تحت عيونها، وظهرَ بأنها كانت بغنى عن هذه الحالة الطارئة والمزعجة. كان يجب أن تستمتع بصباح مريح.

"كنت فقط أخذ غطسة سريعة، يجب علي أن أكون في مكان آخر خلال ساعة".

سأل جو بنفاد صبر: "ماذا سنفعل الآن يا أبي؟".

كان أنفه وشفته السفلى متورمتين قليلاً، وكان إحساس غريغ بالذنب أعمق بقليل. قال غريغ: "امنحني دقيقة واحدة، يا بني، ودعني أشكر الدكتورة تايلور. لقد وفّرت علينا رحلةً لقسم الطوارئ... صدقني يا بني، ما كان سيعجبك ذلك".

"ولكن ماذا سنفعل؟".

"ماذا عن السينما؟".

"أنا ذاهب إلى السينما غداً بمناسبة عيد ميلاد ماثيو".

كانت نبرته المتذمّرة تجعله يبدو مثل طفلٍ مدلّي فاسد، فقّر غريغ أن يتحدث إليه عن سلوكه عندما يبقيان وحدهما.

قال غريغ: "جو، سنعود إلى المنزل إن لم تكن حذراً، لدي الكثير لإبقائي منشغلاً هنا".

"لا أريد الذهاب إلى المنزل. أريد القيام بشيء ممتع، وقد قلت لي بأننا سنحظى اليوم بالمرح لأن

عيد الميلاد قد اقترب".

"حسنًا، حسنًا، إهدأ، لم أعن ما قلته حول العودة إلى المنزل. سنفعل شيئًا ما، امنحني دقيقة واحدة لأفكر".

كانت أليكس تايلور تراقب ما يحدث والبهجة في عينيها. واستغل غريغ الفرصة ليعيد تقييم المرأة. هل يمكن لها أن تكون مجنونة؟ إنها تبدو عاقلة كفاية في هذه اللحظة.

سألته بعدم اهتمام: "هل تريد القيام بشيء آخر". لم يرد غريغ ذلك. كان يفضل أن يذهب إلى الحانة ليشرّب مبكرًا في وقت الغداء ثم يجد دار سينما حيث يستطيع جو مشاهدة فيلم ما، ويستطيع غريغ النوم.

سألها: "هل لديك اقتراحات؟".

"هل يخاف أحد منكما التحليق العالي؟".

هزّ غريغ رأسه مبدئيًا.

قالت أليكس: "انتظرني قليلًا".

ابتعدت عنهما مسافة قصيرة، وأخرجت هاتفها. بعد عدة دقائق من التحدث، أعادت هاتفها إلى جيب المعطف، وعادت إليهما.

"حسنًا. يمكنكما فعل شيء آخر طالما الطقس جيد".

وجد غريغ نفسه يوافق على شيء ما زال يجهله: "بماذا كنت تفكرين؟".

أنارت ابتسامة وجهها المرهق: "رحلة بطائرة مروحية".

الفصل التاسع والعشرون

كان يوم السبت يومًا جيدًا لجولة ارشادية في المستشفى. كان هناك عددٌ أقل من رؤساء الأقسام والناس عامة.

دليل لورا بيست، هو هاري، رجل قصير وبدين. كان من أقدم الحزّاس الذين خدموا في المستشفى، وقد أثبت أنه حادقٌ في الوصول إلى أماكن محظورة.

بالقليل من عنصر الجاذبية وبطريقة واقعية، قاد لورا الشرطة، التي كانت بحاجة إلى أن تلقي نظرة تفتيشية على المكان حولها.

كان يوجد في المستشفى أكثر مما تخيلت. ليس فقط ما يتعلّق بالأجنحة وحجرات العمليات، ولكن الكثير مما لم يره المرضى من قبل: غرف تبديل مكاتب ومرافق للتدريب. في البداية حرصت لورا على الانتباه إلى كل شيء، ولكن بدأ صبرها ينفد وهي تمضي في التجوّل. لحسن الحظ، كان هاري من النوع الثرثار.

تجاهلت لورا التفاصيل المملّة: التخفيضات، وحالات النقص في الكادر، والأقسام المغلقة وتاريخ المستشفى. كانت تُصغي فقط حينما يكون الموضوع مهمًا بالنسبة لها.

عرفت أسماء كثير من العاملين في المستشفى، وعلمت بأمر حالتي خيانة زوجية كانتا تحصلان ضمن الحجرة الرئيسية. وعلمت بأمر طرد ممرضة لأنها قالت لمريض: "اللعنة". وكذلك علمت بأمر

ممرض تعرض لخلع بالفك من قبل مريض قادم من التخدير في غرفة الإنعاش.

كانت هذه الجوهرة الأخيرة قد حفزتها على التحدث إلى هاري، حينما كان يتجول أسفل منحدر قصير ليربها المزيد من شبكة الأنابيب التي عفا عليها الزمن، قالت له: "يبدو أن لديك الكثير من العنف لتتحفله مثلنا".

قال هاري موافقًا، وهو يبحث عن سلسلة مفاتيحه: "أحيانًا نفعل. خاصة في قسم الإسعاف. وفي الليل، يوجد حارسان ليليان فقط. في كثير من الأحيان، نحتاج إلى الاتصال بكم لحل المشكلات".

"من الغريب أنه لا تتم مهاجمة المزيد من الموظفين".

"تتم مهاجمتهم إن لم يكونوا حذرين. يتم إعطاؤهم نوعًا من أجهزة إنذار شخصية. يضغطون الزر، فيرن الجرس عند الحراس ليأتوا جريًا. ولكن كما قلت، يوجد فقط حارسان اثنان".

"من المؤسف أن الدكتورة تايلور لم تكن تحمل واحدة قبل عدة أسابيع".

رفع هاري رأسه عند هذه العبارة وحدق فيها باستغراب. انتقت لور كلماتها التالية بعناية، فقالت: "كان يمكنها رن جرس الحراس طلبًا للمساعدة، حتى يعثروا عليها سريعًا في موقف السيارات بدلًا من الاستلقاء هناك في البرد".

وافقها مظهرًا لهجته الخاصة بمقاطعة سومرسييت:

"أوه... نعم. كان يمكنها فعل ذلك. كان الجرس يرن.
للحظة، ظننت أنك تعتقدين أنها تعرضت للهجوم".
هزت لورا كتفيها متجاهلة: "هي من تعتقد ذلك".
هز هاري رأسه: "أنا كنت برفقة حبيبها حين عثرنا
عليها. المسكينة كانت مرمية هناك".
استغلت لورا صفتها الرسمية وقالت: "إذن، فأنت لا
تعتقد أنها تعرضت لهجوم؟".

هز رأسه مجددًا: "كلا. ليس هناك سبب لذلك. كان
هناك القليل من أغصان الشجر حولها. عاصفة لعينة
في تلك الليلة. ملابسها كانت مرتبة بشكل صحيح،
هل فهمت مغزاي؟ بعبارة أخرى، كانت مرتدية
ملابسها. لقد تم ضربها، أليس كذلك؟ أعني بغصن
شجرة. لا أعلم لماذا أثرت كل تلك الضجة بعدها.
يبدو أنها تعرضت لارتجاج خفيف في الدماغ".

قالت لورا بهدوء وهي تلقي نظرة خاطفة إلى
الممر، وكأنها تتفقد إن كانا وحدهما تمامًا: "سمعت...
إنها مزت بوقت عصيب، في السنة الماضية أيضًا".

فجأة، نظر هاري في عينيها نظرة مريبة، وقد
شاهدت ما فاتها في وقت سابق تحت تأثير السحر
والدردشة والثرثرة. الذكاء الحاد.

"أنا لا أعلم الكثير عن ذلك. حدث شيء ما،
ولكنني لا أعلم عما كان يدور. أخذت الطيبة الفتية
إجازة. قضت قرابة الشهر بعيدة عن المكان. وسبب
معرفتي بأن شيئًا ما قد حصل، هو أنني رأيتها
تمشي في الممرات برفقة طبيبة اختصاصية وفيونا

وودز، وكانت الدكتورة تايلور تبكي."

"وليس لديك أدنى فكرة عن الموضوع؟"

"كان يمكن أن أعده بسبب أي شيء، فأنا أرى الكثير من العاملين سيكون نتيجة ضغط العمل، خاصة في قسم الطوارئ. دائما هناك من يبكي. يبكي بعضهم عندما يفقد المرضى حياتهم... عملهم صعب كما تعلمين، ليس علي...".

"لا تقلق. لقد كنت متعاونًا جدًا، شكرًا لك. أظن أننا رأينا كل شيء نحتاجه".

خرجت لورا بيست من المستشفى بمزاج جيد. لقد حصلت على ما قِدمت من أجله. لقد التقت بالرجل الذي وجد أليكس تلك الليلة، وسمعت روايته حول ما حدث. لقد أثبتت أن أليكس كانت متورطة بشيء ما في العام الفائت، وعلمت أنها كاذبة.

"الأمر لم يحصل. أليكس تايلور اختلقت القصة. وهذا على صلة بما جرى العام الماضي".

الفصل الثلاثون

كانت أليكس تضع، كما ضيفيها، غطاء واقيا للأذنين ذا لون أسود، وترتدي سترة فسفورية اللون، كُتبت على ظهرها باللون الأخضر كلمة طبيب. كان ظهرها للطائرة المروحية قبالة شجيرات وسياج شبكي من الأسلاك. كانت شفرات المروحية لا تزال تدور، وكان يمكن لشظايا طبيعية -من قبيل الأغصان والأوراق، وحتى الحصى الصغيرة- أن تجلد وجوههم أو تدخل في عيونهم.

كانوا واقفين في ملعب الكريكت، على بعد عدة ياردات من مدخل قسم الطوارئ، يفصلهم عن ساحة المستشفى سياج عادي، وهو يُعدُّ مكانًا مثاليًا لنقل المرضى جواً. ويمكن أن تسبب عملية النقل هذه توقف عمل نادي الكريكت بشكل مؤقت، لكنهم لا يتذمرون من ذلك.

المروحية من الطراز روبنسون آر 44، وهي ملكية خاصة لثلاثة من طياري الطوارئ في مقاطعة ويلتشاير، وهي خفيفة الوزن، بأربعة مقاعد تتيح لجميع ركابها رؤية جيدة.

كانت مصابيح التحذير المزدوجة والطويلة، أمامها، تومض باللون الأزرق، وهذا يعني أن مهبط الهليكوبتر قيد الاستخدام. انتظرت أليكس حتى توقف المحرك، ثم التفتت بانتظار تلقي إشارة "الاقتراب" التي تُعطى باليد. تكاد لا تصدق ما أقدمت عليه. فقد كان قرارًا متهورًا لا يتناسب مع طبيعتها. حتى إنها لم تكن تحب مفتش المباحث

تورنر. هي تدرك جيدًا أنه يحسبها غريبة الأطوار ومجنونة. لم يكن لها الآن إلا أن تفكر بالخرج الشديد من رفض ناثن بيل.

ربما كانت مجنونة. حتى صديقتها الجديدة ماغي، هي الأخرى تنظر إليها على هذا النحو. غادرت منزل ماغي في تلك الليلة، وقبل أن تتعهد لنفسها بعدم العودة. لقد كانت تتقلب في سريرها المزدوج وسط شعور من الخوف والوحدة. وحده التفكير في رؤية ناثن بيل اليوم، هو ما منعها من تناول الفودكا أو الديازيبام لمساعدتها طوال الليل.

سألها ضيفها: "دكتورة تايلور، هل أنت متأكدة تمامًا من أن كل شيء على ما يرام؟".

للمرة الأولى، لم يكن وجهه غامضًا ككتاب مغلق، لقد رأت الأسئلة التي تدور في ذهنه، واضحة في عينيه: هل أنت متأكدة من أنه يمكننا ركوب هذه المروحية دون أن يوقفنا أحد؟ هل هذه هي النهاية؟ قبل أن تتمكن من الإجابة، سمعت صوتًا قادمًا من الملعب ينادي باسمها. كان سيب موريسي قد ترك مقعد القيادة في الطائرة، ويسير باتجاهها بمشية غريبة.

قال: "مرحبًا طبيبتي المفضلة. حان الوقت لتستلمي مقعد السائق. كانت لهجته الاسترالية ممتعة وأسلوبه فريخًا. ثم وجدت نفسها تضحك وقد أحاطها بعناق. ثم انتبه إلى ضيفها وتقدم ماذا يده لمصافحة يد الرجل قائلاً: "لا بد أنك السيد تورنر". ثم توجه إلى الصبي قائلاً: "ومؤكد أنك جو".

تابع: "يسرني أنك نجوت. ستكون رحلة لطيفة. الرؤية أثناء الساعات القليلة القادمة، ستكون جيدة".

أجاب غريغ تورنر: "يمكنك أن تخاطبني باسم غريغ، وشكرًا على دعوتنا. إنه فعلاً لطف منك".

قال: "لا مشكلة يا غريغ، أي ضيف من قبل أليكس مرحب به، إنها شخصية مهمة".

أرادت أليكس أن يسكت قبل أن يسترسل في الكلام، لكن غريغ تورنر رفع حاجبيه في حركة تثير تساؤلاً، وبالطبع كان سيب موريسي سعيدًا بتقديم التفاصيل، إذ قال: "لقد أنقذت حياتي، أعني ذلك حرفياً".

قاطعته قبل أن يسترسل في القصة، وقالت: "أخرس يا سيب، السيد تورنر ليس بحاجة لسماع ذلك. أنا متأكدة من أن جو متشوقٌ لسماع حديث عن طائرة الهليكوبتر".

التفت سيب إلى الصبي. كانت عينا الصبي معلقتين على الرجل كما لو أنه بطل خارق، وهذا أمر مفهوم بطبيعة الحال. سيب موريسي يرتدي بذلة قوات الطيران البحرية بأزرار فضية وشارات وكتفيات، كان يشبه رجل (أكشن) واقعي. يبلغ طوله ستة أقدام، عريض المنكبين، وله شعر أسود وبشرة مدبوغة من تأثير الرياح. علمت أليكس أن معظم النساء العاملات في قسم الطوارئ ورجلين منهم يصابون بالإغماء، كلما نقل سيب مريضًا بالمروحية.

قال، فمظهرًا حركة تبجيل وحب: "أسف يا جو. هل تريد أن تعرف عن المروحيات؟".
أوما جو برأسه بصمت.

قال: "حسنًا، دعني أشرح لك، إنها سهلة الفهم. يقوم الطيار بالضغط على دواسات لتحويل المروحية إلى اليسار أو إلى اليمين، تشبه الدواسات الموجود في سيارات اللعب. ثم يقوم بتحريك مقبض، يسمى مقبض التدوير أو ذراع التدوير، وهذا مهمته تغيير التآرجح لتحويل المروحية نحو الأمام أو الخلف أو إلى الجانب. وأخيرًا، يحرك مقبضًا آخر، يسمى المجمع، وهو يتيح للطائرة الهبوط والصعود العمودي، أي أنها تنطلق من الأرض وتستقيم دون أن تحلق بأي اتجاه، ويمكن أن تهبط بالطريقة نفسها".

أثناء حديثه، وهو يشرح لجو، كان يستخدم يديه وذراعيه وجسمه بالكامل لتمثيل حركة الأدوات التي ذكرها. بعد دقائق من الحديث عن آلية تحليق المروحية بالكامل، قال: "ألم أقل لك أنها سهلة؟".

نظر جو بعينين جاحظتين وإيماءة صامتة.

قال: "هل أنتم جاهزون للطيران الآن؟".

أوما الثلاثة بالإيجاب.

نظر إلى أليكس، قبل أن ينحني لها في تكلف قائلاً: "إنها لك يا دكتورة".

تلثم غريب تورنر عند سماع ذلك قائلاً: "هل تعني...؟ اظن... ألسنت أنت من سيقود؟".

أجاب سيب مباشرة: "كلا، الدكتوراة هي من ستقود".

حلّقوا فوق المدينة. ألقى غريغ نظرة من الجو على منتجع ثيرما باث، وهو الحمام الوحيد في بريطانيا الذي تغذيه مياه حرارية طبيعية، وقد شيد فوق مبنى زجاجي عصري، محاظًا بأسلافه التاريخية. قام الرومان ببناء أول منتجع في باث، والآن، وبعد ألفي عام، لا يزال الناس يستمتعون به. بينما كان يشاهد السباحين من ارتفاع ألف قدم، صغار الحجم، مسترخين في المياه الساخنة، تذكر جسم أليكس النحيف والرائع.

كان المنظر المعماري رائعًا، الانحدار الذكي لتصميم باث، المدرج الروماني، الهلال الملكي وجسر بولتيني. كادت عينا غريغ أن تدمعا من شدة التأثير.

قاطع صوت سيب أحلام اليقظة التي كان مستسلقًا لها، حينما قال: "إذن يا غريغ، هل أنت مستعد لأن تسمعني لأروي لك كيف أنقذتني الطيبة الشابة؟".

نظر غريغ إلى ابنه خوفًا من أن يسمع ما سيقوله سيب. نقر سيب على سماعات الرأس الخاصة به قائلاً: "إنه لا يستطيع أن يسمع ما لم أقم بتشغيلها". أوما غريغ له بالمتابعة.

قال: "كنت من بين ضحايا تفجيرات لندن التي وقعت في السابع من يوليو. كنت مشغولًا بالتفكير في عملي، وفي إمكانية أخذ يوم إجازة من العمل. كنت قد استقلت للتو القطار من محطة كينغز

كروس، بدون أن يخطر لي أي شيء سوى التفكير بصديقتي الجديدة الجميلة، التي تركتها نائمة في سريري. كانت ذات شعر أحمر جميل، وفكرت وأنا جالس بأنني رجلٌ محظوظٌ.

قاطعته أليكس تايلور: "سيب! لا داعي لإخبار السيد تورنر بهذا الآن".

لاحظ غريغ مسحة من اللون الوردي على خدها الأيمن. قال: "أنا أصغي إليك، يا سيب".

تابع سيب: "كان الضجيج مرؤعا، كما لو أن حيوانا من المعدن يحاول أن يتحرر. ظننت في البداية أننا اصطدنا بقطار آخر. ثم، ومن وسط الظلام، جاء صراخ. في البداية، لم أشعر بأي شيء، إلى أن غرزت قطعة من الفولاذ في ساقِي، حينها عرفت أنني محاصر. بقيت أفكر في أشياء غبية، مثل البنزين والنار، وشممت رائحة مطاط محترق. ظننت أن الأمر انتهى بالنسبة لي، ولما ساد الصمت، ظننت أنه بسبب إنقاذ الناس. بعد ذلك، أدركت سبب توقّف الصراخ. بعد برهة، كنت سعيدا وأنا مستلقٍ هناك في الظلام. زال عني الخوف، ولم أعد أشعر بقدمي. لا أعرف كم من الوقت مر. هذا لم يعد يهم بعد الآن. الشيء التالي الذي أعرفه، هو أنه تهيأ لي أنني في الجنة، إذ رأيت وجه الدكتورة الجميل وهي تقف فوق رأسي وتحقق في وجهي. كانت نحيفة كما هي الآن، لقد غامرت، ودخلت إلى أماكن لم يستطع الآخرون الوصول إليها، ووجدتني. لقد خاطرت بحياتها من أجل إنقاذي يا غريغ. لم تكن حتى طبيبة

متدربة في ذلك الوقت، كانت مجرد راكبة خاطرت بحياتها من أجل إنقاذ شخص غريب".

ازداد خذ أليكس توردا، وأحس غريغ أن القصة تستحق تعليقًا صادقًا، فقال: "قصة مذهلة يا سيب. وأنت يا دكتورة تايلور، دعيني أقول إنني، إذا ما واجهت شيئًا مثل الذي حصل مع سيب، أتمنى أن أكون محظوظًا بوجود شخص مثلك لمساعدتي".

نظر إلى التلال الرائعة المحيطة بالمدينة، والمناظر الطبيعية المذهلة للمنحدرات الشديدة والأراضي العشبية التي تحتضن مدينة باث. هذا هو موطنه. أحس غريغ بالرضا لأنه جالس مع هذين الشخصين. وسيبقى يتذكر هذا اليوم.

في وقت لاحق من تلك الليلة، ترك غريغ الطقس الذي يمارسه كل أسبوعين في تسمية كل لاعبي كرة القدم في إنكلترا، والمثبتة صورهم على جدار غرفة نوم جو. بعد الطلاق، لم يفكر غريغ كثيرًا في تأمين مكان دائم للعيش، فقد كان قد استأجر غرفتين صغيرتين، وسمح لجو بتزيين غرفة النوم الاحتياطية. ملأ الجدار المطلي باللون الكريمي بملصقات لفرق مختلفة لكرة القدم؛ لأن جو لم يكن لديه نادٍ معين يشجعه. لكن في هذه الليلة، لم يكن مهتمًا بلاعبي كرة القدم، فقد كان لديه أبطال أكثر إثارة يشغلون تفكيره.

"ألم يكن أجمل يوم يا بابا؟"

قالها للمرة المئة تقريبًا. بدأ يتكلم، حتى قبل أن تتوقف المروحية، مستوحيا فعلًا من أحداث اليوم.

كان قد وضع القبعة والوسام اللذين أعطاهما له
سيب على الخزانة الصغيرة بجانب السرير، وجعلهما
قريبين منه قدر الإمكان.

"لقد كان يومًا رائعا يا جو. ربما سنعيد الكرة مرة
أخرى في وقت ما؟".

"مع أليكس وسيب؟".

"ربما".

"هل هي حبيبته؟".

"أنا لا أعرف يا جو. لا أعتقد ذلك".

أثناء الرحلة، كان الطيار جالسا إلى جانب أليكس،
ومن الواضح أنهما صديقان مقربان، لكن غريغ لم
ينتبه إلى أي شيء أكثر من ذلك. بعد أن روى سيب
قصته، قضى معظم الوقت في التحدث إلى جو
بوساطة سماعة الرأس، وهو يشير له إلى المباني
في الأسفل، ويخبره عن أسمائها. ثم أضاف غريغ
قائلا: "أظن أنها تخرج مع شخص آخر".

"هذا مؤسف".

"لماذا؟".

"لأنها يمكن أن تخرج معك ويمكننا أن نطير طوال
الوقت".

ابتسم غريغ وقال: "أنت صبي شقي يا جو تورنر.
لا بد أن تبقى تحت مراقبتي".

عندما نام ابنه، أخذ غريغ زجاجة جعة باردة من
نوع سان ميغل، ثم أشعل سيجارة عند باب الفناء،

وصار يفكر بسلوكه الحماسي في وقت سابق من اليوم.

كانت أليكس غير معقولة، بينما هو شعر بالخوف قليلاً. كانت متمكنة للغاية مع أن التجربة رهيبه. وتساءل كيف يمكن لشخص في مقتبل العمر أن ينجز الكثير. لقد تعاملت مع المروحية بشكل سلس، أفضل من التعامل مع سيارة. كانت الرحلة سلسلة طوال الوقت. إنه يومٌ لن ينسى، وكما قال جو، حقًا كان أفضل يوم.

أليكس تايلور دون إضافات. كانت تملك كل هذه المزايا الرائعة، ومع ذلك فقد سمعها قبل أسابيع تروي قصة لا تصدق. رأى كيف تم توقيفها عن العمل في قسمها في المستشفى، واستشعر القلق بشأن سلوكها مما سمعه من زملائها. وعن قائمة الأمراض النفسية التي تظن لورا بيست أن أليكس تعاني منها. عندما كان يعدّ الشاي في مطبخها، أثناء زيارته لها ليخفف عنها صدمة موت ليليان ارمسترونغ، وجد ثلاث زجاجات فودكا فارغة على لوح التجفيف، وبينما كان يبحث عن السكر، وجد في خزانة أغلفة من دواء الديازيبام.

كلتا المادتين تشي بأنها ليست على ما يرام. ومع ذلك، سمح لها أن تحلق بابنه في طائرة مروحية. هل من المحتمل أنها تتعاطى الكحول والمخدرات؟ فكر بقلق، ربما كان مفتونًا بها. أو ربما لأنه شاهد أمام عينه أدلة تشير إلى شخص أقوى بكثير مما يقال. اليوم، تحملت المسؤولية الكاملة، تمى لها

بصدق ألا تكون أمام انهيار كبير، أو أن تعاني من أي مرض عقلي آخر. كان يعرف أشخاصا آخرين لامعين، يعانون من مشكلات نفسية، الأمر أشبه بمشاهدة جولة السكة الأفعوانية في مدينة الملاهي، وهي تسرع أكثر فأكثر إلى أن تتحطم.

أما بالنسبة إلى النقطتين الثابتتين، فقد فكر غريغ في الذهاب لرؤية أليكس مرة أخرى، في وقت لا يكون جو معه، ومحاولة إقناعها بالخروج في استراحة حقيقية. ربما كانت تحتاج إلى إجازة من العمل. إلى القليل من الوقت لإعادة التوازن.

إن الوقت الذي قضاه معها جعله يعيد التفكير في حياته الخاصة. يمكن أن يعمل شيئا لإعادة التوازن إلى حياته. مرت ستة أشهر على طلاقه، وربما مدة أطول، ولم يتقاسم سريره مع امرأة.

استثنى تلك الحادثة مع لورا؛ لأنها لم تكن ممارسة للحب. حان الوقت للتفكير في هذا الجانب من حياته من جديد، وكما يبدو أن جو لا يزعجه أن يرتبط والده بامرأة.

كان لدى أليكس تايلور حبيب، لذلك على جو أن يعيد التفكير في خطط التوفيق بينهما.

على أي حال، مجرد الاعتقاد بأنها ستهتم به، هي فكرة خيالية نوعا ما. على الأرجح كان بعيدا جدًا للوصول إلى أمثالها. بدل التفكير في حياته العاطفية، ربما عليه أن يتعلم هواية جديدة. كان يتعلم قيادة الطائرات المروحية...

الفصل الحادي والثلاثون

كان عليها أن تتصل به وتخبره بأنها ستأتي لأخذ أمتعتها، بدلاً من التسلّل من دون علمه كما تفعل الآن. لقد انفصلا، لكنهما ليسا عدوين، فهما شخصان راشدان، ليسا مراهقين. ربما يعدّ باتريك سلوكها هذا طفولياً، لكنها، هكذا فقط، لا ترغب في مقابلته وجهاً لوجه، الآن، وتسمعه وهو يقول، مرّة أخرى، إنه فعل ذلك لأجلها. لولا أنها بحاجة إلى جهاز الحاسوب المحمول الخاص بها، لما أتت مطلقاً. لكن لديها عرض تقديمي على برنامج الباور بوينت لكي تقدّمه إلى دفعة جديدة من الأطباء المتدربين، وتحتاج إلى ذلك الجهاز اللعين.

كان المطر يتساقط بغزارة، ومياه المطر تسيل من شعرها إلى عينيها، فتثير غضبها. عليها أن تعود، وتدخل من طريق الباب الأمامي إلى عيادته البيطرية، حيث بوسعها أن تذهب إلى القسم الرئيس من المنزل. وهذا يعني أن تراه لدقيقة إضافية فقط، حيث سيخوض في حديث معها، ثم يكون بوسعها جمع أغراضها وتركه بسرعة.

خطت خطوات حذرة في الممرّ الموحد، والذي أوصلها إلى البوابة دون أن تنزلق، وسارت عبر الحديقة، ومزّت ببيوت الكلاب، حيث كان باتريك يربّي القطط والكلاب للحصول على دخل إضافي. رأت ممرضته المتدربة الشابة، ويندي، وهي تخرج من المنزل حاملةً دلوًا وكهيسًا من طعام الكلاب.

سألها اليكس: "هل تريدني أي مساعدة؟".

هزت ويندي رأسها نافيةً: "كَلَّا، كلُّ شيءٍ على ما يُرام، بإمكانني أن أتدبر الأمر".

ويندي شابةٌ قويةٌ المظهر لها كتفان وفخذان بعضلات قوية، وخدان متوردان. تنتعل في قدميها جزمة خضراء اللون، بدت وكأنها عاملة في مزرعة. ابتسمت لأليكس، ثم دخلت إلى السقيفة بجانب بيوت الكلاب.

فتحت أليكس الباب الخلفي، فاستطاعت أن ترى باتريك من خلال النافذة المطلّة على غرفة العيادة البيطرية. كان كلبٌ ينبح، وباتريك يتحدث إلى صاحبه بصوت عالٍ وسط الضوضاء.

دخلت إلى غرفة صغيرة ليس فيها نوافذ. كانت في الأصل كوخًا صغيرًا في الخارج، قبل توسيع المبنى وبناء العيادة. أرضيتها من الأسمنت، وجدرانها مطلية باللون الأبيض. تحوي حجرة استحمام صغيرة، ومكان لتعليق المعاطف والحقائب، وخزانة رمادية كبيرة عليها أقفال. إنّه المكان الذي يأتي إليه باتريك في نهاية يومه، لكي ينزع عنه مريوله الأبيض، وملابس العمل، ويغتسل من رائحة الحيوانات.

في بعض الأحيان، تمت أليكس أن يكون مثل والده، أقل دقةً واهتمامًا بالتفاصيل. فقد كان الطبيب البيطري المتقاعد مختلفًا تمامًا عن ابنه، تجد دائمًا وبرّ الحيوانات عالقًا على ستراته التي يرتديها، وفي جيوبه، فتاتٌ من طعامها.

سمحت لنفسها بدخول منزله، وشعرت بارتياح

لعدم تتبعها، إنها لجأت إلى مكان مألوف. بدا كل شيء نظيفا كما هو الحال دائما. الأريكة الجلدية تلمع، لا غبار على شاشة التلفزيون، ولا على أي سطح آخر، يوجد على مكتب باتريك جهاز حاسوب وهاتف لاسلكي وطبق مسطح من التفاح الأحمر، وضعت جميعا في تنسيق مرتب. وهناك صناديق تحوي عددًا من الملفات، مصنفة فوق الرفوف التي تعلو المكتب، بصورة منظمة. وبجانب الملفات، توجد صورة لها، كانت قد التقطت في فصل الصيف، وهي مرتدية سروالًا قصيرًا بلون أبيض، ومن الأعلى بيكيني بلون ليموني.

كانا، حينذاك، قد تناولا الأيس كريم وهما جالسان على جدار ميناء وايمث. ولأنهما أرادا ممارسة الحب، قاما بالحجز ليوم واحد في مكان إقامة صغير، يوفر المبيت مع وجبة إفطار. وبعد ساعات قليلة فقط، عندما سجلا المغادرة، رمقهما المالك بنظرة فاحصة... يومها ضحكا طوال طريق العودة إلى السيارة.

لقد كان يوما رائعا، عادت إلى المنزل وهي متيمة به وغارقة في حبه. تطورت علاقتهما منذ ذلك الحين، وأصبحت أقوى، وصار من الطبيعي أن يتقابلا كل يوم. ظننت أنها ستقضي حياتها معه.

ابتلعت ريقها بصعوبة، وأبعدت الذكريات السعيدة عن تفكيرها.

صعدت الدرج إلى غرفة نومه. رأت جهاز الحاسوب المحمول على طاولة السرير، في الطرف الذي

تنام عليه من السرير. كان سريريه عبارة عن سرير تركيب، والوسائد منتفخة. أخذت من الأدراج ملابسها الداخلية وجوارب، بالإضافة إلى زوجين من القمصان وسروالاً من الجينز القديم. وضعت أغراضها في حقيبة كتف. ثم أخذت زوجاً من الأقراط الفضية من وعاء زجاجي من الكريستال مركون فوق الأدراج. ثم تناولت مفتاح موقف السيارات خاصتها. كانت قد نسيت أنها أعطته لباتريك، فهو لم يستخدمه قط. طالما كان يوقف سيارته في الخارج، ويثصل على جهاز الاتصال الداخلي للسماح له بدخول المبنى. حتى الآن لم تبلغ الشرطة عن فقدانها لمفتاح موقف السيارات، وفيما إذا كان قد سرق من قبل الشخص الذي دهس ليليان ارمسترونغ. جمعت أدوات التنظيف خاصتها من الحمام. أغراضها من القلعة حتى أنها لم تملأ حقيبة صغيرة. من المحزن أنهما على علاقة حب منذ عام، ولا يوجد لها إلا القليل من الأغراض لتأخذها من منزله. وهو -أيضاً- كان قد ترك أغراض أقل في منزلها: قرصان مضغوطان وسترة. سترسلها له في أقرب فرصة، فهي لا ترغب في القيام بزيارته مرة أخرى. ألقت نظرة أخيرة حولها على غرف الطابق العلوي، تأملت السرير المفعم بمشاعر الفقدان. في النهاية، انتهى كل شيء. لن تعود إليه بعد الآن.

عندما نزلت، كان باتريك جالساً أسفل الدرج. وظهره باتجاهها، وقد خرق قواعده الخاصة، بارتدائه مريول العمل الأبيض في قسم المعيشة من

المبنى.

عنا شعر باقترابها، التفت إلى الخلف نحو الأعلى. كانت عيناه الزرقاوان مشوّشتين. قال بهدوء: "لقد أفسدث الأمر... أليس كذلك؟".

قالت بطريقة فيها شيء من التوسّل: "دعنا لا نتحدّث عن ذلك بعد الآن يا باتريك".

"أنتِ تعلمين أنني أحبكِ، ولم أقصد إيذاءك قطّ".
"وتقولها!".

"نعم بالتأكيد. وأنا أشتاق إليك أكثر ما يمكنني التعبير عن ذلك لك".

أمسك بيدها، بينما كانت تحاول المرور، وهو يناشدها بيأس: "لا تذهبي. لن نتحدّث عن أي شيء... فقط ابقي معي لهذا اليوم".

هزّت رأسها، رافضة: "لا أستطيع يا باتريك. لا يمكنني أن أبقى مع شخص لا يصدّقني. لا يمكنني أن أثق بك بعد الآن".

"لم أنظر إلى امرأة أخرى منذ أن تعرّفت عليك!".
"لا أتحدّث عن هذا النوع من الثقة".

"هل تقصدين الثقة التي تجعل كل شخص يخبر الآخر بكل شيء؟".

"أجل".

"وأنك تعلمين أنك ستبقين آمنة بإخبار الشخص الآخر؟".

"نعم".

ترك يدها ووقف: "أنت لم تثقي بي كفاية على ما يبدو".

سألت في خيرة: "ماذا تقصد؟".

"لم تخبريني عما حدث معك في العام الماضي. لم تخبريني بذلك أليس كذلك يا أليكس؟ هل كنت تظنين أنني سوف لن أتفهم الأمر، وسأنهي علاقتنا؟".

حاولت أن تتكلم بشفتين مرتعشتين: "من... من... من الذي أخبرك؟".

"فيونا أخبرتني. إنها قلقة عليك. والجميع كذلك قلقون عليك، حتى بامبلا قالت إنك في يوم زفافها كنت محبطة قليلاً. إنهم قلقون بشأنك ولا يعرفون كيف يساعدونك".

تمكنت من السير نحو مكتبه بخطى عمياء، متجهة إلى الباب الذي ستخرج منه دون عودة.

"دعيني أساعدك يا أليكس. دعينا نناقش الأمر معاً".

توقفت عند وصولها إلى الباب، مدركة أنه خلفها، وقالت: "شكراً لك لأنك سمحت لي بجمع أغراضي. لقد تأخرت. علي أن أذهب إلى العمل".

"لا تذهبي يا أليكس. يجب ألا تعلمي وأنت في هذه الحالة. يمكن أن نجد من ينوب عنك. كارولين تفضل أن تأخذي إجازة مرضية، وتحصلي على المساعدة المناسبة".

يا إلهي. فكرت. كم هو عدد الأشخاص الذين

تحدث إليهم؟ كم من الأشخاص يقومون الآن بتحليل حالتها؟ شعرت بالمرارة. كان لا بد لها أن تخرج بسرعة قبل أن تخزي نفسها.

قالت بلهجة ناشفة: "لقد تأخرت عن العمل".

قام بمحاولة أخيرة، قائلاً: "سأكون موجودًا هنا عندما تحتاجين إليّ. أرجو أن تتذكري ذلك يا أليكس".

عادت إلى سيارتها في عجلة، عبر المسار الموحد ذاته. كانت يداها ترتجفان وهي تحاول فتح باب سيارتها التي كانت قد ركنتها عند السياج، لكي تترك الطريق مفتوحًا أمام السيارات الأخرى التي تزور العيادة. كانت ملابسها قد امتلأت بماء المطر.

أخيرًا، جلست في المقعد خلف المقود دون أن تشغل المحرك. كانت ملابسها مبللة، وشعرها يقطر ماءً مَرَّةً أُخْرَى، المطر يسقط على الزجاج الأمامي مما يجعل الرؤية مستحيلة بالنسبة لها. لم يكن ممكناً أن تأتي في وقت أفضل من هذا. كانت صرخاتها المفجوعة غير مسموعة، ودموعها المنهمرة مع المطر على وجهها لم يكن لأحد أن يراها.

كان الجميع يتحدث عنها، يظنون إنها جُتت، وهي لم تعد تتحفل هذا.

الفصل الثاني والثلاثون

كان الاجتماع فاشلاً منذ البداية حتى النهاية. أراد غريغ أن يلوي أعناق بعض الضباط. بعضهم جاء متأخراً، وبعضهم لم يتكبد عناء المجيء على الإطلاق. وأولئك الذين وصلوا في الوقت المحدد لم يكن لديهم أي شيء مفيد.

كانوا جميعاً يتحركون في مقاعدهم بقلق، منتظرين الإذن بالمغادرة. ولن يسمح غريغ لهم بذلك.

قال غريغ: "إذن، بالمختصر: مضى على مقتل ليليان أرمسترونغ ما يقارب الأسبوع، ونحن لم نتوصل إلى معرفة ما حصل لها في الساعات الأخيرة من حياتها. لم نستطع أن نحدد، حتى، شاهد عيان واحد. لم نعرف، حتى، اسم زبون واحد من زبائنها. ما زلنا لم نعثر على السيارة أو الشخص الذي قتلها؟".

هز بعضهم رؤوسهم، ورفع آخرون أكتافهم بلا مبالاة. ضاق غريغ ذرعاً، غير قادرٍ على تحمّل البلادة في الغرفة، فنهض وضرب الطاولة بيده بقوة. وتابع: "هناك امرأة مقتولة! كانت في الرابعة والثلاثين! أصحوا لهذه الحقيقة، هلاً فعلتم؟ أحد ما قد قاد سيارة وداسها، ثم تركها لتموت! انهضوا من على مؤخراتكم، وافعلوا شيئاً... افعلوا شيئاً تحدثوا مع عائلتها مجدداً. تحدثوا مع أصدقائها مجدداً. احصلوا على أسماء الأشخاص الذين كانت تتعامل معهم! تكلموا مع الناس الذين يسكنون تلك الشقق.

كانت تلبس حذاءً جلدياً، وتنورة حمراء قصيرة. كانت تظهر مؤخرتها، وكان نهداها، عملياً، معلقين خارج الثياب. أحد ما قد رآها. لم تكن خفيةاً".

رفع الضباط الأربعة والعشرون في الغرفة رؤوسهم متفاجئين، وفي أيديهم الشطائر، وأكواب القهوة والمشاريب المعلبة، مسفرين في أماكنهم. كان ضابط التحقيق غاضباً، ومن النادر أن يزوه على تلك الحالة.

قلماً يشتم غريغ العناصر -لم يكن هناك داعٍ غالباً- ولكن هذا التحقيق لم يحرز تقدماً منذ ستة أيام. كان لديه شعور فظيع بأن العناصر يتراخون في العمل لأن ليليان أرمسترونغ كانت عاهرة، ومن ثم لا تستحق عناء بذل جهودهم الكامل.

تسلل بيتر سبينسر إلى الغرفة، وكان متجهاً نحو مقعد شاغر. التفت إليه غريغ: "وصلت متأخراً قليلاً، أليس كذلك؟ لقد انتهينا للتو، إن لم يكن لديك شيء معين للمساهمة ليس هناك ضرورة بأن تنضم إلينا إطلاقاً".

نقر بيتر سبينسر بإصبعه على ظرف ذي متني ضلب. هو ليس من النوع الذي يلعب، ولم يكن مهتماً بتسجيل نقاط، قال: "إنها لم تُدعس في موقف السيارة حيث عثرنا عليها. لقد تم نقلها إلى هناك، بعدما تم دعسها".

قال غريغ، مقاطعاً ضابط الطب الشرعي: "نحن نعلم هذا يا بيتر". ثم أضاف: "إذن، هل مشت أم زحفت، أم تم رميها هناك؟".

افصح بيتر قائلاً: "كلًا. بسبب ما وجدنا، أو ما لم نجده بالأحرى، نحن هنا أمام حالة خاصة".

تبقظ جميع من في الغرفة، الآن، معذلين جلستهم. رغب الجميع في معرفة ما يسعى إليه ضابط الطب الشرعي.

"هنالك شيء ما: نحن نعلم أن السيارات على كلا جانبيها كانت واقفة هناك طوال اليوم. تركت العجلة على معطفها أثرًا واضحًا. ولكن لا يوجد أي أثر لتلك العجلة على الأرض، يؤدي إليها، أو سارت مبتعدة عنها. إنها فقط على صدرها. كما لو كان الأثر مرسومًا عليها. الشيء الثاني: لا توجد دماء في أي مكان آخر. يدها كانت تنزف بشدة، لذا لو أنها جرت، لو وجد أثر للدماء. لكن الدماء كانت فقط حول الجثة. لهذا، ولعدم وجود أثر عجلة يؤدي إليها، يجب أن نأخذ بالحسبان أنه قد تم دعسها في مكان آخر، ثم رميت في موقف السيارات".

لقد أثار اهتمام غريغ: "ماذا لو دعستها دراجة نارية؟ أعني في ذلك المكان".

"ولكن أين آثار العجلات يا غريغ؟ كما قلت، ليست هناك آثار عجلات تؤدي إلى الجثة، أو تقود بعيدًا عنها. من الممكن أنه لم يتم دعسها في موقف السيارات".

قالت لورا بيست بشكل مفاجئ من الطرف الآخر للطاولة: "يجب أن يتم فحص عجلات سيارة أليكس تايلور لنرى إن كانت مطابقة للطبعة التي وجدناها".

شعر غريغ بضيق في حلقه. سألها: "أتظنين أنها داست ليليان أرمسترونغ؟".

رفعت كتفيها ببراءة: "من الممكن يا سيدي. من الممكن إنها نقلت الجثة إلى ذلك المكان بعدما دعستها حتى تستطيع تضليلنا. عندما تفقدنا سيارتها ذلك اليوم، كانت قد غسلتها. من المحتمل أنها داست المرأة، ثم أدركت إنها تركت دليلاً فذهبت لتغسل سيارتها".

علق بيتر سبينسر بنبرة جافة: "ستحتاج لأعصاب فولاذية لتفعل شيئاً كهذا".

واصلت لورا حديثها: "هي تعلم بأمر الدم والدليل المتروك. إنها طبيبة، وعلى الأرجح تعرف عن التحاليل الجنائية أكثر من أيّ منا. سيكون من السهل التحقق إن كانت آثار عجلات سيارتها الميني تطابق الأثر المتروك على ليليان أرمسترونغ".

قال غريغ بأسلوب يوحى بالدهشة والشك معاً: "تزن ليليان أرمسترونغ 173 باوندا. الدكتورة تايلور ليست امرأة خارقة. تتوقعين منا أن نصدق إنها داست المرأة، ثم نقلتها أو جزّتها إلى موقف سيارتها. ثم ماذا؟ ذهبت لتنظف سيارتها؟".

قالت لورا بثقة: "نعم، نقل جثة ليس بتلك الصعوبة بالنسبة لطبيبة أو ممرضة. فالأطباء والممرضون يفعلون ذلك طوال الوقت باستخدام أغطية ليجزوها و يدحرجوها".

نهض غريغ وهو يستجمع أفكاره: "ولكن كيف لها المجازفة بالعثور على المرأة في الوقت نفسه؟

إلا إن كنت تلمحين إلى أنها قد أخفت الجثة في صندوق السيارة ريثما قامت بتنظيفها. ولكن إن كانت المسألة كذلك، كانت لتموت المرأة . كانت لتموت قبل أن تصل سيارة الإسعاف، ولما وجد دم ملطخ على الحائط".

قالت: "كل ما أقوله هو أنه كان بإمكانها فعل ذلك. دعستها، ولقتها بغطاء، ونقلتها، ثم أخذت الغطاء بعيدًا. وفي هذه الأثناء، كانت المرأة تنزف حتى ماتت. وهذا يضع تايلور أمام قرارات لتأخذها. أن تترك الجثة بينما تذهب لتنظف سيارتها، أو أن تأخذ الجثة معها. لكنني أراهن إنها قد تركت الجثة هناك. ربما كانت تريد أن يعثر عليها أحد، مما يبعد عنها الشبهات. ولكن ما حدث، أنها عادت مجددًا والجثة لا تزال في مكانها. لذا كان عليها أن تقوم بتلك التمثيلية".

تدخل بيتر سبينسر: "وماذا عن وقت الوفاة؟".

قالت لورا بحماسة: "عندما وصلت سيارة الإسعاف، كانت قد ماتت للتو. هذا لأن الدكتورة تايلور قد قالت بأنها ماتت! إنها طبيبة. وسيقبلون بوقت الوفاة التي تعلنه هي".

اعترض غريغ، قائلًا: "ولكن، كما تعلمين، كانت الدكتورة تايلور مغطاة بالدماء. كانت آثار الدماء واضحة عليها!".

"ليس بالضرورة. يحل الظلام في الساعة الرابعة. الكثير من مغاسل السيارات، حاليًا، لديهم نظام خدمة ذاتية. تنزل زجاج نافذة سيارتك، تضع مالا

في الفتحة، وتقود عبر المفصلة. ليس بالضرورة أن يكون قد رآها أحد. ثم عادت لتجد سيارة الإسعاف، فقامت بعيدًا مزة أخرى، ثم عادت مجددًا، لترى المرأة ميتة كما كانت قد تركتها. وقامت بتمثيليتها في طلب المساعدة".

كانت لورا مثيرة للإعجاب. شعر غريغ بالعجز، بينما كانت لورا تقدم الحجج.

"إذن، لماذا أخبرتنا عن آثار العجلات على صدر المرأة؟ هذا ليس منطقيًا".

أجابت لورا: "كان عليها أن تخبرنا. لأنها تعلم أننا سنجد آثار العجلات. يمكن تصديق هذه القصة أكثر من أي من قصصها الأخرى. الخطف".

قاطعها بيتر سبينسر: "أنا مشئت الذهن هنا. لماذا تظنين أن الطبيبة متورطة أصلًا؟".

أجاب غريغ بدل لورا: "المحقق لورا لديها نظرية مفادها أن الدكتورة تايلور تعاني من شكل من أشكال متلازمة مونخهاوزن. تخلق سيناريوهات لتجذب الانتباه".

جادلت لورا: "لقد حدث هذا من قبل. التقيت الدكتورة تايلور أول مرة في شهر أكتوبر. قالت إنها اختطفت، ثم أخذت إلى غرفة عمليات في المستشفى وتم تهديدها بالجراحة أو الاغتصاب، إلى أن عثر عليها زملاؤها بمعجزة، في موقف سيارات المستشفى، وجلبوها إلى قسم الإسعاف سالمة، عدا ضربة صغيرة على رأسها. لم يكن يوجد أي أثر يذل على عملية اغتصاب أو جراحة. كنا

مرتابين على أقل تقدير. بعد أسبوعين، يتم الاتصال بغريغ من قسم الطوارئ لتبليغه أن المريضة التي ماتت بين يديها... كانت قد قتلت".

سأل بيتر: "من كانت تلك؟".

ردّ غريغ: "الممرضة المفقودة، إيمي أبوت. جلبوها إلى المستشفى بسيارة إسعاف وهي تنزف. ماتت بعدها بمدة وجيزة. قال طبيب التوليد بأنها محاولة إجهاض ذاتية".

قالت لورا: "من المثير للاهتمام أننا لم نعلم شيئاً عن إيمي أبوت حينما كانت مفقودة. يبدو أنه لا أحد كان يعلم بمكانها. كانت بمفردها مدة خمسة أيام، دون أن تسحب من حسابها المصرفي، أو أن يراها أحد. أين كانت يا غريغ؟ أين تمّت عملية الإجهاض؟ ربما الدكتورة تايلور تعلم".

"كانت الدكتورة تايلور في بربادوس عندما فقدت إيمي أبوت، وأنتِ تحققتِ من ذلك وأكدتِه. قد لا نعلم مكان إيمي في الأيام الأخيرة التي أدت إلى موتها. ولكن نعلم أنه من غير الممكن أن تأخذها الدكتورة تايلور لأيّ مكان، لأنها كانت تبعد عنها مسافة أربعة آلاف ميل يا لورا". ثم أردف غريغ بنبرة حادة: "وفي حال لم تفهمي، فإن موت إيمي أبوت لم يتمّ التحقيق فيه".

تدخل ضابط بجانب لورا: "ظننتُ أنّ الدكتورة تايلور كانت خارجة للتسوق في بريستول، ثم عادت ووجدت ليليان أرمسترونغ مصابة".

ردت لورا، بعنف: "هذا ما قالته هي. لم نتبع

تحركاتها أو نتأكد من ادعائها. هي تقول بأنها كانت في بريستول، ولكن كيف لنا أن نعلم ذلك؟".
رد الضابط نفسه: "أظن أنه من الممكن، إنها عادت بالطائرة".

استدارت لورا بيست إليه، وللمرة الثانية في آخر نصف ساعة، ذهل العناصر بتغيير في شخصية أحدهم. ولكن هذه المرة لم يكن الضابط من فاجأهم، لقد كانت لورا بيست التي تتحكم بنفسها عادة.

قالت لورا ببرود: "لا تستبعد ذلك. يمكنها قيادة مروحية لعينة".

تفحص غريغ وجهها بعينيه ليرى إن كانت تنظر إليه. تساءل كيف عرفت ذلك. ولكن المرأة الغاضبة كانت تركز على الضابط الذي بجانبها، تاركة غريغ في الظلام.

إنه لم يفعل شيئًا خاطئًا عندما خرج مع أليكس ذلك اليوم. ثم إنها مجرد شاهد. ولكن ذلك لن يردع لورا عن محاولة التسبب له بالمشكلات.

شعر أن في داخلها غيرة مرضية كلما تم ذكر أليكس، لذلك عليه أن يسير بحذر. لا يمكنه إيقافها عن التحقيق بشأن أليكس تايلور، ولكنه لم يكن مضطرًا على مساعدتها، حيث تجاهل إخبارها عن خروجه مع تايلور.

أعطى آخر تعليماته لبيتر سبينسر: "لنتحقق من تلك العجلات في أقرب وقت ممكن. حالما نفعل

ذلك، فسنتمكن من أن نتقدم في التحقيق".

سالت لورا: "والدكتورة تايلور؟".

حملق غريب في لورا، وقال بنبرة صارمة: "لن
نقترب من الدكتورة تايلور إلا إذا وجدنا دليلاً
يعطينا المسوغ لذلك".

الفصل الثالث والثلاثون

فوجئ ريتشارد سيكيرت عندما رآها عند مدخل منزله. لكنه سرعان ما رغب بها وطمأنها، بعد أن لاحظ الحزن على وجهها.

من غرفة الجلوس في منزله، قامت أليكس بإجراء اتصال مع كارولين، أبلغتها أنها متوقعة وليس بمقدورها الذهاب إلى العمل. بدت كارولين متوقّعة المكالمة، وقالت لها أن لا مشكلة، فيمكن لها إعادة جدولة جلسة التدريس المخصصة لأليكس، ويمكن للأطباء المتدربين ممارسة التدريب العملي في القسم، بدلاً من ذلك. كان المهم لديها أن تتحسن أليكس.

قالت: "خذي بعض الراحة يا أليكس. أنت بحاجة إلى أن تريح نفسك بشكل جيد. لقد كان باتريك قلقًا عليك".

كانت نصيحتها تؤكد أن باتريك اتصل مع رئيستها في العمل، في اللحظة نفسها التي خرجت فيها من منزله. إنه يتدخل من أجل مصلحتها. لقد جعل الوضع أسوأ عندما تحدّث في الأمر مع أشخاص مثل فيونا وبامبلا. حتى لو أنها رغبت، الآن، في التحدّث معهما بنفسها حول ذلك، فقد جعل الأمر مستحيلًا. سوف تفكران مثله. إنها بحاجة للمساعدة، مساعدة حقيقية.

كان شاي النعناع يساعدها في تخفيف الضيق الذي يعتمل في صدرها، وبدأت، بالفعل، تهدأ.

قالت لريتشارد سيكيرت: "شكرًا لك لأنك استقبلتني". وأضافت: "أنا آسفة لتطّلي عليك في هذا الصباح".

كان يرتدي، هذا اليوم، الجينز وبلوزة مخططة باللونين الأبيض والأسود، وعلى حذائه الجلدي ذي اللون الأسود، الخاص بالغولف، قطع من العشب عالقة. على مكتبه، توجد أوراق، وإلى جانبه كوب من الشاي، يشي بأنه كان مشغولاً، أو على وشك القيام بعمل ما، قبل مجيئها.

"سأغادر بعد أن أشرب الشاي".

"لا تستعجلي، فأنا أمضي اليوم وأنا في حيرة من أمري. إن المطر غزير ولا يمكن القيام بأي شيء في الخارج، أما الأعمال المكتبية... وربما ستمطر غداً أيضاً".

"لم يخطر لي مكان آخر أذهب إليه. سأسبب لماغي الإزعاج إذا ما واصلت الذهاب إلى بيتها".

ابتسم لقولها ذلك.

"بالطبع لن تفعل ذلك. إنها لا تلعب دور "السامري الصالح" ما لم تكن لديها رغبة. الصداقات مهمة، وإن كانت الدكتورة فيلدينغ تمنحك صداقتها، عليك أن تقبلها بكل ثقة".

"إنها لا تصدق ما حدث لي".

"هل هي من قالت ذلك؟".

أومات اليكس، قائلة: "نعم بالتأكيد. تقول أنه أمر مستحيل تمامًا".

"لا بد أن هذا مزعج للغاية".

لم تجب.

"هل سألتها بماذا تفكر؟".

"هذا هو سبب مجيئي إلى هنا لرؤيتك... فحسب رأيها، ربما يكون ما يحدث معي هو نوع من "اضطراب ما بعد الصدمة". أو شيء من ماضي، أو نتيجة لطبيعة العمل الذي أقوم به".

أعطى إيماءة خفيفة ثم قال: "لقد قالت لي الشيء نفسه تقريبا. لكن المهم هو ما تعتقدينه أنت. هل تعرّضت لأي إزعاج في الأيام التي سبقت الحادث؟".

تنهدت بآلم: "في ذلك الصباح، فقدت طفلة. طفلة تبلغ من العمر ثلاثة أشهر. كان أمرا مروعا. جيء بالطفلة وهي مزرقة اللون. كان والداها يصرخان في الجميع، يتوسلان أي شخص يعيد أنفاس طفلتهما. لكن جسدها كان باردا. ما كان على فريق الإسعاف إحضارها منذ البداية. اشتبه بإصابتها بمتلازمة "موت الرضيع الفجائي"، وقد أثبتت نتائج التشريح ذلك. لكن لمجرد إنها كانت بين أيدينا، توهم أبواها بأنه بإمكاننا إعادتها إلى الحياة. فقد كانت أصابعها الصغيرة متيبسة بالفعل". تنهدت مرة أخرى: "نعم، حدث شيء مرهق جدا أدى إلى ذلك الحادث".

"وماذا عن الأوقات العصيبة الأخرى التي مررت بها؟ أي شيء آخر ربما سبب لك أزمة؟".

التزمت الصمت، غير راغبة في أن تخبره عن

تجربة العام الماضي. إذا أخبرته، فإنه، وعلى الفور، سيفكر بوجود رابط بين الحادثين، ومن ثم اعتبار فكرة وجود خاطف هي مجرد وهم تتخيلها. من ناحية أخرى، لا تستطيع تجنب المشكلة. يجب عليها أن تقدم له الحقائق كلها إن كان هذا سيساعدها.

"لقد تعرّضت لهجوم في العام الماضي."

بقيت عيناه هادئتين، ولم يتغير أسلوب حديثه: "هل هذا كل ما توّدين إخباري به؟"

غمرت الدموع عينيها، واضطرت إلى عض شفتها بقوة، محاولة أن تتحكّم بدموعها. أخذت نفساً عميقاً لتهدأ قليلاً، ثم أصبحت جاهزة لتستأنف الكلام.

"لم يفتصمني، فقط لتعلم، إنه لم يفتصمني."

أوما ريتشارد سيكيرت برأسه.

استمرت أليكس: "لقد كان ممثلاً رافقني بضعة أيام لكي يدرس دور طبيب. كان قد أخذ الدور الرئيس في فيلم طبي. وضعت مديرتي معي في القسم، من جهة لأنها مشغولة جدًا، ومن جهة أخرى، لأنه هو من عبّر عن رغبته في أن يرافقني، أنا، في العمل. كان لطيفاً للغاية. رجل جذاب وذكي، كان مهذباً معي ومع المرضى أيضًا. أمضى خمسة أيام، ولم أصادف معه أي مشكلة على الإطلاق. ولكي أكون صريحة أكثر، فإن وجوده كان من دواعي سروري."

سألها ريتشارد سيكيرت: "هل انجذبت إليه؟"

أومات برأسها، وقالت: "قليلاً على ما أظن. فهو نجم تلفزيوني معروف، أثار إعجابي منذ البداية لمجرد رؤيته على شاشة التلفزيون. كما كان متواضعاً ومهتماً بالتعلم حقاً. استعار مني الكثير من الكتب الطبية. طلب مني أن أشرح له المصطلحات الطبية حتى يفهما بشكل جيد. أظن أنني أعجبت به من أجل ذلك. لم يكن يريد الاكتفاء فقط بحفظ بعض السطور، إنما كان مخلصاً لدور الشخصية التي سيؤديها، وهذا كل شيء. على أي حال، وكما قلت، كان اليوم الخامس، يوماً حاراً من ذلك الصيف الجميل. والقسم أشبه بفرن من شدة الحرارة، وهو مشغول بالمعجبين من حوله، والناس يشربون الماء، وفي حالة نزق للوصول إلى منازلهم بسرعة لكي يتمكنوا من الاستلقاء في حدائقهم. كنت معه في غرفة الحوادث الخطيرة. طلب مني أن أريه المعدات التي نستخدمها، والبدايات التي نرتديها عندما يتم استدعاؤنا إلى حادث خطير. كان ظهره إلي، بينما كنت أحاول، بصعوبة، ارتداء البدة -عادة وفي حالات التدريب أرتدي البدة فوق ثيابي- لكن جو الغرفة كان حاراً جداً، وكان سيفمي علي لو احتفظت بالسترة والسروال تحتها".

علق ريتشارد: "هل لذلك أدار لك ظهره؟".

قالت بهدوء: "نعم. أنا بدوري أدركت له ظهري لأحظى بالمزيد من الخصوصية. كنت أرتدي البدة إلى حد الوركين، وأحاول أن أدخل قدمي في الحذاء الثقيل، في تلك اللحظة أمسكني فجأة من الخلف. حينها لم أستطع الوقوف، الحنيت تماماً،

وانزلت البذلة إلى كاحلي".

أغلقت عينيها وهي تتذكر تلك اللحظة، وبدأ قلبها يخفق على نحو مزعج.

تابعت: "وضع إحدى يديه على سروالي، ويده الأخرى تحت مشدّ صدري، ثم ضغط بجسمه عليّ. حاولت دفعه، لكنه ألقى بثقله على ظهري".

ابتلعت ريقها بصعوبة، عاد إليها الإحساس بجسمها في بداية الاهتزاز.

"إنه شيء مقرف، لا أريد التفكير به، لا أريد تذكر يديه وهي تتلفسان جميع أنحاء جسمي. لقد شعرت به وهو يحاول فك أزرار سرواله. كنت مرتعبة... ثم لمسني... شعرت به يلامس بشرتي. كان يسحب سروالي إلى الأسفل، حاولت مقاومته بالابتعاد عنه، ودفعه إلى الخلف، والأمام، إلى أن سقطت على ركبتي. دفع رأسي باتجاه الرفوف السفلية، كان من المضحك أن أنظر إلى كل تلك المعدات الطبية، بينما هو فوقني. شعرت به... عرفت أنه على وشك أن يفعل... أنا...".

تنفست بعمق، وفتحت عينيها على وسعهما، في محاولة منها لتهدئ من روعها، وتشعر بالأمان من جديد. تقدّم ريتشارد سيكيرت على كرسيه نحوها، محاولاً مواساتها، لكنها رفعت يدها لصدده وقالت: "أنا على ما يرام. فقط أحتاج إلى لحظة".

سألها: "هل تريد من الماء؟".

هزت رأسها، رافضة: "أنا بخير".

"هل تريدین الاستمرار؟".

"نعم. لم یبق الكثير لأقوله. نجحت في التقاط الحذاء، وبدأت بالضرب على ساقیه بشكلٍ عشوائي. لا بد أنني ضربته بشدة؛ لأنه بدأ یبتعد عني، وتمكنت من الالتفات إليه. كان منحنيًا إلى الأمام، وسرواله مفكك، وقضيبه مكشوف. صرخت في وجهه، وقلت له بأنني سأبلغ عنه، وأنه لن یفلت بفعلته. وبينما هو... ضحك. وقال إن أحدًا لن یصدقني، وأن الجميع یعلم لماذا أحضرته إلى تلك الغرفة. فالجميع یعلم أنني معجبة به. قال: "لنكن صريحين، يا أليكس، كنت تحاولين جاهدة من أجل ذلك طوال الأسبوع. أتظنين أنهم سیصدقونك؟".

تبلى وجهها، للمرة الثالثة، في ذلك اليوم.

أعطاها ريتشارد سيكيرت بعض المناديل الورقية، فتذكرت حين فعل غريغ تورنر مثله. بدت حياتها مؤخرًا تدور حول الأشخاص الذين یقدمون لها المناديل.

ذهب الطبيب النفسي وحضر المزيد من الشاي، حتى تتماسك قليلاً. وعندما عاد، جلس معها بهدوء وقتًا طويلاً، وفي النهاية، قال: "هل بلغت عنه؟".

هزت رأسها بالنفي، قائلة: "لم أستطع. خشيت أن لا یصدقوني. هل تظن أن الأمر مجرد تخيل؟ ما الذي يحدث لي في الآونة الأخيرة؟".

رفع كتفه قليلاً: "لا أستطيع أن أحسم إن كان الهجوم الذي حدث في موقف السيارات حقيقياً أم لا. ما أستطيع إخبارك به هو أنك بحاجة للعلاج من

تأثير حادثة العام الماضي. كاد رجل أن يفتص بك،
ولكنك أفلتت منه، وتشعرين أن لا أحد سيصدقك".
رأت التردد في عينيه.

قال أخيرًا: "اعتقد أنه يجب عليك إبلاغ الشرطة
بذلك".

كان جفناها قد توزما من ملوحة الدموع، ووجهها
أصبح طريًا. أعطتها ماغي منامة خفيفة لكي
ترتاح وتتمتع ببعض البرودة. انعشت أليكس
جلدها الرقيق. ثم أخذت جرعة من النبيذ، فشعرت
بتحسن. كانت مرهقة، ولكن الغريب هو أنها، وفي
الآن نفسه، كانت تشعر بسلام داخلي.

تطفلت ماغي عليها بصوت لطيف قائلة: "إذن،
كنث على حق؟ هل تعرّضت لصدمة في الماضي؟".
قالت أليكس: "أنت الآن تعرفين كل شيء".

"ريتشارد سيكيرت على حق يا أليكس. يجب إبلاغ
الشرطة عنه".

رفعت أليكس ركبتيها محاولة الانحناء والتكؤر،
وتجاهل نصيحة صديقتها.

"لن يصدقوني يا ماغي". بكت بمرارة: "ليس قبل
حملة على الاعتراف بفعلته".

"فلنقم بذلك".

بدت أليكس مشوشة، ثم قالت: "نفعل ماذا؟".

"نجعله يعترف. سأساعدك". ثم أردفت ماغي
وقالت بإصرار: "واجهي الرجل يا أليكس، وبعد ذلك

سينتهي كل هذا".

أنهت لورا بيست المكالمة، وأبعدت هاتفها المحمول بابتسامة فيها رضا. كانت بداية جيدة ليومها. حسنا فعلت بأن قامت بإظهار التعاطف أولاً، والآن، سوف تحصل على النتيجة. تم تحديد مكان وزمان الاجتماع، وأثناء مدة ما بعد الظهر، ستعرف ما حدث للدكتورة تايلور في العام الماضي. كانت تخطط لكيفية استخدام المعلومات، لكي تظهر الطيبة في موقف سيئ. وهي تتوقع أن يتم في الليل إحضار المرأة إلى مركز الشرطة لاستجوابها، وحجز سيارتها.

كما يمكن أن يعتذر غريغ تورنر عن عدم دعمه لها. وتأمل أن يكون اعتذاره أمام ضباط أعلى رتبة منه. في غضون ذلك، أرادت التحقق من كاميرات المراقبة في محطات الوقود، التي يوجد فيها مغاسل سيارات، وبشكل خاص في ذات اليوم الذي غسلت فيه أليكس تايلور سيارتها. كانت تقود على الطريق من باث إلى كرييس كوزواي في بريستول، حيث قالت تايلور إنها تسوّقت في تلك المنطقة. كان هدف لورا ليس فقط معرفة محطة الوقود التي غسلت فيها أليكس سيارتها، بل وأرادت -أيضاً- أن تعرف المدة التي استغرقتها هناك.

الأمر الإيجابي في رحلة الصيد هذه هو أنه لم يكن قد بقي سوى ثلاثة أيام للتسوق قبل حلول عيد الميلاد، ولم تكن لورا قد اشترت بعد شيئاً واحداً لعائلتها ولا لأصدقائها. يمكنها أن تقتل عصفورين

بحجر واحد، وذلك باستغلال وقت ما بعد الظهيرة بهذا الشكل.

همس دينيس مورغان بمرارة في أذنها: "هل تخططين مع من ستنامين بعد ذلك؟".

عندما التفتت إليه كانت عيناه فيهما عتاب.

كذبت عليه بلطف: "مرحبًا يا دينيس. كنت أفكر فيك".

لاحظت أنه لم يحبذ الكذبة، ووجدت الازدراء في عينيه وهو يبتعد. ربما عليها أن تحاول أن تكون صادقة.

نادت: "دينيس!".

استدار.

فأردفت: "لا أستطيع أن أمنع نفسي. بمجرد أن أشعر بنفسي أقترب من شخص ما، سرعان ما أؤذيه. وهذا يحميني من التعرض للأذى أولاً".

كان كتفاه أقل صلابة، وذراعاها مفتوحتين: "لن أؤذيك أبدًا. أنت أول امرأة أحببتها في حياتي. أنا لا أنام يا لورا".

قالت بهدوء: "أعرف ذلك يا دينيس".

هدأ قليلًا، ثم سألتها: "هل يمكننا أن نخرج معًا في وقت ما؟ كان نذهب إلى السينما أو شيء من هذا القبيل؟".

قالت: "أود ذلك". ثم ابتسمت له: "هل ترغب في القدوم معي للتحقق من بعض مغاسل السيارات؟"

ثم، ربّما في وقت لاحق، يمكننا أن نعدّ العشاء
معا أو شيء من هذا القبيل؟ يمكنك أن ترفض،
وسأفهم الأمر إن كنت مشغولاً".

كلا... لا أستطيع يا لورا. إن المفتش تورنر كلّفني
بالذهاب إلى المستشفى".

عند ذكر المستشفى استقامت لورا في جلستها،
وتنبّهت حواسها. سألت باندفاع: "لماذا؟".

هزّ كتفه: "لأنّه لا يوجد أحد آخر يرسله".

قالت: "أقصد...". حاولت أن تحافظ على تماسكها
وأن تتحلّى بالصبر، فقالت: "من أجل ماذا يتم
إرسالك إلى المستشفى؟".

قال ضاحكاً: أوه... لا شيء، فقط لأخذ إفادة
طبيب متورّط في حادث مروري، يمكنك القدوم
معي إن أردت".

لم تكن لورا بحاجة للمزيد من الأوامر.

الفصل الرابع والثلاثون

تجاهلت أليكس الساعة وهي تمشي عبر القسم، واعتذرت إلى مراقب الدوام من تأخرها. لم يكن ذلك جزءًا من خطتها. كانت مصفمة على الأيُنظر إليها بعد الآن على أنها المرأة التي "فقدت عقلها". لأول مرة ومنذ وقت طويل، استيقظت وقد خطت لاستعادته السيطرة على حياتها.

ولكن ها هي من جديد تأتي إلى العمل متأخرة لخمس وعشرين دقيقة، دون عذر مقبول. عدا أنها قد أخذت حبة زرقاء في منتصف الليل. كان عليها أن تقاوم وتأتي إلى العمل متعبّة بدل أن تأتي متأخرة. كان عليها أن تكون أكثر حزمًا، وتذكّر إنها لم تعد وحيدة بعد الآن. لديها ماغي لتدعمها. مغا سوف تقتفيان أثر ذلك الممثل وستواجهانه. في الوقت الراهن، على أليكس أن تركّز على كل يوم، وتؤدي عملها أداءً جيدًا.

قال ناثن بجفاء وهو يدخل غرفة الأطباء: "أنت هنا".

"أنا آسفة، سوف أعوّض تأخري. ماذا لدينا؟".

"لدينا ظرف. ثلاثة على وشك الاختراق، إن لم نقلها في المستشفى أو نُخرجها".

(على وشك الاختراق) هي عبارة شائعة الاستخدام في أقسام الطوارئ. وتعني أن المرضى كانوا يصلون إلى الحد الأقصى مدة أربع ساعات، وكان من المفترض أن تنم رويتهم، لتسجيل

دخولهم إلى المستشفى أو إخراجهم.
"وقد تم جلب الدكتورة كاوان أيضًا."
سألت بقلق: "ما بها؟".

"إصابة في الرقبة، سوف نراها أولاً".

"ألا تظن أن علينا أن ننفضل؟ لا يمكنك أن تلاحقني كظلي ولديك كل هذا العمل. سوف أرى كارولين وأتركك لتبدأ مع البقية. سيكون هذا أسرع".

تردد قليلاً، رفعت ذقنها وقالت: "إنه منطقي يا ناثن، أنا مؤهلة لأقوم بفحص مريض، إصابته من الدرجة الثالثة، ثم إنه من غير الممكن أن تدعني الدكتورة كاوان أن أخطئ بتشخيصها، أليس كذلك؟".

بدأت كارولين في وضع حرج وهي تجلس رافعة ركبتيها، على عربة الفحص، مغطاة بملاءة سرير المستشفى حتى ذقنها، وقد نفذت الحيوية من وجهها الشاحب المستدير. كانت رؤيتها في حالة الارتعاش تلك صادمة. كان لديها كدمة على جبينها، إثر اصطدامه بمقود القيادة، وألم في رقبتها. في الحالة التي هي فيها، لم تكن تبدو مثل مستشارة تدير ذلك القسم المزدهم.

كانت الشرطة تنتظر للتحدث إليها، ولكن أليكس أصرت على أن تتأكد من أنها على ما يرام أولاً. الأمر الذي استطاعت التأكد منه هو أن الحادث كان نتيجة اصطدام من الخلف بسرعة خفيفة، حيث

كانت سيارة كارولين واقفة تنتظر التحرك إلى الطريق الرئيس. لم تكن فاقدة للوعي ولكنها أصيبت بالدوار. الخوف مما كان يمكن أن يحصل هو ما غير مظهرها.

لو أنّ السيارة التي صدمت سيارة كارولين من ماركة نيسان، أكثر سرعة، لدخلت إلى المسار السريع، القادم على الطريق الرئيس.

بعد أن قامت أليكس بفحصها جيدًا، تأكدت من عدم وجود إصابة في العمود الفقري. وضعت مصباحها اليدوي في جيبها، منبهة آخر فحوصاتها. ثم أشعلت ضوء الغرفة الرئيس. كانت راضية عن نتيجتها على مقياس غلاسكو لقياس الغيبوبة، وعن ردّ فعل حدقتي عينيها.

استندت على حافة السرير، مسدت إحدى يدي كارولين وقالت: "كل شيء يبدو على ما يرام، سوف أحضر مسكن ألم وكوبًا من الشاي، هل تستطيعين التحدث مع الشرطة؟".

أومات كارولين برأسها ثم جفلت. أسندت رأسها على الوسادة قائلة: "لم أر شيئًا يا أليكس. لقد حدث ذلك سريعًا. لم يكن هناك شيء خلفي، كنت أنظر إلى اليسار وإلى اليمين، أتهيا للانعطاف، عندما سمعت صوت ضربة، وشعرت بالسيارة تتحرك بعنف. دُفعت إلى الأمام وصدّمت رأسي، وعندما نظرت في المرأة لم تكن هناك سيارة خلفي. كان الطريق خلفي فارغًا تمامًا. كاد السائق يقتلني، ثم فر هاربًا". ثم أردفت، والدموع في عينيها: "أمر لا

يُصدّق أن يستطيع شخص الهرب بهذه الطريقة".
"أعلم!".

مسحت أليكس دموعها بأغطية السرير وهي تقول:
"يا إلهي، يبدو أن الكثير من الأشياء السيئة تحدث
مؤخراً. أولاً ينتهي بك المطاف هنا، والآن أنا من
سيكون التالي؟".

شعرت أليكس بتشنج، بينما كان عقلها يقفز بين
احتمالات عديدة. أمن الممكن أن يكون الرجل نفسه
يستهدف كليهما؟ هل استهدف كارولين بسببها؟
هل كان يؤدي معارفها؟

"كارولين، هل تظنين أن ما حدث معك له علاقة
بي؟".

"ماذا؟". قالتها كارولين بنبرة حادة، وجحظت
عينها غير مصدقة ما تسمع: "كفى... كلا!". ثم قالت
بصوت متعب: "اطلبي من أحدهم أن يحضر لي
مسكن ألم".

"ولكن...".

قاطعتها كارولين، وقالت بنبرة صارمة: "لا يمكنني
التحدّث وأنا أتألم". ثم نظرت في عينيها، وقالت: "لا
يمكنني التحدّث إليك يا أليكس".

بعد نصف ساعة، رأت أليكس لورا بيست برفقة
أحد عناصر الشرطة يخرجان من حجرة مغلقة
بستائر. غادرت مكانها في المكتب متوجهة نحو
الحجرة.

اعترضتها لورا بيست قائلة: "اتركيها وشأنها يا

دكتورة تايلور. إنها تريد أن ترتاح، إلى أن يأتي زوجها ليأخذها".

"عفوا...؟".

كان صوت لورا بيست صارفًا: "إنها لا تريد أن يزعجها أحد".

شعرت أليكس أن وجهها قد احمز، ونظرت إلى الشرطة بامتعاض: "هل تمنعيني؟" الدكتورة كاوان مريضتي! يجب أن أراها قبل أن أتمكن من إخراجها".

قالت لورا بيست بنفاد صبر: "الدكتور بيل قام بذلك".

نظرت أليكس عبر زجاج نافذة مكتب الطبيب. رأت ناثن في المكتب يدرس نتائج فحص أشعة سينية. أرادت الذهاب لتستفسر عما يحصل، ولكنه بدأ مشغولًا ذلك اليوم، ومن الصعب التحدث إليه. ندمت بشدة لأنها طلبت منه الخروج معها. لقد عاد ليعاملها كزميلة عمل - بل أسوأ، زميلة مزعجة - وقد افتقدت صداقته.

عادت لمكانها وتابعت قراءة تقرير أحد المرضى، شعرت بعيني لورا بيست وهي تتبعانها.

كانت الرسالة واضحة. ابقي بعيدة عنها إنها لا تريد رؤيتك.

تنهدت لورا عندما انتهت المكالمة. الشخص الغاضب الذي اتصل بها لم يكن مسرورًا بتركه ينتظرها على الموعد، كان على لورا أن تعده بالآ

تتأخر، أو تحدّد موعدًا جديدًا لاحقًا.

في أعقاب رؤية الدكتورة كاوان، نسيّت الموعد تمامًا. أمضيا، هي ودينيس، طوال اليوم يبحثان عن السائق الذي صدم سيارة الدكتورة كاوان من الخلف. لن تفوّت الموعد الثاني. هذا اللقاء قد يكون مهمًا، خاصة وأنّ أليكس تايلور بدأت تشعر بالقلق.

سلوكها هذا الصباح أكّد رأي لورا، بأن أليكس تايلور تعاني من مرض نفسي. كانت قلقة لأنها لا زالت تستطيع ممارسة مهنتها. ولكن ليس لوقت طويل حسب تصوّر لورا. إنها على منزلق مائل، وعلى وشك أن تسقط قريبًا.

حرصت لورا على أن تخرج قبل وقت مناسب، لكي تصل إلى الموعد المؤجل. كما عليها أن ترسل رسالة لدينيس لتلغي موعدهما. إنها سعيدة لعودة العلاقة الودية بينهما، ولكن موعدًا غراميًا ليس سببًا مقنعًا لكي تفوّت الموعد مجددًا. كان عليها التركيز على عملها.

كانت لديها بضع ساعات قبل الموعد، فقضت الوقت تبحث في ملفات قضية ايمي أبوت. ستتحقق من أيّ شيء قد يكون مفقودًا، من أيّ خيوط لم يتم تتبّعها قد تقودهم إلى مكان وجودها أثناء اختفائها.

أينما حدثت محاولة الإجهاض تلك، سيكون هناك آثار للدماء... الكثير من الدماء. عندما وصلت إيمي أبوت إلى غرفة الإسعاف، كان دمها يكاد يصفى.

لا تحقيق بجريمة قتل، أو شخص مفقود بعد

الآن. إيمي أبوت قد ماتت وذُفنت، وتم إغلاق ملف القضية. كان غريغ يقول لها بأنها تضيع الوقت، ويجب عليها أن تركز على قضية ليليان أرمسترونغ. ولكن لورا تكره أطراف الخيوط التي لم تتحقق منها، ولم تستطع تجاوز أمر أن أليكس تايلور هي من قالت إن الميئة كانت مثيرة للشكوك.

لم تُظهر فحوصات ما بعد الموت ذلك. حكم قاضي التحقيق على أن الموت كان نتيجة خطأ.

إن كانت جريمة قتل، سيكون من الصعب إثباتها. أليكس تايلور، بكل تأكيد، ذكية بما يكفي لتقتل أحد، ومن ثم الافلات من العقاب.

كانت في باربادوس أثناء اختفاء إيمي أبوت، ولكن بالافتراض أنها كانت تعرف إيمي أبوت من قبل، وتعلم أنها حامل ومصابة بالاكتئاب، من الممكن أن أليكس تايلور قد قدّمت لها ملاذًا وسمحت لها باستخدام شقتها أثناء غيابها، ثم عادت وبدأت بالتسبب بوفااتها. غُير على إيمي أبوت بعد خمسة أيام من فقدانها، ولكنها ماتت في الليلة التي عادت فيها الدكتورة تايلور إلى المنزل من رحلتها.

الآن، كل ما على لورا فعله هو العثور على رابط بين امرأتين.

إن استطاعت إثبات أن أليكس تايلور كانت تعرف الممرضة الميئة، سيكون لديها سبب لتطلب إعادة فتح القضية.

شعرت لورا بالحماسة للمستقبل. قد تكون هذه
تذكرتها للحصول على ترقية. طريقها إلى حياة
جديدة.

الفصل الخامس والثلاثون

عندما خرجت أليكس من المصعد، رأت صندوقًا رفيفًا من الورق المقوى، مسنودًا على باب بيتها. وضعت من يدها أكياس البقالة. ثم وجدت لصاقة زرقاء على الصندوق، كانت رسالة تركها لها جارها المجاور تقول: "وصل هذا الصندوق بعد الظهر، لذلك وقعت عنك على استلامه. أتمنى أن يكون ذلك جيدًا. تريفور".

التقطت الصندوق وأدخلته إلى شقتها. تفقدت صندوق بريدها، وجدت مغلفًا لبطاقة عيد الميلاد. عيد الميلاد على الأبواب، وحتى الآن لم ترسل بطاقتها بعد. إنها لم تقم بالتحضير لهذا العيد كما يجب، باستثناء شراء الهدايا، والتي يتعين عليها أن تقوم بتغليفها. لم تكن لديها شجرة عيد الميلاد، ولم تشتتر المشروبات والحلوى الخاصة بالعيد. بدا منزلها كما هو في أي يوم عادي من أيام الأسبوع، الأرائك الجلدية، وطاولة القهوة الزجاجية، والأرضية الخالية من الفوضى. لا يوجد في غرفة المعيشة حتى صورة لعائلتها، لأجل أن تضيف الخصوصية على المكان. قال باتريك إن إطارات الصور التي بحوزتها أصبحت قديمة جدًا وبحاجة إلى تغيير. الآن، أدركت كم كان مخطئًا. لا يمكنك خلق بيت فقط بالمفروشات؛ عليك أن تملأه بالحب والراحة، فلا تدع الفتور يتسلل إلى زواياه.

الآن، هي وحيدة. كل ما تملكه هو عملها، وشقة خالية لتعود إليها، ولكن حتى هذا معرض للخطر.

منذ الصباح، كانت الأجواء في العمل ثقيلة، مشحونة بكلام غير مصرح به. يبدو أن الجميع يتجنبها. كلما حاولت أليكس التحدث إلى فيونا، كانت تجدها منشغلة. كان ناثن يكاد لا يتحدث إليها، إلا إذا تعلق الأمر بمريض. الجميع حذرون منها. الأمور تسير من سيئ إلى أسوأ. ربما تفكر رئيستها بالدعوة إلى اجتماع آخر، ولكن هذه المرة سيكون اجتماعاً رسمياً. لا ينبغي لها أن تذكر ما الذي فعلته مع كارولين. عليها أن تحتفظ بمستشارتها الخاصة. لكن في الآونة الأخيرة، بدت كل أفعالها متهورة، وهي في نظر الآخرين غير معقولة. ربما لم يكن لحادث كارولين علاقة بما يحدث لها، والآن، أصبحت في نظر رئيستها وكأنها معتوهة أكثر.

فتحت الصندوق، فوجدت لوحة مؤطرة ومغلقة بنايلون فيه فقاعات الهواء. تلمست زجاج اللوحة وألوانها من تحت الغلاف البلاستيكي. أرسل معها وصفاً للصورة من قبل المعرض، ولكن لم تجد أي تنويه عن المرسل. أخرجت اللوحة فوجدتها عبارة عن صورة لامرأة عارية مستلقية على سرير، الجدار الذي خلفها أزرق لامع أقرب إلى شاطئ بحر. ووجه المرأة غير ظاهر تماماً، متوارٍ خلف ذراعها الممدودة في وضعية تراجع. أحببتها أليكس وخفمت من يكون الشخص الذي أرسلها. فتحت بريدها الإلكتروني بسرعة، وجدت فيه تهنئة من ماغي بمناسبة عيد الميلاد. على أن صديقتها لم تكن قد وقّعت الرسالة المدروسة باسمها، لكنها حذرت أنها هي من أرسلتها: "أتمنى أن تعجبك. على أنني أقدّر الإصدارات

الأخرى من هذه اللوحة، أظن أن لوحة الفنان إيوان يوغلو، خير من تُقدّم السيدة الجميلة إلى العصر الحديث. تذكّري يا أليكس أن ليس كل الرجال أوغاد".

ذهشت أليكس من رقة ماغي ومن كرمها. لقد غمرتها بالعاطفة... إذا كان هناك شخص ما يحبها، فهي ليست وحيدة بعد الآن.

قُرع باب منزلها بينما كانت تلبس معطفها، توقعت أن يكون الطارق جارها ليتأكد من أنها قد أخذت الطرد. فتحت الباب، فوجدت ناثن بيل واقفاً وبيده زجاجة نبيذ ملفوفة بمنديل. بلغة صامتة، أراد أن يبلغها: "هدية صغيرة في عيد الميلاد". كان محرّجاً كما لو أنه غير متأكد من أنه مرحّب به.

استغربت من مجيئه ومن كيفية معرفة مكان إقامتها، وقالت: "تفضل".

قال: "حصلت على عنوانك من فيونا، قالت لي بأنك لن تمنعني زيارتي لك".

قالت: "أنا... كلا. كيف حالها؟ بدت اليوم مشغولة جدًا، فلم نتحدّث إلي في العمل".

قال: "أعتقد أنها قلقة عليك قليلاً. ظننت أنها ستراك بعد العمل. قالت إنها سوف تكلمك".

قالت أليكس في حيرة: "لم تطلب مني. لكن كما أسلفت، لم نتحدّث في العمل. من المحتمل أن تكون قد أرسلت رسائل نصية على الهاتف، وتعتقد الآن أنني أتجاهلها. اللعنة، لحظة، سوف ألقى نظرة. لكن

يسعدني أنها أعطتك عنواني. أنا سعيدة برؤيتك".
ارته غرفة الجلوس، وهي متأكدة من أنه سوف
يدقق في جميع تفاصيل الغرفة.

قال: "ليس هذا ما توقعته".

"ماذا كنت تتوقع؟".

أجاب بأسلوبه الفظ والمعتاد: "توقعت شيئاً أكثر
حميمية... شيئاً مختلفاً...".

لم تجادله في الأمر، لأنها تعلم أنه على حق. كان
باتريك هو من اختار تصميم المنزل وليست هي.

"سأقوم بتغييره قريباً، سأجعله أكثر حميمية".

"جيد... فهذه الغرفة لا تناسبك".

ساد جوٌّ من الحرج والارتباك، وطال الصمت بينهما.
رأت بأنها إذا لم تكسر الجليد وتقول شيئاً مفيداً
فمن الممكن أن يغادر.

"هل ترغب في بعض الشراب؟".

سلمها الزجاجاة وقال: "إذا كنتِ وحدكِ، وإذا كنتِ
قادرة".

فهمت أنه يسألها إن كانت قادرة على تناول
الشراب دون أن يؤدي ذلك إلى تبعات. لم تعرف بما
تجيب، لأنها لم تختبر نفسها منذ مدة. لكنها شعرت
بما يكفي من الأمان بمشاركته في أن تجزّب.

"إننا نقترّب من عيد الميلاد، وأودّ أن أشرب
مشروباً مع صديق".

خلع عنه معطفه الأسود، حيث كان يرتدي قميصاً

رمادياً داكناً، وسروالاً أسود اللون، وربطة عنق فضية. بدا ذا ذوق رفيع.

قال: "ساكون ممتناً لك إن جلبت فتاحة الزجاجات".

بخطوات خفيفة، ذهبت وأحضرت بسرعة النظارات ولولب سحب الفلين من المطبخ، توقفت في طريقها، للتحقق من مظهرها في المرآة المعلقة في الردهة. كان وجهها محمراً، تحيط به خصلات متعرجة من شعرها المصفوف بتسريحة ذيل الحصان. لكنها على الأقل كانت نظيفة ورائحتها منعشة. نزعت معطفها وكذلك بلوزتها، اكتفت بالبقاء في بلوزة تي شيرت وسروالها الجينز.

كان يتأمل اللوحة عندما عادت.

سأل: "هل هي هدية؟".

"نعم. إنها زوجة بوتيفار، إنها جميلة، أليس كذلك؟".

تمعن ناثن في اللوحة أكثر، وقال: "تبدو، بالنسبة لي، يائسة قليلاً، كونها تمسك بملابسه بهذا الشكل". أوضحت أليكس قائلة: "إنها تريد أن تؤكد له بأنها تريده".

كان على أليكس أن تبحث في تاريخ زوجة بوتيفار، دون أن تملك معرفة حقيقية عن اللوحة.

"هل هي هدية من حبيبك؟".

"ليس لدي حبيب. ليس بعد الآن".

رفع حاجبه عند قولها ذلك: "إذن فقد انتهت العلاقة... سألت نفسي بعد الحفلة، في تلك الليلة...".

أخذت رشفةً من النبيذ الأحمر الذي أحضره ناثن، وأحسّت بأنّ عليها أن تقول شيئاً. فقالت: "لم طلبت منك الخروج معي، إذا لم تكن قد انتهت".

قال مباشرة: "أنا أسف... كان عليّ أن أوضح... إنّه صعب... أنا...".

ولكي تتجنّب سماع سبب رفضه لها، والشعور بالخرج من جديد، قاطعته بسرعة وأنهت عنه الكلام: "لديك حبيبة؟".

"كلا!". ثمّ أضاف: "هذا ما يصعب شرحه".

كان ينظر إلى كلّ شيءٍ في أرجاء الغرفة ما عداها، فهمت أنه هو من أخرج. حتى عندما اقتربت منه أكثر، تجنّب النظر إليها، إلى أن وصلت إلى ملامسته، وأخيراً أدار نظره إليها. كان في أعماقهما حاجة ماسة إلى حدّ مزوع.

قال: "لم يسبق أن كانت لديّ صديقة. لم تطلب مني فتاة الخروج في موعد من قبل. عندما كنت في السادسة عشرة من عمري، أعجبت بفتاة، وتصوّرت أنّ الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تتحدّث بها معي هي وجودي ضمن مجموعة فتيان آخرين. لذلك استهدفت مجموعة من الفتيان أقلّ ذكاءً مني، ولمحت لهم أنني أستطيع مساعدتهم في واجباتهم المنزلية. سرعان ما أصبحت واحداً من المجموعة، وسرعان ما أتيح لي التحدّث إليها".

توقّف قليلاً وهو يستحضر تلك الذكرى، ثم قال: "لم أصدّق. لقد وافقت على الخروج معي. كان أول موعد لنا في الحديقة، مساءً، حيث يكون المكان خالياً من الناس. جلسنا على الأرجوحة متشابكي الأيدي ساعات. أما الموعد الثاني، فقد كان على حائط في الزقاق، ليس بعيداً عن منزلها. ومرة أخرى جلسنا لساعات نتبادل الأحاديث".

ابتسم، وفي عينيه القليل من الفكاهة. تابع: "أنتِ تنتظرين خاتمة القصة، أليس كذلك؟ كان موعدنا في سربرها. لقد تعرينا من ملابسنا، حيث كنا مستلقيين بعضنا بجانب بعض. ولم نكن قد قبلنا بعضنا بعد، وأنا أتحرّق لذلك. فجأة، قلبت على وجهها وقالت لي بأنه بإمكانني أن أفعلها، لأنها لا تستطيع أن تنظر إلى وجهي. بعد أن انتهى الأمر شعرت بالاشمئزاز من نفسي، وبسرعة ارتديت ملابسني وهرعت. كانت هناك مجموعة من الصبيان جالسين على جدار الزقاق في نهاية الشارع، سألوني عما كنتُ أفعل، وطبعاً قلت بأنني لم أفعل شيئاً. لكنهم ضحكوا وسخروا مني قائلين إنهم لا يصدّقونني، وأنهم يعرفون تماماً ما كنتُ أقوم به لأنهم دفعوا ثمنه. المفارقة هي أنهم عدّوا أنفسهم أصدقاء حقيقيين، ولما عرفوا أنني معجبٌ بها، دفعوا لها مقابل ممارسة الجنس معي".

مدّت يدها إلى التشوّه الذي على خذّه، أمسكت به بلطف، ثم أدارت رأسه.

قال بصوت مثقل بالعواطف: "لا تُظهري شفقةً عليّ

يا أليكس، إن هذا فوق تحملي".

وضعت كأس النبيذ، ثم وضعت يدها الأخرى على خده الآخر، وأدارت وجهه نحوها حتى لا ينظر بعيدًا، وقالت: "أنا لا أشعر بالشفقة عليك. أنا أشعر بالشفقة على نفسي. أريدك... ولا يبدو أنك تريدني". تأملها عدة ثوانٍ، حاول تأمل عينيها ليرى صدق ما تقوله. ثم ومع تأوُّه، جزَّها من ذراعيها إلى الداخل. لم تكن قبلاته الأولى بطيئة، بينما أحاطها بذراعيه بثقة. ربما لم يحظ بفتاة من قبل، لكنه لم يظهر ذلك في أدائه وهو يستكشف شفثيها وفمها بنهم. ضغط بيديه القويتين عليها ليقربها إليه.

شعرت بضغط جسده عليها، لم يكن نحيفًا كما بدا لها، بل كان نامي العضلات، ومتناسقًا. كانت ترتعش بشدة، ولولا ذراعاها اللتان تسندانها، لما بقيت واقفة على قدميها.

همس بشراهة، وهو ينظر في عينيها بشغف: "هل تسمحين لي بممارسة الحب معك؟".

لم تستطع الكلام، بقي الكلام وراءها. أجابته بقبلة. حملها بين ذراعيه الأمتين إلى سريرها، وبرقة لا تصدق، مارس ناثن بيل الحب لأول مرة في حياته. وقفت عند نافذة غرفة نومها، تأملت شعره الغامق والتموج الرائع فيه. وبشرته الناعمة، الخالية من الشوائب. كان يغط في نوم عميق منذ عدة ساعات، ولم تستغرب ذلك، فالجهد العاطفي الذي بذله قد أنهكه. لقد انتهى الأمر في غضون ثوانٍ. هي من

شجعته على أن يبلغ ذروة النشوة سريعًا، وهي تعلم أنه سيتعلم التحكم بنفسه، وسيكون أفضل في المرة الثانية. وفعلاً هذا ما كان. سعت لأن تعطيه المتعة بقدر ما يرضيها.

تحرك وأدرك أنها ليست بجانبه في السرير. رفع رأسه وكتفيه عن الوسادة وهو يبحث عنها، كانت عيناه تفيضان إثارة، عندما وقع نظره عليها، جعلها تشعر بالدوار.

همس: "عودي إلى السرير".

أحست برائحتها العفنة، وبنجس الجنس. فارتأت أن تغتسل، قالت له: "دعني أستحم أولاً".

هز رأسه رافضاً: "كلا، سوف تغسلين رائحتك الجميلة، وأنا تعرّفث عليها بشق الأنفس".

بعدها شعرت بالإثارة تغزوها، اجتاح الثقل فحذيها، فعادت ببطء إلى السرير.

الفصل السادس والثلاثون

"آثار الإطارات التي وجدت على سترة ليليان أرمسترونغ هي لإطارات من ماركة بيرللي 250/45 آر 17. ولكن كما قلت، فإن آلاف السيارات لها هذا النوع من الإطارات. من المحتمل أن كثيرًا من السيارات التي في موقف السيارات هذا مزودة بهذه الإطارات، كما يوجد بالتأكيد ما يكفي من السيارات الرياضية المركونة هناك."

نظر غريغ إلى بيتر سبنسر، كان بحاجة لسماع ما قاله الرجل في وقت سابق. سأل: "ولكن هل الإطارات تناسب سيارة ميني؟"

قال: "أجل، ها هو التقرير الذي تلقيته."

رفع ورقة وبدأ يقرأها: "بيرللي 250/45 آر 17. إنها...".

قالها غريغ، مكزرا كلام بيتر، وكأنه يؤكد الحقيقة في عقله: "وهذا الإطار هو الذي طبع أثره على سترة ليليان أرمسترونغ؟"

"أجل."

لم يتوقف غريغ عن التفكير. تزداد احتمالات أن تكون سيارة أليكس تايلور هي التي داست المرأة.

قال: "إذن، فلنبدأ بالتحقق مع سكان المبنى أولاً."

أشار بيتر سبنسر برأسه، لكن تعبيره كان يحمل الشك. قال: "ألا ترى أننا يجب أن نبدأ بسيارة الدكتورة تايلور؟ على الأقل لكي يتم استبعادها؟"

"إذن، أنت من أنصار نظرية المحققة بيست؟ وتظن أن الدكتورة تايلور ساعدت المرأة لكي تبعد الشبهة عن نفسها؟".

"أنا لسث من أنصار نظرية أي شخص. لم نثبت بعد أن الإطار يخض سيارتها. حتى أنني لم أر إطارات سيارتها بعد. ربما كانت من نوع بيرللي، وربما لا. إذا كانت فعلاً من ذات النوع، سألجأ للبحث عن الأسفلت اللزج. فهذا ما جعل الآثار واضحة جدًا. مع أن الوقت فات على هذا الإجراء، لأن الطبيبة قامت بغسل سيارتها. حقًا، إننا نحتاج إلى إلقاء نظرة عليها وإخراجها من الإطار. أو... سأقدم لك الحقائق يا غريغ".

ألقى غريغ نظرة من حوله، ثم نظر إلى قسم التحقيقات الجنائية، لاحظ أن المكان لا يزال مشغولا حتى الساعة السابعة صباحا. كان الضباط يجلسون إلى مكاتبهم، يتحققون من المعلومات على أجهزة الكمبيوتر الخاصة بهم، أو يعدون مذكرات ورقية من أجل اجتماع الصباح. كان مكتب لورا بيست لا يزال فارغًا، مما يمنحه بعض الدقائق. كانت متأخرة، وهو أمر لم يسبق أن حصل من قبل.

أوما غريغ بتقدير: "شكرًا يا بيتر. حافظ عليها، نحن بحاجة إلى معرفة المكان الذي يوجد عليه أسفلت لزج. في هذه الأثناء، دعنا نتكفل بمعرفة المعلومات عن الإطارات. لورا بيست عازمة على توريط الدكتورة، وأنا لا أريد أي اعتقالات خاطئة. لا سيما مع طبيبة. سنكون مادة لوسائل الإعلام فيما

لو أخطأنا".

أجاب بيتر: "القرار يعود لك. سأفعل ما تريد".

استدار لكي يغادر، ثم توقف وقال: "لا يزال الأمر غير منطقي بالنسبة لي. لماذا داست الدكتوراة تايلور المرأة، ثم أخبرتك عن آثار الإطارات على سترتها. يبدو الأمر غريبًا بعض الشيء".

قال غريغ: "هذا بالضبط ما أفكر فيه. لهذا السبب نحتاج إلى التحقق من الأدلة أولاً".

"هل تظن أنه يمكن أن يكون أحدهم قد استخدم سيارتها أثناء تسوقها؟".

تجاهل غريغ فرضيته، إذ لم يكن لديه جواب.

"إذا كانت ليليان أرمسترونغ قد وضعت في سيارة الدكتوراة تايلور، فسيكون هناك دليل".

أجاب غريغ: "أنا أعني ذلك... وحقيقة ما زلنا لا نملك إجابات". تنهد بشدة ثم قال: "افعلها يا بيتر، ولكن بسرية. تحقق من إطارات سيارتها، ثم سنرى".

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل السابع والثلاثون

دفعت ماريّا أسيف الباب بمرفقها، حذرة لكي لا تسقط صينية الأدوات المتسخة التي تحملها. كانت هذه آخر صينية أدوات أحضرتها إلى الغرفة. كدستها جميعًا فوق الطاولة حتى تتمكن من إجراء فحص سريع آخر، وتناكد من عدم وجود إبر وشفرات بينها قبل إرسالها إلى التعقيم.

كانت ليلة حافلة، وإحدى ليالي الفشل، خاصة الساعات القليلة الماضية منها. لا تزال جثة شابٍ ملقاة على إحدى طاولات العمليات، في انتظار أن ينقلها الحقالون إلى المشرحة. كان شابًا في التاسعة عشرة من عمره، لكنه بدأ أصغر سنًا. جيء به إلى قسم الطوارئ بعد حادث تعرّض له على دراجته النارية، نتيجة السرعة الزائدة، مما أدى إلى كسر كل عظم في جسمه، تقريبًا.

ما كان بالإمكان فعل الكثير له، ومحاولة وقف النزيف من الشرايين المقطوعة والأعضاء التالفة والعظام المكسورة، ليس أكثر من إجراء شكلي. كان رأيها أن يترك الشاب ليموت محاذًا بأسرته، بدلًا من موته في غرفة العمليات الباردة والمعقدة، حيث تحيط به دزينة من المهنيين الذين سعوا بشدة لمساعدته، لكن من الواضح أنهم لم يتمكنوا من ذلك.

صلّت ماريّا أسيف لأجل الشاب. وقفت مع والديه عندما عانقاه وقبلاه وهما يبكيان. كان ذلك قبل عيد الميلاد بيومين. لقد مات طفلهما، ولا توجد كلمات

يمكن أن تواسيهما. ليس لدى ماريا ما تقوله لتخفف من هول مصيبتهما. أرادت أن تذهب الآن إلى أطفالها في بيتها. بها رغبة الآن أن تقبل ابنها الأكبر، وأن تضم طفليها الصغيرين لبقية اليوم.

تجعلها هكذا لحظات تكره وظيفتها. انهمرت الدموع على خديها وهي تقوم بتفحص جميع الأدوات التي استخدمت على جسد الصبي الميت. هذا أمر غير عادل. الموت المفاجئ لصغار السن هو شيء غير عادل. لا تعليق على ما حدث، سوى القول: "ماذا لو...". بسرعة، مسحت دموعها بكم مريولها الطبي.

وبالانتقال إلى المصعد المخصص لنقل الأدوات الطبية، رأت دماً على الجدار، تحت المصعد. لا بد أنه تسرب من المصعد، ونزل على الجدار. دائماً ما يتم تذكير العاملين بأهمية الاهتمام بالنظافة، وخطورة الإصابة بالعدوى العرضية، من انتشار بكتيريا المكورات العنقودية، والتي تجتاح معظم المستشفيات في حال الخروج عن السيطرة. ومع ذلك تم تجاهل تنظيف شيء هين مثل الفوضى التي خلفتها الأدوات الملوثة بالدماء. من الواضح أن شخصاً ما قد وضع صينية من أدوات التنقيط في المصعد دون لفها أولاً. ستبلغ عن هذا في اجتماع الموظفين؛ لأن الفوضى التي تركت هي من أمس، وليس أثناء الليل.

كانت غاضبة من حالة المصعد الملوث بالدماء، الذي سيضطرها للتأخر عن الذهاب إلى عائلتها.

رفعت الباب الخارجي لكي ترسل الأدوات إلى وحدة التعقيم، وتعود لطلب المصعد إلى الأعلى مرة أخرى، ثم تقوم بتنظيفه. أمسكت الباب الداخلي، وفتحته، فوجدت أن الدماء لم تكن قد تسربت من الأدوات، إنما من جسد ملتف على نفسه، بملابس مشبعة بالدماء.

وصلت صرخات ماريا أسيف إلى زملائها وهي تترك الحجرة مسرعة نحو الممر، حيث تقيأت.

نظر غريغ إلى ساعته مرة أخرى. كان قلقًا، فقد كاد الاجتماع الصباحي ينتهي ولم تظهر لورا حتى الآن. اتصل بها على هاتفها المحمول، وحاول الاتصال بمنزلها عدة مرات، لكنها لم ترد. وهذا ليس من عاداتها. صحيح أنه يكره هذه المرأة، إلا أنه في النهاية، مسؤول عنها.

جميع ضباط الشرطة مستهدفون، لذلك جميعهم يدركون أهمية البقاء على التواصل. وهم يعلمون أنهم في أي لحظة من حياتهم قد يجدون أنفسهم في مواجهة الخطر. سواء بسبب انتقام الأشخاص الذين يعدون أن الشرطة قد أساءت إليهم، أو بسبب محاصرة الجناة المحاولين الفرار من قبضتهم، كل هؤلاء يشكلون خطرًا محتملًا على رجال الشرطة.

أرسل غريغ شرطيًا إلى منزلها، لكن يبدو أنها ليست موجودة في البيت. مجرد أن ينتهي الاجتماع الصباحي، سوف يطلب الاتصال بها مرة أخرى، وإن لزم الأمر، سيطلب من البواب السماح لهم بدخول منزلها.

انتبه غريغ إلى مورغان وهو يتفحص هاتفه المحمول من جديد، غضب من فظاظة تصرف الشرطي الشاب. مشى غريغ من خلف كرسيه، متخذًا أسلوب المعلم، انتزع الهاتف المحمول من يديه. وقال: "يجب عليك أن تكون منتبهًا عند وجودك في هذه الغرفة يا مورغان. لا يجوز أن تتفقد حياتك العاطفية. يمكنك استعادته في نهاية الجلسة".

احمز الضابط طويل القامة والمتدرب الجديد فقال: "أسف يا سيدي. كنت فقط أتحقق من مكان وجود المحققة لورا بيست".

نظر إليه غريغ باهتمام من جديد. تساءل في نفسه عما إذا كانت لورا قد وجدت حبيبًا جديدًا.

كان يأمل ذلك، حقًا أنه يتمنى ذلك. أراد أن تحل لورا بيست عن ملاحظته قبل انتهاء العام.

"ولماذا تفعل ذلك؟".

"أنا قلق من غيابها يا سيدي".

قال غريغ مفسرًا: "أعني... لماذا أنت؟ لماذا تكلف نفسك بالبحث عن مكان وجودها".

"لأنني... كنت في موعد معها مؤخرًا".

ابتسم غريغ: "موعد... كما في...".

أوما مورغان برأسه مؤكداً.

"وهل لديك أي أخبار عنها اليوم؟".

"ظننت أنها، بعد الانتهاء من اجتماعها قد تتصل

بي".

فُتح باب غرفة الاجتماعات، ودخلت ضابطة الدعم المدني، ستيللا كاترايت.

قالت: "اعتذر عن المقاطعة يا غريغ. تلقينا للتو خبرًا من طوارئ المستشفى 999. لديهم جثة، وهي ليست لشخص مات في السرير".

تشنج دينيس مورغان لاهثًا، وبسرعة التفت إليه غريغ، وقال: "ما الأمر يا دينيس؟".

اصفرَ وجهه الوسيم، وغارت عيناه، وقال: "كان لدى لورا موعدٌ في المستشفى. هذا هو المكان الذي ذهبت إليه".

لم تكن لورا في مزاجٍ جيد. فهي متأخرة عن العمل، وهذا بحد ذاته يعدُّ خطيئةً بالنسبة لها.

كما أن هاتفها المحمول كان قد سقط في الحمام، هذا الصباح، والشخص الذي كان عليها مقابلته الليلة الماضية، أخلف بوعده. طفح الكيل. لقد أهدرت من وقتها أمسية كاملة وجزءًا من صباحها.

كانت واقفة في قسم الطوارئ تحاول التحدّث إلى المنسّق، وتحاول الحصول على تفسيرٍ دون أن يقاطعها الهاتف بشكل متواصل. توقعت أن عدم حضورها الليلة الماضية إلى الموعد، يعني أنها لم تأتِ إلى العمل أيضًا. إنها تحتاج إلى رقم هاتفها المحمول من جديد؛ لأنها لم تتمكن من الحصول عليه من هاتفها الخاص، سوف تتصل لترتيب موعد آخر بسرعة.

عندما أنهى الموظف المسؤول مكالمته، حاولت لورا أن تكلمه مرة أخرى.

ابتسم بأسف: "اعتذر، هذا هو الحال دائمًا في الصباح. فقط أعطني ثانية واحدة، وسأجلب الرقم".

سحب مجلدًا أحمر اللون، ثم رفع حاجبيه في حالة استسلام وشهق بصوت عالٍ، ثم ذهب صوته. لقد كان قد ضغط لوح أرقام الهاتف على رقم، ورات لورا الصدمة على وجهه عندما تحدّث إلى المتصل به. كانت على وشك الابتعاد عندما سمعته يذكر الشرطة التي يتم استدعاؤها. كان وجهه أبيض عندما انتهت المكالمة، سألته مرتين عما حدث.

كانت عيناه تومضان حين استطاع أن ينطق: "غرفة العمليات... في غرفة العمليات الرئيسية. عليك الصعود إلى هناك".

على عجل، مرّت بين حشود المندفعين نحو غرفة العمليات، وعندما وصلت إلى الباب مُنعت من الدخول، فأظهرت للممرض الواقف على الباب بطاقة لتعلمه بأنها ضابطة شرطة.

كان الأطباء والممرضات قد اجتمعوا في الممرّ الطويل، بلباسهم الطبي، والصدمة على وجوههم، وامرأة آسيوية تبكي بشكل هستيري. على الأرض خارج الباب، يوجد قيء. فهمت لورا أن شيئًا خطيرًا قد حدث. رجل باللباس الطبي يهدئ المرأة الآسيوية، وإلى جانبها امرأة ثانية، الشخص الوحيد الذي يتحكّم عن بُعد، كانت امرأة تقف بجانبها بهدوء.

اقتربت منها لورا، وقالت: "اسمي لورا بيست، أنا من المباحث الجنائية. هل يمكنك أن تخبريني ما الذي حدث؟".

أرادت المرأة أن تصافح، لكن سرعان ما انتبهت إلى أنها ترتدي قفازًا طبيًا، نزعتة وتركته جانبًا، ثم قالت: "أنا ساندي بيلي... كبيرة ممرضات غرفة العمليات. الوضع هنا سيئ للغاية. عثرت إحدى الممرضات على جثة".

سألت مشيرة إلى الباب المفتوح بجانب حوض القيء: "في تلك الغرفة؟".

أومأت الممرضة برأسها: "أجل. حيث نرسل أدواتنا للتعقيم، ونجمع مجموعاتنا الجديدة، إنها أصيب بصدمة رهيبية عندما دخلت إلى هناك".

أخبرت لورا المرأة بعدم السماح لأحد بمغادرة القسم، أو السماح لأي شخص بالدخول، إلا إذا كان من الشرطة. ثم سألتها إن كان لديها زوج من أغطية الأحذية البلاستيكية. لأنها ربما تدخل مسرح الجريمة.

قالت الممرضة: "لم نعد نستخدمها. كلنا ننتعل أحذية طبية".

حدّرت الممرضة قائلة: "من فضلك، لا تدخل أي شخص إلى هنا".

نزعت معطفها، ووضعت مع حقيبته يدها على الأرض، بعيدًا عن القيء، عند جدار الممر.

كانت الفكرة الأولى التي راودتها هي أن الغرفة

صغيرة ولا تبدو كمنطقة تعقيم. والثانية هي أنه لا توجد جثة على الأرض. تحوّلت بصبر نافد إلى الممرضة التي رأت على الجانب الأيسر من الغرفة فتحة في الجدار، وفي داخلها امرأة مكورة، تظهر ركبتيها، وفخذاها مرفوعان إلى صدرها. تم سحق ذراعها في حضنها، وشعرها الغامق متدلّ، يخفي وجهها.

رفعت لورا، بوساطة قلم تناولته من جيب قميصها، الشعر إلى الأعلى، واكتشفت سبب تخلفها عن الموعد.

لم تتمكّن فيونا وودز من الحضور؛ لأنها كانت مَيّنة.

الفصل الثامن والثلاثون

بدأت البهجة والفضول على وجه ماغي وهي تدعو زائرتها السعيدة جدًا، إلى داخل المنزل. كانت أليكس متوهجة، مفعمة بالحيوية، مما جعلها تستطيع بصعوبة الثبات والتكلم ببطء. شكرت صديقتها على دعوتها للدخول، وكذلك على اللوحة الجميلة. وأظهرت حماسها تجاه هذا اليوم الرائع.

ارتفع حاجبا ماغي في استغراب، بينما كان الجوّ في الخارج عاصفًا، ويهطل المطر بغزارة. أخيرًا، تمكنت من حشر سؤالها عن سبب سعادة صديقتها الجديدة.

احمر وجه أليكس واغرورقت عيناها بدموع الفرح، قالت: "ناتان. لقد جاء لرؤيتي ليلة أمس".

"ناتان بيل من قسم الإسعاف؟".

قالت أليكس: "نعم. حقًا إنه رائع".

قالت ماغي بجفاء: "أفهم من ذلك أنه نام عندك".

تغيرت ملامح وجه أليكس خجلًا، ولكن شفتيها ارتعشتا ببهجة.

قالت ماغي وهي تتوجه إلى غرفة الجلوس الأنيقة: "حسنًا. من المؤكد أنه سريع في الإيقاع بالفتيات".

ردت أليكس مدافعة عنه: "ولكنه ليس كذلك. إنه خجول ومنطو على نفسه، ويذهله أن تُعجب امرأة به. إنه رائع يا ماغي، وهو لا يعلم ذلك".

"لولا أن الوقت مبكّر، لقلت إن هذا يستدعي الاحتفال، ولكن...". هنا تنهدت، ثم أكملت: "أنا وأنت، لدينا عمل آخر علينا القيام به. هذا إن كنت ما زلت تريد ذلك".

خفت سعادة أليكس قليلاً. لأول مرة، كان كل شيء، بالنسبة لها، على ما يرام. وفكرة ما يجب عليها فعله ملأتها بالخوف. بإمكانها أن تتراجع وتتجاهل الأمر، وتستمر في حياتها كما هي الآن، متناسية الماضي، ومتقبلة فكرة أن هجوم ذلك الرجل المختل عقلياً في تلك الليلة الفظيعة من وحي خيالها. وهذا ما قاله لها ريتشارد سيكيرت أيضاً، حينما أخبرها بأنها تستطيع مواجهة الرجل الذي اعتدى عليها، في السنة الماضية، في وقت لاحق.

كان بإمكانها تجاهل ضميرها، وإقناع نفسها بأنه لن يتهجم على أي امرأة أخرى ويعرض حياتها للخطر. بإمكانها أن تجعله ينجو بفعلة.

عندما حصل الأمر، لم تكن تستطيع مشاهدة التلفاز، خشية من أن تشاهده على الشاشة، ثم بدأت مخاوفها تقل بشكل تدريجي، وهدأت كفاية إلى الحد الذي صارت تجرؤ على مشاهدة بعض برامج الدراما دون أن تتفقد القصة أو طاقم الممثلين. لحسن الحظ، إنها لم تضطر لرؤية وجهه وهو يحدق بوساطة الشاشة. وقد تساءلت إن كان قد ذهب إلى هوليوود، أم انتقل إلى المسرح عوضاً عن ذلك. أملت ألا يكون ذلك صحيحاً. أملت أن يكون سبب

عدم ظهوره في التلفزيون، هو خسارته لعمله، وأن نجمه بدأ بالأفول. فكرة أن تلاحقه عمداً أو تبحث عنه في الإنترنت كانت تصيبها بالغبثيان.

ما زال يرهبها ويتحكم بحياتها. هذه كانت معضلتها.

"هلاً ساعدتني؟".

اومات ماغي برأسها بحزم: "تعلمين أنني مستعدة".

كانت أليكس ترتجف. قالت: "لا أستطيع الاتصال به يا ماغي، أريدك أن تحلّي المشكلة. سوف أقابله ولكنني لا أستطيع القيام بالترتيبات".

تقدّمت ماغي وحضنتها: "سوف أفعل ذلك ولكن تذكّري. سوف نفعل هذا معاً".

قالت ماغي وهي تدخل المطبخ ملوّحة بأوراق في يدها: "كان ذلك سهلاً. لقد بحثت عنه على محرك البحث غوغل. وتحديث إلى مدير أعماله هاتفياً للتو".

تابعت أليكس دهن الزبدة على الخبز المحمص، وحزكت البيض المخفوق، وملات إبريق الشاي بالماء. لم تطرح أي أسئلة.

سألها ماغي: "هل سمعتني؟".

اومات أليكس برأسها.

لقد قام بأدوار صغيرة في هولبي سيتي، وكاجوالتي، ولويس، والان يتهباً للعب دور في دراما تاريخية. خمنى أين ستدور أحداث الدراما يا

اليكس؟".

أجابت وهي تضع الملعقة الخشبية وتلفت إلى ماغي: "إنه في باث، أليس كذلك؟".

قالت ماغي: "حاليًا هو هنا. أعطاني مدير أعماله رقم هاتفه، وسوف أقوم بالاتصال به لكي أحدد موعدًا للقائه هذا المساء".

"قد يرفض مقابلي".

قالت ماغي بحزم: "سوف يفعل. لن أترك له خيارًا". أصاب منظر الطعام ورائحته أليكس بالغثيان، فابتعدت عن الموقد. فركت يديها بقلق ثم ثنت ذراعيها، قائلة: "أنا لست مستعدة، لا أعرف ما سأقوله".

"قومي بتمثيل الدور يا أليكس. سيطري على الوضع. تذكري كل ما حدث -الاختطاف، التهديد بالاغتصاب، التهديد بالقتل - تذكري كل ما فعله بك في السنة الماضية. هذه فرصتك لتواجهي كلتا الحالتين. واجهيه يا أليكس. لا تدعي هذا الرجل يسيطر على حياتك مدة أطول. ضعي نفسك في موقف السيارات ذاك. ارتدي الملابس نفسها التي ارتديتها تلك الليلة. حدّقي في عينيه وسوف تدركين بسرعة أنه كابوسك الحقيقي، وما حدث في موقف السيارات منذ عدة أسابيع حدث في مخيلتك بسبب ما فعله بك. لقد جعلك ضعيفة يا أليكس، جعلك خائفة.

ابتسمت أليكس وعيناها تدمعان: "المشكلة

الوحيدة هي أن الثوب ليس بحوزتي. إنه بحوزة الشرطة. لم يعيدوه إليّ بعد. لدي ثوب آخر يشبهه. إنه الثوب الذي ارتديته عندما كنت وصيفة لأختي، ولكنه لا يزال في المغسلة. لسث متأكدة من مكان وجود إيصال الاستلام حتى. لم أرتده منذ زواج أختي؛ لأنني لا أطيق رؤيته".

توجهت ماغي نحوها وعانقتها قائلة: "سوف أعيده. لا عليك، لا تفكري في الأمر. اذهبي وتمددي على سريري، ونامي بقية اليوم. شاهدي التلفاز، أو أنهى الكلمات المتقاطعة التي كنت بدأت بها، أنا متوقفة عند 13 عمودي".

ابتسمت أليكس وهي تبدو أكثر تماسكًا هذه المرة. التقطت الصحيفة من طاولة المطبخ، ورأت أن أغلب الكلمات المتقاطعة كانت محلولة. قرأت الرقم 13.

(معكوس - تصبح أكثر غضبًا).

"إنه لفظ مقلوب، (معكوس) تصبح (أكثر غضبًا). هذا ما يجب أن أكون عليه. غاضبة. حينها لن أكون خائفة".

الفصل التاسع والثلاثون

تم إغلاق الغرف على الفور، وألغيت العمليات الجراحية. نُقل الموظفون إلى مكان آخر للاستجواب. مُنع دخول أي شخص إلى القسم عدا رجال الشرطة.

أجرى غريغ جولة دقيقة في المنطقة، وتحقق من وجود مخارج ومدخل أخرى في جناح العمليات. كان القاتل قد دخل من الباب نفسه الذي يدخل هو منه، فقتل فيونا وودز، ثم خرج بالطريقة نفسها. سرعان ما تفتت مصادرة لقطات كاميرات المراقبة لكي يتم فحصها. قام بإجراءات شاملة للتحقيق في جريمة القتل. تحدّث إلى كثير من الضباط، والتقى بكثير من كبار الموظفين وأطلعهم على المعلومات. وفوض صغار الموظفين. وكان طوال الوقت يعمل بحزن.

لم يتم العثور على الدكتورة تايلور، كما لم يعثر بيتر سبنسر على سيارتها. كانت الشرطة بقيادة لورا بيست تبحث عنها منذ الصباح. وقد تم استجواب زملائها وعائلتها في الحال. تلقى غريغ مكالمة من شرطي في قسم الطوارئ تفيد بوجود معلومات عن طبيب قضى الليل معها، يدعى ناثن بيل. تم التحقق من القصة، ومعرفة مكان شقتها بحثًا عن أي دليل يمكن أن يرشدهم إلى مكان وجودها الآن. انتشرت شائعات بأنها اختفت بعد أن قتلت صديقتها بوحشية؛ لأنها اكتشفت الاجتماع المخطط له بين لورا بيست والممرضة المهتة.

قالت لورا بأنها كانت على موعد للقاء فيونا وودز في المستشفى في الساعة السابعة من اليوم السابق، في مقصف الموظفين. لكن الممرضة لم تأت، وعندما سألت زملاءها عنها، قيل بأنها غادرت في وقت مبكر من المساء، ويفترض أن تعود صباح اليوم. كانت لورا واثقة من أن فيونا ستخبرها بشيء مهم عن الدكتورة تايلور، معلومات تتعلق بما حدث لها قبل عام.

كانت فيونا قد أخبرت لورا بأنها بدأت تقلق من سلوك الدكتورة أليكس. يوم أمس، أحضرت مستشارتهم، كارولين كاوان، إلى قسم الطوارئ بسبب حادث اصطدام تعرّضت له سيارتها. وحاولت أليكس إقناع كارولين بأن الشخص الذي كان يقود السيارة التي صدمت سيارتها من الخلف هو الشخص ذاته الذي اختطفها من موقف السيارات. وقد أبلغ السائق المعني، بالفعل عن الحادث مساء أمس، وكانت حجته الواهية لكي يغادر المشهد هي أنه كان لديه اجتماع.

حاز غريغ بتفكيره. لا شك أنه لا يعدها قاتلة حتى الآن. كان قلقًا عليها بشكل كبير. تلك المرأة الدافئة والمهتمة، التي تعرّف عليها منذ مدة وجيزة. إنه قلق على سلامتها.

لو أنها بالفعل متورّطة -تمنى من قلبه ألا تكون كذلك- فهل يمكن أن تفعل شيئًا غيبًا بنفسها؟

عندما عاد إلى مسرح الجريمة، كان يوجد في الغرفة، فقط، شرطيان آخران، هما: بيتر سبنسر،

ومصوّر الشرطة. وفيونا وودز لا تزال عالقة داخل المصعد؛ لأن الطبيب الشرعي لم يمنح الإذن بعد لنقل الجثة. كان في الممر يتحدث على هاتفه، وقد قام بإجراء كشف أولي، لكن الجثة لا تزال في موقعها. سيعود بعد قليل. طلب تصوير الجثة وتصوير كل جزء من الغرفة، وكذلك طلب تصويرها بالفيديو.

لم يتمّ تحديد سبب الوفاة بعد، لكن عندما رفع غريغ شعرها، وجد أن الموضع قد انغرز في عنقها. هو متأكد من أن كمية الدم الهائلة التي فقدتها هي بسبب قطع شريان رئيس. كانت فيونا في الثامنة والعشرين من عمرها، غير متزوجة ولا أطفال لديها. ممرضة موهوبة بشكل كبير، شخص ما قام بإنهاء حياتها.

اليوم الذي قضاه مع أليكس حاضر في ذهنه، ضحكتها، حين رفعها سيب موريسي من على الأرض وأرجحها حوله، لا تزال ترنّ في أذنه. تذكر لطفها وصبرها على جو وهو يصرخ وينزف بينما كانت تعتني به. تلك الابتسامة الغامضة على وجهها، حين دعتهما، هو وجو، إلى رحلة على الطائرة المروحية. هو معجب بأليكس. تمنى أن يتأكد من أنها بريئة.

أبطأت أليكس سرعتها وبدأت تمشي بتأني، نظرت إلى السحب السوداء في السماء، التي كانت ثقيلة ومنخفضة، وتشي بمزيد من المطر، والمراكب الراسية على طول النهر مغلقة، يستمتع أصحابها

في الداخل بالدفء. وتبدو الألوان الزاهية، الحمراء والزرقاء والخضراء، باهتة، خشب بعضها مبلل وإسفنجي. ثركت الدراجات والكراسي البلاستيكية والطاولات الصغيرة مهجورة على أسطح المراكب. وقد تم تغطية أسطح بعض المراكب بقطع من قماش عازل البني.

عادة، عندما تمارس رياضة المشي أو الجري، تشاهد كلتا أو اثنين في الخارج، بالفرو الخشن، واقفين على ظهر المراكب أو في حالة استرخاء، لكن اليوم يبدو أن أصحابهما أشفقوا عليهما من الطقس السيئ وأخذوهما إلى الداخل.

فتحت زجاجة الماء وأخذت رشفة طويلة، ثم نظرت إلى ساعتها لتعرف الوقت. لا يزال لديها أربع ساعات قبل أن تقابله. فقد تم تحديد زمان ومكان اللقاء، وليس عليها سوى الانتظار. رأت ان أفضل طريقة لقضاء الوقت هي الركض، فالرياضة تلهيها عن التفكير باللقاء القادم في المساء. لا جدوى، فتركيزها كان محصورًا في أمر واحد، كيف ستقابله، هل ستتحلى بالشجاعة لمواجهته؟

بلل العرق حزام سروالها القصير نتيجة الجري، وقد بدأت ترتجف بعد أن لفحها الهواء البارد.

كانت قد ركنت سيارتها في ويستون لوك في الضواحي الغربية لمدينة باث، وقطعت جربًا إلى قرية سالتفورد ثم عادت، أي أنها ركضت ما يعادل ثمانية أميال على طريق تظل الأشجار ضفتيه، فتحمي من شمس الصيف ومطر الشتاء. هي تعرف

هذا الطريق من قبل، فقد سبق لها أن استخدمته لرياضة الجري، عندما كانت تعيش في المستشفى. لم تكن تريد استخدام مضمار الجري القريب من منزلها، وإلا فستقاعس ولن تغادر المنزل. أثناء وقت قصير سوف تعود إلى منزل ماغي وتستعد لموعد المساء. كانت حريصة على عدم الاقتراب من منزلها حتى انتهاء المهمة. وحين تعود إليه في وقت لاحق من الليل، ستكون قد انتهت من معالجة الأمر، وحينها سيكون منزلها هو المكان الذي يحويها دون العودة للتفكير به. سوف تجد الشجاعة لمواجهته بطريقة أو بأخرى. وإذا اضطرت للاتصال بالشرطة للقبض عليه، فإنها ستفعل. تنوي أن تكون حياتها بعد الآن إيجابية لا وجود له فيها. حتى لو لم يصدقها أحد، ستشعر بالرضا لأنها بذلت قصارى جهدها في استجلاب هذا الرجل إلى لعدالة.

تفنت لو أنّ هاتفها المحمول معها، لم تعثر عليه هذا الصباح، لا بدّ أنها تركته في العمل. لديها رغبة لتسمع صوت ناثان. أرادت أن تخبره بأنها لن تتمكن من رؤيته هذه الليلة، وتأمل منه أن يتفهم ذلك. لقد مارسا الحب مرّة أخرى قبل ذهابه إلى العمل، إنّها لم تشعر قطّ بالحب كما شعرت به بين ذراعيه. عندما أخبرها بتجربته المؤلمة، رأت أليكس الحزن في عينيه، حينها عرفت أنّها ستحبّ وجهه دائماً. باعتقادها أنّ ناثان رجل يحبّ لجوهره، لا لما يبدو عليه في الظاهر.

سيزعجها إن ظنّ أنّها ترفضه بسبب عدم اتصالها

به.

ربما من الجيد أن هاتفها ليس معها، ولم تستطع الاتصال به. اليوم، كان عليها معالجة هذا الموقف القذر بنفسها، الذي لا تريد أن يقترب من حياتها الجديدة. ستخبر ناثن عنه في وقت لاحق، حين لا يكون هناك أي مجال لإفساد ما قد بدأ به معًا.

رَكَزَت تفكيرها عليه فقط، صوته، صورته، ولمسته، وبدأت السير مشيًا على الأقدام لمسافة نصف ميل، باتجاه سيارتها.

حدَّق غريغ في الرجل الطويل والنحيف، محاولاً تجنب التركيز على علامة الولادة التي تغطي الجانب الأيسر من وجهه. لقد كان جزءً من جبهته، وجفنه، وجانب من أنفه، وخرده، وزاوية فمه ملطَّحًا بلونٍ بنفسجي غامق. هذا هو الرجل الذي نام مع أليكس ليلة أمس. وليس حبيبها. لأنَّ لورا كانت قد أخذت إفادة رجل يدعى باتريك فورد.

كان ناثن بيل رجلًا استثنائيًا، يتميز بالتواضع والوقار في أسلوب تعامله. أحسَّ غريغ بحجم التحديات التي يواجهها هذا الرجل يوميًا. امتلات عيناه بياس هادئ عندما علم أن أليكس تواجه مشكلة. لم يستطع غريغ أن يطمئننه.

يوجد لدى الشرطة دليل واضح على أن رجلًا قضى الليلة في شقة الدكتورة تايلور، وتأكد غريغ أنه ناثن. كما تطابقت الأوقات التي صرح بها عن وصوله ومغادرته للشقة، التي لم تساعد أي من تلك الأوقات لإنقاذ أليكس من التهمة. لأن مقتل فيونا وودز حدث قبل الوقت الذي كان فيه مع أليكس

تايلور. حسب كاميرات المراقبة، فإن القبض على الممرضة تم في الساعة السادسة وخمس دقائق في الممر المؤدي إلى قسم الطوارئ، وكسر زجاج ساعة يدها في الساعة السادسة وخمس وثلاثين دقيقة.

افترض بيتر سبنسر والطبيب الشرعي نظرية مفادها أن الساعة كُسرت أثناء إغلاق باب المصعد على معصمها. فقد أظهر تلف الأنسجة على ذراعها خطين متوازيين، مما يشير إلى أن اللوح الداخلي للباب قد أصاب اللحم وكذلك الساعة. ربما قام القاتل بفتح باب المصعد مرة أخرى ودفع ذراعها إلى الداخل بشكل كامل.

لا يستطيع ناثن بيل أن يقدم أي عذر لأليكس تايلور.

ما أثار حيرة غريغ هو التوقيت الذي تمت فيه عملية القتل، فقد كانت غرف العمليات مشغولة ومن الممكن استخدام هذا المصعد في أي وقت. إن من قتل المرأة هو شخص واثق بنفسه. يعتقد الطبيب الشرعي أن الممرضة كانت لا تزال على قيد الحياة عندما تم حشرها في المصعد. فقد أظهر الدم على سقف المصعد وجدرانه تناثرًا. ربما لم تكن لتبقى على قيد الحياة طويلًا، لكنها ربما كانت واعية وتذكر أنها تموت أثناء وضعها في الصندوق الفولاذي. شخص جريء جدًا ابتعد عن مسرح الجريمة، شخص لم يكن يهمله إن تمت رؤيته، وهو يرتدي ملابس طبيب ويضع قلنسوة وقناعًا طبيين. قال ناثن بيل للمرة الثانية منذ أن دخل غريغ إلى

المكتب: "إنها لم تفعل ذلك. إنها ليست قاتلة".

"هل اتصلت بك اليوم؟"

"كلا، لم نتواصل منذ أن تركتها هذا الصباح".

"وهل حاولت الاتصال بها بعد أن اكتشفت الأمر؟"

"نعم. أردت أن أحذرها، لكن هاتفها مغلق، لذا تركت لها رسالة أطلب منها الاتصال بي. أريد أن أكون إلى جانبها عندما تسمع خبر مقتل فيونا".

"ماذا قالت لك هذا الصباح؟"

"لا شيء. قبل بعضنا بعضًا قبلة الوداع، وكان يُفترض أن أراها هذا المساء".

"هل وضعتما خطًا لليوم؟"

"كلا. كنا سنتحدث في ذلك لاحقًا".

"قلت بأنها، عندما ذهبت إلى شقتها يوم أمس، كانت لا تزال ترتدي معطفها".

"نعم".

"كانت الساعة قد شارفت على السادسة والنصف".

"نعم".

"أنهت الدكتورة تايلور مناوبتها في الخامسة والنصف. هل تعلم ماذا فعلت في هذا الوقت؟"

"لا. ليست لدي فكرة".

انتهى الاستجواب عند هذا الحد، وعاد الطبيب إلى عمله بانسًا. تعاطف معه غريغ. لم يكن أيّ منهما يريد أن يرى أليكس تايلور في وضع صعب. ثم

تم استجواب جميع الموظفين في المستشفى، وبعضهم تم التحقيق معه بشكل مطول. الأمر المثير للقلق هو أنه، على الرغم من صدمتهم بموت فيونا وودز، لا أحد منهم تفاجأ بأسئلة الشرطة حول أليكس تايلور. وقد زُود كثير منهم الشرطة بمعلومات عنها. وأخبروا الضابط أنهم كانوا قلقين من أجلها منذ مدة، وإنها قد تغيرت كثيرًا في الآونة الأخيرة.

كان لدى غريغ مقابلتان يجريهما في المنزل، رغب أن يقوم بهما بنفسه. الأولى، مع حبيب أليكس السابق -افترض أنها على علاقة أخرى- والمقابلة الأخرى هي مع رئيستها في العمل، كارولين كاوان. هذان الشخصان يعرفانها جيدًا، وتمنى أن يعرف أحدهما مكان وجودها، وأنها بخير.

كان توم كولينز يمشي في الممر عندما رآه غريغ. لوح بيده وهو يلتحق بالطبيب الشرعي طويل القامة. بدا الرجل متعبًا، خمن أنه كان في مناوبة ليلية.

قال غريغ وهو يحادثه: "وضع سيئ يا توم، أليس كذلك؟".

"شيء مروع. كانت فيونا سيدة لطيفة. آخر مرة تحدثنا فيها سألت عن العمل في نيوزيلندا. لقد تم تهشيمها، إنها مأساة حقيقية".

سأل غريغ: "ما رأيك بفكرة أن الدكتورة تايلور هي القاتلة؟".

وقف توم كولينز، أرخى كتفيه وقال: "سيكون أمرًا

مؤسفًا إن كانت هي. هي الأخرى سيدة موهوبة للغاية".

"في الليلة التي تم إحضارها إلى قسم الطوارئ، كنت هناك، ما رأيك في ما حدث؟".

هزّ توم رأسه: "لا أدري. من الصعب القول. لقد صدمت بالتأكيد. في البداية، ظننت أن لدينا قضية اغتصاب، لكن لم أفهم شيئًا. فقد كانت ترتدي ملابسها كاملة، ولم تكن هناك علامات البكاء عليها، كما لم يتم العثور على شيء أثناء فحصها، سوى نتوء صغير في رأسها".

وثق غريغ بالرجل، وأراد أن يتناقش معه فكرة لورا بيست، رغب بسماع رأي محايد في المسألة. قال: "تري إحدى الضابطات أن أليكس اختلقت قصة الخطف، ربما لأنها تعاني من نوع من أنواع متلازمة مونخهاوزن".

جحظت عينا الطبيب الشرعي مشككًا بما سمع وقال: "هناك شيء من المبالغة، هذا التشخيص ليس أول ما سألجأ إليه، عادة هناك سلوك معين يعتمد عليه هذا التشخيص".

قالها غريغ مفترضًا: "ماذا لو كان هذا صحيحًا؟". ثم أخبر الرجل عن علاقة تايلور بوفاة إيمي أبوت، وليليان أرمسترونغ، وعن الخطأ الذي ارتكبه في تركيب العقار المخدر، والمكالمة المجهولة، وأيضا عن الرسالة التي تركت على سيارتها.

عبس توم كولينز: "في هذا النوع من الاضطراب

العقلي عادة، يلجأ المريض إلى إصابة نفسه هو، لجذب الانتباه والتعاطف، وليس إلى قتل الآخرين. هذا يبدو أقرب إلى "القتل الرحيم" بدلا من "متلازمة مونخهاوزن". حتى هذا -أيضا- فيه مبالغة".

تابع المشي وهو يتحدث مع غريغ إلى أن وصل إلى الباب الخارجي للمستشفى. تعليقات توم لم تعط غريغ إجابات شافية. قال: "بالنسبة للحالة الأولى، فقد كان لديها الحق باتصالها بالشرطة؛ لأنه ثبت إنها حالة مريبة، أليس كذلك؟ أن تقوم امرأة بإجهاض جنينها بنفسها بطريقة غير قانونية، أمر يدعو للشك. أما الحالة الثانية: فيمكن أن تحدث مع أي شخص. أما بالنسبة لخطأ الدواء، فغالبا لا ترتكب هكذا أخطاء، خاصة إذا أخذنا في الحسبان كمية المخدر التي يستخدمونها في قسم الطوارئ، ولكنها تحدث. الحالة الثالثة: يبدو أن ليلي (وقت الغداء) وضعت نفسها في موقف سيئ مع زبون مجنون. أما المكالمة الهاتفية، والرسالة المجهولة التي تركت على سيارة الدكتورة تايلور، برأيي أنها مقالب خبيثة".

شد توم كتفيه إلى الخلف ولف عنقه: يا رب. أنا متعب". ثم التفت إلى غريغ، وقال: "المسألة يا غريغ، أن كل ما قلته لي سوف يكون محل سخرية من قبل النيابة العامة لأنه ليس لديك أي دليل".

"ماذا عن فيونا وودز؟"

قال توم متجهما: "أيا كان من قتلها يا غريغ، هو

بالنسبة لي مريض نفسي ذو دم بارد. وهذا هو رأيي منذ اللحظة التي رأيت فيها هذه الجريمة الوحشية. ولا داعي للقول بأنني أمل أن تكون مخطئًا بشأن الدكتورة تايلور. كما أنني لا أحسدك على أن تذهب بهذا الاتجاه في التفكير".

خرج توم عبر الباب الزجاجي، ولوّح بتوديعه قائلاً: "سأراك قريبًا... بالتأكيد".

تمنى غريغ أن يعود هو الآخر إلى سريره الدافئ، ويدفن نفسه تحت اللحاف، وألا يكون هو من سيحقق مع أليكس تايلور.

الفصل الأربعون

تزداد السماء قتامة، وتحجب غيوم ثقيلة ضوء القمر. شعرت برعشة تسري في جسمها من برودة النسيم، مما جعل عضلات فخذيها وساقها تتصلب من البرد.

كانت وحيدة على الطريق. لاحظت أوراق الأشجار تهتز مع كل هبوب للرياح، بينما حاولت تنظيم تنفسها لتجعل دقائق قلبها تتباطأ. ليس هناك شيء ليزعجها هنا، استندت إلى شجرة وحاولت الاسترخاء.

في آخر بضعة أميال من الجري، كادت فكرة ما ينتظرها في المساء القادم تقيّد ساقها من شدة الخوف. لم تكن مستعدة لمواجهة مزة أخرى. وأكبر مخاوفها هو أن يكون ريتشارد سيكيرت وماغي مخطئين. كانت قد بدأت تسمح لنفسها بالاعتناع بأنهما محققان، والاعتناع بأنّ اختطافها من موقف السيارات لم يكن سوى وهم من مخيلتها. ولكن انطلاقاً من الافتراض بأنهما على خطأ، وأنها قد اختطفت بالفعل، ليس من قبل مريض نفسي غير معروف توهمته بنفسها، وإنما من قبل الرجل الذي سوف تلتقي به الليلة. قد يكون هو من خطفها من موقف السيارات. إنه ممثل يجيد التنكر جيداً. لقد تعلم أن يلعب دور طبيب بمساعدتها هي. لم تستطع تمييز صوت الرجل الذي هاجمها، ولكن ماذا لو كان هو ذاته على الدوام؟

قد يأتي منتقماً لأنها رفضته. ربما يكون قد فكر

بعقله المريض بأنها استحقت الاغتصاب في العام الماضي، والان عاد ليستهدفها من جديد. إن كان ذلك صحيحًا، فمن المحتمل أنه متورط في موت إيمي أبوت. كذلك في قتل ليليان أرمسترونغ. ولكن لمَ قد يفعل ذلك؟ ما الذي يجعله يستهدفهما أيضًا؟ ما الرابط بين هاتين الامراتين وبينها هي؟ إيمي أبوت كانت ممرضة. هل من الممكن أنه قد رآها أثناء ملاحظته لأليكس؟ أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمئة موظف يعملون في المستشفى، وأليكس لم تتعرف عليها إلا مؤخرًا بوصفها مريضة. وليليان أرمسترونغ كانت مومسًا. هل من الممكن أنه كان يعرفها أيضًا؟ هل من الممكن أنه قد سرق مفاتيح أليكس وأغرى المرأة لجذبها حيث تسكن أليكس؟

كانت ألكيس خائفة من أن تكون على حق، وأن الرجل الذي هاجمها العام الماضي، هو حقًا قاتل متسلسل ومغتصب.

يجب أن تعود إلى ماغي وتناقش الأمر معها. لا ترغب في أن تتعرض أي منهما للخطر، حتى بوجود احتمال ضئيل بصحة ذلك.

سمعت صوتًا من بين الأشجار خلفها. كانت متأكدة من أنه ليس صوت حفيف أوراق الأشجار نتيجة الرياح. توترت وانتظرت خروج أحد مسرعًا باتجاهها، شعرت بالعرق يتصبب من جلدها. مزت دقيقة أو أكثر، ولم تتحرك الشجيرات. أطلقت نفسها متقطعا، ثم ذهبت إلى فوق السدّ الزلق باتجاه سيارتها.

تعاني المستشارة الرئيسية في قسم الطوارئ من بدايات اسوداد حول عينها وورم واضح على جبهتها، إلا أن ذلك لم يعرقلها لتقوم بوضع حزم من القش في الإسطبل.

كان زوجها قد وجه غريغ نحو الساحة، وأخبره بأن الإسطبلات تقع على الجانب الأيسر. ووعده بأن يجلب الشاي بعد وقت قصير، تاركًا غريغ ليجد الدكتور كاوان بنفسه.

كانت الطبيبة ذات بنية جسدية قوية، ترتدي قميصًا عليه مربعات، وسروالًا من الجينز محرمًا تحت جزمة مطاطية ذات ساق طويلة. لم يتخيل أنها تستطيع التعامل مع أعمال صعبة كتلك، واضطرارها لاستعمال مهارات مثل الخياطة أو تقطيع اللحم. بدت مع المذراة مثل زوجة فلاح في المنزل.

لم تكن متفاجئة بزيارته، قالت إنها كانت قد خططت للقدوم إلى المستشفى والتحدث مع الكادر بعد انتهائها من أمور الإسطبل. قد يحتاج بعضهم إلى الاستشارة. كما أنها اتصلت بوالدي فيونا وودز وقدمت لهما تعازيها، وتكلمت مع المدير التنفيذي، عدة مرات منذ الصباح. وجنتاها كانتا منتفختين، فتساءل غريغ إن كان بسبب إصابتها مؤخرًا، أم بسبب البكاء. أدمعت عينها عند ذكر اسم فيونا وودز.

"لا أستطيع أن أصدق أنها ماتت". توقفت عن العمل واتكأت على المذراة: "لا أستطيع أن أصدق

أنني لن أراها مجددًا".

مسحت عينيها بظهر يدها.

سأل غريغ: "متى كانت آخر مرة رأيتها؟".

"يوم أمس". تنهدت بصعوبة: "وكأنه منذ زمن بعيد".

"هل قالت لك أي شيء حول مشكلة ما؟".

"دار حديثنا كله حول أليكس. كانت هي محور أحاديثنا مؤخرًا. كم كنا قلقين عليها... عليها! والآن المسكينة فيونا ميتة!". أغمضت عينيها وهزت رأسها بياس قائلة: "أنا ألوم نفسي! كان يجب أن أقسر أليكس على المغادرة عندما أحسست أنها تمر بأزمة. هذا خطئي أنا... إنها تصرخ طالبة النجدة منذ زمن طويل، وكان علي أن أفعل شيئًا حيال ذلك. كانت تُفرط في شرب الكحول. أتوقع أنها قد بدأت بتعاطي مواد أخرى. كان يجب أن أفعلها البارحة، بعد هذا...". وأشارت إلى الكدمة على جبينها، ثم أردفت: "كانت أليكس معي، وبعدها قامت بفحصي جيدًا، سألتني إن كنت أعتقد أن حادث سيارتي له علاقة بها". تنهدت بصعوبة، وتابعت: "كما تعلم، السائق الذي صدم سيارتي من الخلف قد اعترف. كان يجب أن أعطيها إجازة مرضية على الفور. موت المرأة الشابة يعدّ بضميري؛ لأنني لم أتعامل مع الموقف كما يجب عندما وجب علي ذلك".

تفاجأ غريغ بجاهزيتها لإدانة أليكس تايلور. كل ما قاله كان مجرد إدانة.

"تبدين متأكدة من أن أليكس قد قتلت فيونا وودز. ظننت أنهما صديقتان مقربتان، ألم تكونا ذلك؟"

"كانتا كذلك. ولكن من سواها قد يكون قد فعل هذا؟ أليكس تنهار منذ أسابيع. ائصل الكثير من الزملاء بي مبدين قلقهم. كان علي أن أستمع إلى كلامهم باهتمام أكثر. كان علي أن أحضر طبيبتنا آخر ليراقبها في حال ارتكبت أي أخطاء أخرى. على الأرجح أنك -إن لم تفعل بعد- ستسمع بذلك، لقد أعطت دواءً لرجل كادت تقتله."

"هل من السهل ارتكاب خطأ كهذا؟"

هزت رأسها: "على الإطلاق. إفراطها في الشراب. ذلك هو السبب الوحيد. وفيونا وودز كانت تحاول التستر على الأمر."

تسارعت دقات قلب غريغ لدى سماعه تلك المعلومة. لم يكن يعلم أن فيونا وودز كانت شاهدة على حصول خطأ في وصف الدواء. من الممكن أنها كانت تتستر على أليكس لأن ما حصل لم يكن خطأ، بل كان متعمداً.

هز رأسه محاولاً التخلص من الفكرة التي تبعث على القلق. شعر وكأنه يغدر بها لمجرد تفكيره بذلك.

"كان من المفترض أن تلتقي فيونا وودز بأحد عناصري مساء أمس. لكنها غابت عن الموعد. الشرطية متأكدة من أنها أرادت إخبارها بمعلومات حول شيء حصل مع الدكتورة تايلور في العام الماضي."

قالت كارولين كاوان، مبادرة إلى الكلام: "لقد تمت مهاجمتها".

شعر بصعقة مجددًا: "من قبل من؟".

"من قبل ممثلٍ جاء إلى القسم. كان يلعب دور طبيب في مسلسل دراما تلفزيوني، وكان يلاحق أليكس".

"هل أبلغت الشرطة؟".

"كلا. حاولنا إقناعها بأن تبُلِّغ عنه الشرطة، ولكنها لم تفعل".

رفعت كارولين كاوان يدها ولمست الكدمة على جبينها بحذرٍ شديد. بدت متعبة وحزينة في الوقت نفسه. قالت بنبرة حذرة وخافتة: "لم أحاول جدًّا أن أدفعها لتخبر الشرطة بما حصل".

"لم لا؟".

"لأنني لم أكن واثقة من أنه قد حصل بالفعل. كانت تبكي غير مرتاحة بالحديث حول الموضوع. ولم يكن هناك أي دليل". ثم نظرت إليه بجديّة، وقالت: "لم أكن متأكدة. بعد أن أخبرتني بشأنه، اتصل بي وقال بأنه تفهّم اتصالي بمدير أعماله طالبة عدم مجيئه إلى القسم بعد ذلك. ولكن، كان من المؤسف أنني لم أتحدث معه أولًا. أخبرني أنه كان يخطط للمجيء لرؤيتي. كان قلقًا من أن أليكس بدأت بالتعلّق به بعض الشيء. وأصبحت تخلق الأعذار لتلتقي به. ويعتقد أنها امرأة لطيفة للغاية، وأنه ممتنٌ للمساعدة التي قدمتها له، ولكنه شعر بعدم

ارتياح لأنه اضطر لصدها".

شعر غريغ أن المقابلة على وشك الانتهاء. وقف بصمت لحظة. منذ زمن طويل جدًا، هذه هي المرة الأولى التي يواجه فيها موقفًا يتمنى أن يكون مخطئًا بشأنه. يتمنى أن تكون أليكس تايلور بريئة. والآن، بعد ما قالته هذه المرأة، بدأ يشعر بالغضب لأن لا أحد يساند أليكس. تغلّبت عليه فكرة أنه لا يستطيع إنقاذها، شعر بقشعريرة عندما تسَلَّت أول الشكوك الحقيقية إلى ذهنه. من الممكن أن تكون مذنبه. من الممكن أن تكون قاتلة ذات دم بارد.

قال غريغ بنبرة قاسية: "اعذريني لقول هذا، ولكن أعتقد أنه كان من واجبك أن تخبرينا حول تلك الحادثة. سواء صدقتي حقيقة المسألة، أم لم تصدقي ذلك، لا علاقة له بالأمر. من واجبك الاهتمام بالموظفين الذين يعملون معك. كان يجب أن تتصلي بالشرطة بنفسك".

استدار بغضب، ثم تنفّس بعمق لحظة. كانت الدموع في عينيها عندما استدار ليوأوجهها مجددًا.

"كيف تعلمين أن ذلك لم يكن السبب بحدوث الأمر برمته؟ كيف تعلمين أنه لم تتم مهاجمتها، وأن هذا هو الثمن الذي تدفعه -المرور بحالة من الانهيار العصبي وتدمير ليس فقط، حياتها، بل وحياة الآخرين أيضًا. كيف تعلمين أنه لم يفعل هذا من قبل؟ وأنه لم يهاجم امرأة أخرى منذ ذلك الحين؟ أريد اسمه؛ لأنني وبكل تأكيد سوف أقوم بزيارته".

قالت بصوت خافت: "اسمه أوليفر رايبان".

لم يعن له الاسم شيئاً.

"هل هو مشهور؟ نجم سينمائي؟ في التلفزيون؟
في هوليوود... أم ماذا؟".

هزت رأسها: "كلا. إنه واحد من أولئك الممثلين
الذين تعرف وجوههم مباشرة، ولكن لا تستطيع أن
تتذكر بأي الأعمال شاهدتهم. ولا تتذكر أسماءهم.
لقد شارك بالكثير من الأعمال. كان الغطاس،
الشخصية الرئيسة في بلاك ووترز، ذلك العمل حول
بحيرة لوخ نيس، الذي ينزل بغواصة تحت الماء
ويكتشف جثة امرأة، ثم يحاول إثبات أن قصة
وحش بحيرة لوخ نيس كان كذبة للتستر على
جريمة قتل حدثت في ثلاثينيات القرن العشرين".
توقفت برهة، ثم قالت: "لم يكن ممثلاً جيداً في
الحقيقة".

لم يكن غريغ قد سمع بهذا الفيلم من قبل. عندما
يعود إلى القسم، فسوف يبحث عنه كما سيبحث
عن اسم الرجل على محرك البحث غوغل.

استدار ليغادر، فأوقفته المرأة، وعيناها مليئتان
بالندم، قالت: "أنا آسفة للغاية. لا أعلم ماذا أقول
بعد. أنا أهتم بأمر اليكس تايلور، عليك أن تصدق
ذلك".

انبسطت تعابير وجهه قدر المستطاع، وسلم
بصدق كلامها، ثم قال: "عندما نعثر عليها، فسوف
تحتاج إلى شخص قوي يقوم بمساندتها يا دكتورة
كاوان. سوف تحتاج لأشخاص يهتمون لأمرها".

الفصل الحادي والأربعون

كان الكيس الورقي ينتفخ، ثم يفرغ من الهواء مثل منفاخ. وعينا أليكس يملأهما الخوف وهي تحاول جاهدة إبطاء تنفسها. كانت ماغي واقفة خلفها، تدلك كتفيها المتوترين بلطف، وتقدم لها عبارات التشجيع: "تنفسي بعمق شهيقًا وزفيرًا. تنفسي بلطف وببطء. لا داعي للعجلة".

كانت آخر نوبة هلع تعرّضت لها أليكس منذ عدة أيام. حينها داهمتها النوبة دون سابق إنذار بينما كانت تنشف جسمها في غرفة نوم ماغي. أغلقت الباب على نفسها، ثم رأت ثوب الوصيفة معلقًا. كان لونه مطابقًا للون الثوب الذي ارتدته في تلك الليلة المشؤومة. ازدحم ذهنها بالذكريات الرهيبة عن لحظات استلقائها على سرير العمليات، وفجأة ضاق صدرها ولم تستطع التنفس.

وبعد أن شعرت بانتظام تنفسها، أزال الكيس عن فمها، وقالت: "أنا آسفة".

قالت ماغي وهي تضغط على كتفيها بحركات مريحة: "هل تريدين إلغاء الأمر...؟ لقد فكرت فيما قلته، مع أنني ما زلت أظن أنه من الصعب تخديرك بالطريقة التي قلت إنها حدثت، إلا أنني أصدقك الآن يا أليكس. أنا آسفة على كل ما مررت به، آسفة على التشكيك بك".

شعرت أليكس بارتياح. كان قلبها يخفق بسرعة. أدارت رأسها ودفنته في صدر ماغي، ثم قالت: "شكرًا لك يا ماغي، شكرًا جزيلاً".

"أنا سأذهب معك إلى الشرطة. سأجعلهم يستمعون إليك، يجدر بهم أن يفعلوا شيئًا حيال ذلك".

قالت أليكس: "لن يصدقوني". رفعت رأسها، وأردفت: "لن يفعلوا يا ماغي. الطريقة الوحيدة لإثبات أقوالي هي مواجهة هذا الرجل وجعله يعترف بما فعل. أفضل أن أفعلها، أريد أن ينتهي هذا الأمر. لن أسمح لهذا الرجل أن يسيطر على حياتي بعد الآن، هذه الليلة، سينتهي الأمر".

كان القلق يملأ عيني ماغي، لكنها هزت برأسها قائلة: "حسنًا، أنا معك، لا تنسي ذلك".

ركزت أليكس على الاستعداد للأمر، بالتحلي بالهدوء والشجاعة؛ لأنها في غضون ساعتين من الآن ستلتقي مع أوليفر رايان من جديد.

لم يستلطف غريغ صديقها السابق. كانت نبرته استفزازية، بدا الرجل وكأنه يثني على نفسه متفاخرًا لكونه كان محققًا حول حقيقة أن أليكس كانت بحاجة إلى مساعدة. أصغى غريغ إلى رأي باتريك فورد في الدقائق العشر الأخيرة، منتظرًا منه أن يقول شيئًا إيجابيًا بحق أليكس، لكن أفضل ما قاله، هو التعبير عن مدى أسفه لأنه لم يلاحظ سرعة تدهور وضعها.

"من الصعب جدًا مشاهدة شخص تحبه يتصرف بهذه الطريقة. حاولت أن أصدقها، بالفعل حاولت كثيرًا، لكن في النهاية، عليك أن تكون عقلانيًا".

كان غريغ يفضل أن يناقش الرجل في قضية أليكس تايلور، وأن يقف إلى صفها، مصرًا على أن يتم تصديقها حتى النهاية المريرة، عندما تظهر الحقيقة. لكنه كان مجرد رجل عادي، وضعيف بعض الشيء، حسب تقييم غريغ. ومع ذلك أراد أن ينزع عنه نظرة الرضا التي كانت على وجهه الوسيم.

قد يكون باتريك فورد رجلًا متعلقًا ومهنيًا، ولا شك في أنه يقوم بعمل رائع في مساعدة الحيوانات المريضة، لكنه غبي.

تعامل مع غريغ بطريقة كما لو أنه يمنحه شرفًا كبيرًا انطلاقًا من دعوته له إلى عيادته أثناء قيامه بمعالجة كلب، موضحًا أن عليه إنهاء العملية أولًا، وعلى غريغ أن ينتظر حتى ينهي عمله ومن ثم بإمكانه الحديث معه مطولًا عن أليكس.

بينما كان غريغ ينتظر الرجل الذي ذهب ليستحم، اقترب من الجدار وهو ينظر إلى الملصقات التشريحية للقطط والأرانب والكلاب. كان سلوكه غريبًا، في الوقت الذي جاء فيه غريغ لرؤيته في مهمة رسمية، ليعرف منه أي معلومات عن مكان وجود أليكس تايلور، تركه وذهب ليستحم قبل أن يكمل الحديث.

نظر غريغ إلى الأدوية المعروضة في خزانة مفتوحة، وتساءل عن قانون يتعلق بضرورة أن تكون خزائن الأدوية المخدرة مقفلة. من المؤكد أن ترك دواء الكيتامين معروضًا في خزانة مفتوحة، تصرف غير مقبول، فيمكن لأي شخص أن يمد يده

ويأخذ لنفسه أمبولة.

فُتح الباب ودخلت شابة قوية، ترتدي سترة قصيرة وسروالاً أخضر. أمعنت النظر إليه للحظات، ثم أخذت سترة مبطنة رمادية اللون كانت معلقة على مشجب. ارتدتها، أغلقت السحاب، ثم طرقت باب الحمام قائلة: "لقد تركت خزانة الأدوية مفتوحة يا باتريك. سآراك في الصباح".

ثم غادرت من الباب الذي دخلت منه، دون أن تقول كلمة واحدة لغريغ.

كانا ثنائيًا غريبًا. أهدر غريغ الكثير من الوقت عند باتريك، ينتظر الحصول على أي معلومات جديدة ليعود بها إلى مركز الشرطة. دقّ باب الحمام قائلاً: "يا سيد فورد هل تعرف أين هي أليكس؟".

فتح الرجل الباب ومدّ رأسه الذي كان يتقَطَّر ماءً من البلل: "كلاً، ولكن حين تأتي إلى هنا، تأكّد من أنني سأصل بك".

قال غريغ: "وما الذي يجعلك متأكدًا من أنها ستأتي؟".

"نحن واحد يا مفتش. أليكس تعرف أنها ستكون بأمان هنا، سوف تأتي لتطلب مساعدتي".

احسّ غريغ كما لو أن الرجل لكمه على أنفه، إذ كانت غطرسته فظيعة. ثم استرخى لأنه أدرك أن لديه طريقة أسهل وأكثر فعالية للنيل منه.

"هل أفهم من كلامك يا سيد، أن الدكتورة تايلور لا تزال حبيبتك بعد الذي حدث؟".

قدحت عينا باتريك فورده شرزًا، واندفع برأسه كمن أصابته لكمة. كاد غريغ يشمت، أراد أن يقول: وهذا ما جعلك تفكر، أليس كذلك؟

سأل بصوت مخنوق: "لماذا تظن أن الأمر غير ذلك؟".

هز غريغ كتفه قائلاً: "دون سبب. أتحمق وحسب. سنحتاج إلى حمض النووي على ملاءات السرير، وأشياء كهذه، للاختبار".

احمر وجه الرجل، ولكن ليس بسبب حرارة ماء الاستحمام.

"هل تلمح إلى أن أحدًا آخر غير الدكتورة تايلور نام في سريرها؟".

هز غريغ رأسه مزة أخرى، مدعيًا الاعتذار بأسلوبه، كما لو كان يحاول التراجع عما أفصح عنه، ثم التفت ليغادر.

"أنا متأكد من أنه سيكون مطابقًا لحمضك النووي. لا داعي للقلق حيال ذلك".

غادر بابتسامة فيها رضا عن النفس، تاركًا باتريك أقل عجرفةً وادعاءً مما كان عليه عندما وصل.

عندما دخلت أليكس إلى غرفة الجلوس، قالت ماغي: "تبدين جميلة. إنها لخسارة أننا لم نذهب إلى حفلة لعيد الميلاد".

كانت أليكس قد فقدت وزنها منذ زفاف باميلا، وأصبح ثوب وصيفة الشرف فضفاضًا عليها، لكن لونه كان متناسبًا مع شعرها الناعم وجلدها المدبوغ

قليلاً.

ارتدت ماغي رداءً رياضية بلون أسود، وخذاءً رياضيًا أسود أيضًا حتى لا تُكتشف في الظلام.

أجابت أليكس بابتسامة: "لو كنا ذاهبين إلى حفلة عيد الميلاد، لكان عليك أن تلبسي ثيابا أكثر أناقة".

يوم غد هو عشية عيد الميلاد، ربما يمكنهما ارتداء ملابس الاحتفال والذهاب إلى مكان خاص، تستمتعان بسهرة تنسيهما هذه الليلة.

ناولتها ماغي بعضا من الشامبانيا لتهدئة أعصابها، وسبق لها أن أعطتها كمية أقل. رفعتا نخبًا، وقالت ماغي بنبرة صارمة: "مغا".

تجزعت أليكس الكأس كله، ثم نظرت حولها إلى الغرفة. كانت ماغي قد زينت رف الموقد بنبات أخضر ومجموعة رائعة من الزهور الحمراء والذهبية اللون. بالإضافة إلى شجرة عيد الميلاد التي كانت ضعف طولها، مزينة بأضواء بيضاء وكرات ذهبية كبيرة، وقطع على شكل دموع ياقوتية اللون. كانت شجرة طويلة ورائعة وقوية، مكسوة بشكل أنيق، ذكرتها بماغي فيلدينغ.

قالت أليكس، مستمدة بعض الثقة من صديقتها: "مغا".

الفصل الثاني والأربعون

كان مقياس الحذاء الذي أعارته ماغي إلى أليكس، أكبر من مقياس قدمها بعض الشيء، مما يجعل توازنها يختل أثناء المشي. صار لها خمس أو عشر دقائق وهي واقفة في الظلام، بجسد متشنج ومتوتر. أحست بأنها ما لم تتحرك في الحال، فسوف تهوي على الأرض. إن وقوف ماغي بسيارتها قريبة منها لم يشعرها بالاطمئنان تماما كما تخيلت. فمن المستحيل أن تتمكن ماغي من إنقاذها، فيما إذا قرّر الرجل أن يصدّمها بسيارته.

إنها تشعر بالخفقان في صدغها، وأصبح الصداع الخفيف، الذي بدأ في وقت سابق، الآن أسوأ، مما أشعرها بالغثيان. أدركت أنها كانت قد أكثرت من شرب الشامبانيا، بالإضافة إلى أنها لم تتناول كمية كافية من الطعام.

سمعت أزيز محرك سيارة قادمة من مسافة قريبة. نظرت إلى موقف السيارات في المستشفى باحثة عن المصابيح الأمامية لسيارة قادمة. كانت سيارة تتجاوز صفًا من السيارات الواقفة، وفي انتظار اقترابها، شلها الخوف.

ما إن شعرت بوخز في ردفها الأيسر حتى انتقل الإحساس نحو فخذها، وبشكل فوري ثقلت أطرافها، وانتابها شعور بأنها في حالة سكر، أصيبت بالدوار بشكل خطير، وشعرت أنها منفصلة عن جسدها.

تحت تأثير حالة اليأس بسبب ما أصاب جسمها، أطلقت صرخة واهنة: "ماغي...".

كان عليها أن تُعلم صديقتها بما يحدث معها. إن حقيقة تكرار وجودها هنا في موقف السيارات لليلة أخرى كان مؤلماً، أيقظ لديها كل الأحاسيس التي عاشتها في الحادثة السابقة في هذا المكان: موجات من الدوار لوت ساقبها، وجعلتها تسقط على ركبتيها، ألم في عنقها، ضغط على فمها، انقطاع الهواء عنها، وتكميم فمها ثم... لا شيء، هذا كل ما تتذكره حتى الآن. حتى هذه الوخزة الصغيرة في ساقبها، أحست بها تمامًا كما في تلك الليلة عندما حاولت مغادرة القسم في المستشفى. شعرت بوخز في فخذها كما لو أن شيئاً مَرَّق ثوبها، أملت ألا يكون سن اللولب قد هبط منها. لقد عرفت كيف اختطفها. "كنتِ على حق يا ماغي"، تمتمت وهي في حالة دَوَّار.

ارتخت ذراعها إلى جانبيها، ثم سقطت منهارة على الأرض.

عينها لا تزالان مفتوحتين وعقلها يعمل، لكنها فقدت القدرة على النطق والصراخ. شعرت بالحصى على خدها، وسمعت صوت طحن خفيف مع اقتراب خطى أقدام. توقف الحذاء الغامق أمام عينيها، حتى كان من المستحيل التركيز عليه بوضوح. سألت نفسها إن كان سيسحب القدم ويركلها على وجهها.

قالت في سرّها بمرارة، مخاطبة الرجل الواقف إلى جانبها، لقد تظاهرت بتكميمي، فقط من أجل إرباك حواسي. كنت تعلم أنني لن أصدق.

الوخزة التي شعرت بها في ردفها، ثم انتقال
الإحساس إلى فخذها، أكد لها أنها على حق.
لقد حقنني بدلاً من ذلك يا ماغي. لقد حقنني... أوه
اللعنة... أرجوك ساعديني .

الفصل الثالث والأربعون

كانت غرفة الحادث تعج بالناس، لا زال إجراء المكالمات والاتصالات على أشده.

في اليوم الأول من التحقيق في جريمة قتل، بذلت كل الجهود الممكنة للتوصل إلى نتيجة.

لقى غريغ نظرة سريعة على لوحة الأدلة، لاحظ أن النتائج التي توصلوا إليها من عملهم في ذلك اليوم لم تكن تُذكر.

كانت صورة أليكس معلقة على اللوحة. لقطة علوية للرأس والكتفين، حصلوا عليها من المستشفى. بدت شابة مذهلة. في كل مرة ينظر إليها، ينتابه حزن عميق.

الشرطة مستمرة في البحث عنها. تمّ تعميم اسمها على المطارات والخطوط الحديدية، ومحطات الحافلات. كما غممت أوصاف سيارتها وكذلك رقمها على الطرق السريعة. وبالطبع، تمّ إرسال صورتها، عبر البريد الإلكتروني، إلى جميع أقسام الشرطة في المدينة. في حين ظلّ عناصر الشرطة التابعين للورا بيست يبحثون عنها في أنحاء المستشفى، لعلّها تكون مختبئة هناك. وهكذا فإن أيّ سمعة جيدة قد تركتها الطبيبة أليكس، بدأت تنهار بسرعة.

تمنى غريغ أن تكون، الآن، في طريقها إلى عبور المحيط الأطلسي، هربًا من جميع الأشخاص الذين يسعون للقبض عليها. يوّد أن يرى لورا مهزومة أمامها. يوّد أن يراها مرة أخرى، ذات يوم، وهي

تحلق بمروحية. تنهد بعمق، وتمنى لها أن تكون في أي مكان آخر غير هذا المكان.

انتقل إلى أحد أجهزة الحاسوب، لكي يقوم بما كان من المفترض به أن يقوم به عند وصوله إلى مكان الجريمة. قام بتسجيل الدخول إلى شبكة الإنترنت، ثم أجرى بحثًا على محرك غوغل عن اسم أوليفر رايان. وجد عدة عناوين، ورأى عبارة "بلاك ووترز"، ورأى في أحدها كلمة "ممثل"، فقام بالنقر عليها لفتحها. رن هاتفه المحمول، سحبه من جيب سترته، وشاهد اسم جو على الشاشة، تأوه في نفسه، مدركًا أن الساعة تقترب من العاشرة ولم يتصل بابنه كما كان قد وعده. ابتعد عن الحاسوب، وعن الآخرين، قال له: "مرحبًا!" ثم سأله دهشًا: "ألم تذهب للنوم بعد؟".

"أردت أن أقول لك ليلة سعيدة، ولأتأكد من أنك ستأتي غدًا".

سأل غريغ متظاهرًا أنه قد نسي ما يكون يوم غد: "وماذا سيحدث غدًا؟".

"إنها ليلة عيد الميلاد يا أبي!".

أبي؟ هذا أمر جديد. فقد صار جو يفقد لغته الطفولية. قال: "حقًا؟ هل أنت متأكد من أن عيد الميلاد ليس في اليوم التالي؟ أظن، يا جو، أنك مخطئ بيوم".

"توقف عن المزاح يا أبي، أنت تعرف أنها ليلة عيد الميلاد".

ابتسم غريغ... كان قد اشترى لجو هدية، لا شك ستعجبه كثيرًا، اشترى له طائرة مروحية بجهاز تحكّم عن بعد، يمكنها أن تحوم حتى عشرين قدمًا. تمنى أن يتمكن من السفر غذا إلى أكسفورد ليعطيه الهدية، متشوقًا إلى رؤية وجهه وهو يفتحها.

قال بجديّة: "جو، أنا لا أستطيع أن أعدك، ولكن إذا كان ممكنا سأتي".

ساد صمتٌ مع الجملة الأخيرة.

"هل تثق بي يا جو؟"

"أجل يا أبي".

ثم صمت، ممّا جعل غريغ يشعر بالذنب.

"جيد. عليك الآن، يا صديقي، أن تخلد إلى النوم، لديك يوم حافل غذا. أريد منك أن تستيقظ باكرا لتساعد والدتك، لكي لا تُنهك من التعب حتى المساء".

"إنها خرجت".

سأل غريغ متفاجئا: "هل هي...؟".

لا تخرج سو من البيت عشية عيد الميلاد. تبقى في المنزل، تستعد لليوم العظيم. لم يستطع أن يسأل أين ذهبت. قال: "خرجت مع توني!".

كما لو أن عقدة وقفت في حلقه منعه من أن يبلغ ريقه. يحدث هذا معه أحيانا. إنها امرأة جميلة ويوجد الكثير من الرجال الذين يرغبون في مواعيدتها. أحسّ باليم في صدره. إنها حبه الحقيقي الأول، وزوجته لعشر سنوات.

قال ابنه: "يمكنك، الآن، الخروج مع أليكس".

قالها كما لو أن هذا هو الشيء الصحيح الذي يجب عليه فعله بطريقة أو بأخرى. كانت والدته على ما يرام، لذا يمكن أن يصبح والده -أيضًا- على ما يرام. القمص الخيالية وحدها تنتهي نهايات سعيدة، إنما المجرمون، ورجال الشرطة الذين يطاردونهم، فلا يحظون بمثل تلك النهايات.

لأول مرة فكر بها بوصفها قاتلة، فأحس بقشعريرة في جسمه. هل من الممكن أن تكون هي من قتلت فيونا وودز؟ أغمض عينيه بإحكام عندما تذكر مشهد الممرضة المقتولة، وتمنى لو أنها كانت فاقدة للوعي، عندما تم سحقها وإدخالها إلى ذلك الصندوق الفولاذي. لقد ثركت لتموت في تلك المساحة الضيقة والمظلمة، حتى لم يكن لها أن ترفع رأسها، وربما كانت قد شعرت أو سمعت تناثر دمها على الجدران المحيطة بها. لقد قُتلت بدم بارد، وبلا شفقة. لا يمكن لأحد إنهاء حياة شخص بهذه الطريقة، سوى قاتل شرس عديم الرحمة.

هل يمكن أن تكون أليكس تايلور بتلك المواصفات؟

فتحت أليكس عينيهما واضطرت إلى إغماضهما بسرعة، بسبب الإضاءة الشديدة الساطعة. كان رأسها يتأرجح، والحركة الطفيفة التي قامت بها جعلتها تشعر بالغثيان. منعها الحزام الذي كان على جبهتها من أن تدير رأسها جانبًا، خافت أن تختنق في حال تقيأت.

أين أنت يا ماغي؟ من فضلك تعالي إلى هنا
وانقذيني!

من جديد هي عرضة للخطر. نظرت شزرا إلى
الضوء فوقها، استطاعت أن ترى المخطط التفصيلي
الدائري، وأيقنت أنها عادت إلى الغرفة نفسها التي
كانت فيها في المرة السابقة. تبين لها أن ما حدث
لم يكن وهما تخيلته. إنها جاءت إلى هذا المكان من
قبل، وقد ظنت أنها ستموت، لتستيقظ لاحقًا، كما لو
أن شيئًا لم يكن. لكنها الآن عرفت من هو الشخص
الذي اختطفها. إنه أوليفر رايان.

استجمعت قواها، ونظرت إلى صدرها، وشاهدت
ملاءة بلون أخضر تغطيها. انخطفت أنفاسها عندما
رأت ساقها مرفوعتين ومثبتتين. كانت كزة أخرى
في وضعية تفتيت حصى المثانة -ربلتا ساقها
مستدتان على مساند، وكاحلاها مثبتان بركاب-
شعرت ببرودة الهواء من تحت الملاءة تلامس
بشرتها، فعرفت أنها عارية.

في الخلفية، كان صوت قرع أدوات، هو ضرب
ال فولاذ بالفولاذ. ارتجفت من الخوف، واعترتها رغبة
وشبكة بالتقيؤ. حبست أنفاسها وصرت على أسنانها
حتى تيبس فكها، حاولت أن تهدأ من حالة الذعر
المسيطر عليها. كان عليها أن تتماسك وتفكر في
مخرج من هذا الوضع. عليها أن تثق بأن خلاصها
ممکن.

في محاولة منها للحفاظ على ثباتها قدر الإمكان،
وعدم تنبيهه إلى أنها مستيقظة، حاولت معرفة مدى

إحكام قيودها. إذا كان قد قام بربطها باستخدام أحزمة من نوع فيلكرو فقط، ربما يمكنها محاولة إرخائها، ومن ثم التحزّر منها.

ذراعاها مثبتتان على دعامات، لكن الملاءة تغطيهما فلا تستطيع رؤية نوعية القيود التي تربطهما. حاولت رفع الذراعين في الوقت نفسه، ولكن دون جدوى.

فجأة، بدأت شاشة قريبة من أذنها تصدر صفيرًا، ازدادت دعرًا عندما سمعت صوت خفقان قلبها الخائف. كان صوتًا صاخبًا وسريعًا، مما أصابها بالذعر أكثر، فصوت الشاشة سينبتهه إلى أنها مستيقظة. ومن الواضح أنه قام بتشغيله لهذا السبب، الآن بدأ يلعب بأعصابها.

أرجوك يا إلهي اجعله أبطأ... اجعله لا يشعر أنني مستيقظة.

كان دعاءً مثيرًا للشفقة، ولكن المفارقة أن قلبها ينبض ببطء. حين انحنى فجأة فوقها، كانت أسنانها ظاهرة على شفتها السفلى. كان رأسه وكتفاه خارج دائرة رؤيتها، ولكنها رأت أمام وجهها مباشرة الثوب الجراحي الأزرق واليدين في القفازين البنفسجيين. مَدَّ يديه من فوقها وعلق كيسًا من السائل على حامل التنقيط.

قالت: "أوليفر، من فضلك لا تؤذني".

توسلت انطلاقًا من أسنان مصطكة: "أتوسل إليك". لم يرد. ابتعد عن سرير العمليات. أحست به يتوجه

إلى خزانة معدنية، لا شك أنه سيخرج منها مواد مخدرة.

أفرغت مئانتها. شعرت بالبلل الساخن بين ردفها. دوت صرخاتها في الغرفة، ثم واثناء بضع ثواب، تماكنت نفسها. لا بد أن يهرع أحد ما نحو الصوت، لا بد أنهم سيسمعون صراخها في الممرات، سيسمعها طبيب أو ممرضة أو حمال، أو حتى زائر عابر. لن تستسلم له هذه المرة. كان مذاق الدّم في فمها. بصقت في اتجاه ظنت أنه واقف هناك، قالت: "أنت حقيز. أنت جبان. أنت براز. سأقتلك أيها الأحمق".

استشاطت غضبًا. امتلا وجهها وصدرها عرقًا. منحتها حاجتها إلى الصراع القوّة. رفعت جسدها عاليًا قدر استطاعتها، رفعت صدرها وبطنها من على الطاولة عدّة بوصات، وضغطت رأسها على الحزام الذي كان ثابتًا لا يتزعزع. عندما شدت أحزمة الركاب، انغرز المعدن في عظام الكاحل، فانتقل الألم إلى الفخذين. كان معصماها وساعداها يحترقان أثناء الشدّ والفرك نتيجة الاحتكاك بالقيود، بينما تحاول التحرّر. كانت تستخدم كل عضلة في جسمها، كل أونصة من الطاقة، كانت تلتوي أملًا في شيء يخفّف أو يكسر القيود ويطلق سراحها، ولكن لم يحدث شيء من هذا.

أخيرًا، بعد أن تعبت، كان عليها أن تعترف بالهزيمة. فالعصبة التي على جبهتها لا تزال ثابتة، وذراعاها لا تزالان في الدعامات، وساقاها في الركاب. بدا الوضع ميؤوسًا منه، كانت عاجزة مثل طفل رضيع

بين يديه، يمكنه أن يفعل بها ما يشاء. لن يأتي أحد
راكضاً لنجدتها.

قالت في سزها متوسلة، ماغي من فضلك لا
تكوني ميتة... أرجوك تعالي بسرعة... لا تموتي.

الفصل الرابع والأربعون

بينما كان غريغ يرتشف قهوته السوداء، حاول التفكير بجميع الأحداث التي حصلت على مدى الأسابيع القليلة الماضية التي توزّطت فيها أليكس تايلور. استرجع الأحداث في ذهنه بترتيب زمني: ادّعاءها أنّ شخصاً ما قام باختطافها، وجودها أثناء موت إيمي أبوت، وجودها أثناء موت ليليان أرمسترونغ، وكذلك عند حدوث الخطأ شبه القاتل لتركيب العقار المخدر.

لقد كانت أليكس تايلور حاضرة أثناء كل تلك الحوادث. هل لورا بيست محقّة في ظنّها أنّ أليكس تايلور هي المسؤولة عن كل ذلك؟ والآن، لها صلة بقضية مقتل فيونا وودز، بطريقة وحشية، أيضاً. لقد كانت صديقتها المقرّبة. وكانت -حسب كارولين كاوان- شاهدة على ارتكاب أليكس الخطأ الجسيم في الدواء المخدر. ثرى هل قُتلت بسبب ذلك؟ هل عرفت معلومات تُجزم أقرب صديقة لها؟ وهل كان حكم غريغ على الموقف انطلاقا من تجاهله المتعمد للأمر، حكماً خاطئاً؟ وهل هو الآن يتحمّل جزئياً مسؤولية مقتل فيونا وودز؟ تنهد بعمق. أين هي أليكس تايلور الآن؟ إلى أين، أو إلى من يمكن أن تلجأ؟ باتريك فورد يظن أنه هو الشخص الذي ستلجأ إليه، إنّه يعرف مكانته في حياتها، ولم يراوده الشك في خطوتها اللاحقة.

أدرك غريغ، فجأة، أنه لم يشكك في أيّ شيء. حتى إنّه لم يسأل لماذا كانت الشرطة تبحث عن

اليكس. من المؤكد أن هذا ليس طبيعياً؟ ربما خطأ في الحكم على باتريك فورد، ربما يكون قد أمن لأليكس تايلور مكاناً للاختباء فيه.

قاطع عناصر الشرطة الذين كانوا حوله، سلسلة أفكاره، بأصوات جز الكراسي للجلوس وأصواتهم وهم يوجهون الأسئلة. دخلت لورا إلى غرفة الحدث، ولاحظ غريغ كيف تجفّع بعض عناصر الشرطة حولها، كما لو أنهم يحيون بطلاً عائداً من حربٍ عظيمة. يكيلون لها عبارات الإعجاب، بينما هي مستمتعة بلحظات المجد تلك. كانت مرتدية بزة أنيقة بلون أزرق غامق، وبلوزة رمادية، خفّت أن الاستعداد كان لاستقبال ضباط برتب عالية.

يبدو أنها كانت تأمل، أو تفترض أنهم سيأتون إلى مركز الشرطة، في حال القبض على الجاني، وربما كانت محقّة. حينها سيتعين إعطاء تصريح للصحافة. وستقوم الصحافة المحلية بإجراء مقابلة مع أحد الضباط، ولا شك لن يتم اختياره هو لهذه المهمة، فلم يكن يرتدي بزة مناسبة، ولا حتى قام بقص شعره وتصفيفه، لذلك كانت فرصة أن تكون هي في دائرة الضوء، كبيرة.

تساءل عن سبب عودتها. فحسب ما سمعه، أنها غادرت المستشفى. بدت متحمسة من أجل شيء ما. عيناها مشرقتان، أظهرت أسنانها العلوية وهي تعضّ على شفّتها السفلى. لن يطول الانتظار حتى يعرف الأمر.

قالت: "لقد أمنت مسرح الجريمة، يمكنك التحقّق

من ذلك بسرعة".

كان الكلام موجها إليه، لكنها حرصت على أن تُسمع الآخرين أيضًا. كانت نبرة صوتها رسمية، كما لو أنها هي الرئيسة وليس العكس.

أخذ رشفة بطيئة من قهوته وسألها بهدوء، محاولاً أن يعكّر صفو نشوتها بالتفوق: "أي مكان وأين؟".

"لقد تركت سيارتها مهجورة، غير مقفلة وباب السائق مفتوحاً، في الجهة الشمالية من المستشفى. لا شك أنها تركتها في الساعة الأخيرة؛ لأنها لم تكن مركونة هناك في وقت سابق. لا بد أنها ليست بعيدة من هنا، وأراهن على أنها في مكان ما من هذا المستشفى".

سأل: "من تقصدين بأنه لا يمكن أن يكون بعيداً؟".
ردت بانزعاج كما لو كان واضحاً عن تنحدث:
"بالطبع أقصد أليكس تايلور".

مشى ببطء عبر الغرفة متجهاً نحوها، متقصداً أن يكون بالقرب منها وهو يقول لها إنه لا يسمح لها أن تخاطبه بنبرة سخرية، وإذا لم تحترمه مرة أخرى، سوف يرفع اسمها في تقرير.

بينما كان على وشك التحدث، حصل أمران: تكشيرة الأنفة على وجه لورا بيست، وموقع الإنترنت الذي فتحه سابقاً. فقد قاطعته مكالمة جو الهاتفية قبل أن تسنح له الفرصة لمشاهدته، ونسي أن يعود إليه. ظهر في الموقع صورة صغيرة لرجل وسيم ذي شعر أشقر، بدا مهنداً بشكل جيد، كما

بدا أنه شخص يهتم بتفاصيله. عرفه غريغ بصعوبة. كان اسمه وتاريخ ميلاده ووفاته مكتوبين بجانب الصورة: أوليفر رايان (1979 - 2016).

كان الرجل الذي يحتاج إلى التحدث إليه مَيِّثًا. أغمضت عينيها من تأثير وهج الأضواء، فقد كانتا تحترقان من شدة البكاء، والطريقة الوحيدة لتهدئتهما هي إبقاؤهما مغمضتان. كان قلبها يخفق بصوت عالٍ، ولكن أقل سرعة من قبل. لقد استقر نبضها بوتيرة جيدة.

في حال تعرّضها لخوف شديد، من المحتمل أن تتعرّض لأزمة قلبية، بالرغم من صغر سنّها ولياقتها. استساغت الفكرة تقريبًا. سيكون موثًا سريعًا... حينها ستنتهي سيطرته عليها.

كانت أليكس تفكر بأنه إذا ما عاد هذه المرّة، سوف لن تقوم بصدّه، ولن تحاول منعه عقا سيفعل بها، وبعد ذلك تمّت أن يخونها قلبها وتموت. حبست أنفاسها لأنها شعرت بقدومه، ثم فتحت عينيها.

على الفور اعترتها فرحة غامرة، ذرفت المزيد من الدموع من شدّة الفرح، وعجزت عن النطق. ولأول مرّة يستجاب دعاؤها. لقد رأت وجه ماغي فوقها.

وسط العجلة، لم يخطر لها أن تسأل كيف ومتى وصلت إلى هنا؛ لأنه كان عليهما الخروج من هنا بسرعة. لقد كان قريبًا، وإذا رأى ماغي وقبض عليها، فستكون هي الأخرى في خطر.

همست سريعًا: "هيا. ساعديني على الوقوف.

أسرعي قبل أن يعود".

أقلت ماغي نظرة إلى الخلف، ثم انحنت نحو صديقتها قائلة: "إنه ليس هنا".

أجابت أليكس: "إذن، إنه ليس ببعيد عن هنا. استعجلي يا ماغي! سيعود في أي لحظة. فكّي قيودي".

رفعت ماغي الملاعة الخضراء، وأسقطتها في مكانها.

"أنتِ عارية".

صاحت أليكس: "فقط أخرجيني من هذا السرير اللعين!".

عضت ماغي شفتها، وبدأت لحظة كأنها على وشك البكاء. همست: "إنه ترك كل هذه الأشياء خارجاً". رفعت الأدوات الجراحية بيدها، ممّا كان إهداراً للثواني الثمينة. قالت: "لقد قلت لك لا يمكن أن يحدث الأمر بالطريقة التي أخبرتني بها".

قالت أليكس هامسةً بسرعة: "ليس لدينا وقت يا ماغي! من فضلك، سوف يقتل كلينا".

رفعت ماغي شيئاً بيدها، وقالت بنبرة متحمسة: "انظري يا أليكس! انظري ماذا وجدت!". قالت ذلك وهي تمسك قرصاً صغيراً من المطاط الأسود بين إصبعيها، كان يتدلّى منه سلك رفيع. قالت: "أنتِ تعرفين ما هو أليس كذلك؟".

بحثت بطريقة عاجلة وصاخبة بين الأدوات الضلّبة على صينية معدنية عن شيء ما.

صرخت أليكس بيأس: "اتركيه! اتركه، أرجوك يا ماغي!".

"لا أستطيع! هل تفهمين ما يعنيه هذا؟".

تحزّكت مبتعدةً عن رأس السرير. استطاعت أليكس أن تسمعها وهي تبحث بطريقة محمومة. قالت: "لا بدّ أنه هنا في مكان ما. أعرف أنه هنا".

مرّة أخرى انحنت من فوق أليكس، ربّنت في الفراغ حول رأسها، ثم تنفّست الضّعاء. قالت: "يا إلهي، إذن لقد كان...".

حملت شيئًا مربعًا فضي اللون بحجم علبة الثّقاب تقريبًا. وبمهارة، أرفقت شيئين بعضهما مع بعض.

تنهدت مرّة أخرى وقالت: "لقد كانت محض لعنة...". وضعت القرص المطاطي الأسود بالقرب من فمها وقالت: "من السهل خداعك".

تراجعت أليكس مذعورةً، كما لو أصابتها صعقة كهربائية، وجحظت عيناها فزعًا، الصوت! صوته! ولكنه خارج من فم ماغي! يا يسوع، لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا! ماغي، المرأة التي وثقت بها، وصدّقتها، وساعدتها...

ضحكت ماغي بطريقة قاسية، فأرعب صوتها أليكس. لم يخطر لها أن يكون الصوت صادرًا عن امرأة.

أداة صغيرة تقوم بتغيير الصوت، كانت الأداة مخفية تحت القناع الطبي، مما أوهمها أن المتحدث هو رجل. طوال الوقت كانت ماغي هي من تقف

إلى جانبها، مرتدية قناعاً وثوباً طبيًا، وزوجاً من القفازات بنفسجية اللون، خالقة مشهدًا تمثيليًا، باستخدام الأضواء الجراحية في التشويش عليها، وربط ذراعيها، حتى إنها ظنت أنه تم إدخال القنية الطبية في عروق يدها بالفعل، لكن في الواقع لم تفرز الإبرة في جلدها، فقط كان قد تم تثبيت الشريط الذي يحمل القنية على الجلد مثلما يفعلون في الدراما. إنها كما نعتتها ماغي، سهلة الخداع.

أبعدت ماغي الأداة عن شفيتها، ثم تنهدت، وابتسمت لأليكس قائلة: "هل أنت مرتاحة؟".

تم تطويق جانبي الطريق، وزُكنت سيارتا شرطة عند الشريط الأبيض والأزرق. بهذه الطريقة ستكون حركة المرور محدودة جدًا. تم إغلاق الخروج من الجانب الشمالي من المستشفى ليلاً، لذلك استخدم المدخل الرئيس للمستشفى في الدخول والخروج. بذلك يتم تخفيف الضوضاء على المنازل المجاورة.

عندما وصل غريغ إلى الموقع رأى أحد حراس أمن المستشفى يخبط بقدميه على الأرض من شدة البرد. حيث كانت لورا بيست قد كلفته بالتمركز هناك منذ البداية. لاحظ غريغ معاناة الرجل المسكين. ناداه: "يا هذا!".

نظر الرجل إلى الأعلى.

"اذهب لتتدفأ، وتناول مشروبًا ساخنًا".

رفع الرجل كتفيه بشك وقال: "شكرًا... هل تريد مني أن أرسل زميلي لينوب عني؟".

هز غريغ رأسه: "كلًا. في وقت قريب، سوف يحضر المزيد من عناصر الشرطة ليحيطوا بالمكان جيدًا. يمكنك أن تبلغ مدير الموقع بما يجري، فنحن لم نبغ أحدًا في المستشفى بعد".

أجاب الحارس: "أنت على حق... أنا ذاهب".

بينما كان يهرول من البرد بأطرافه المتجمدة، ارتدى غريغ زوجًا من القفازات المطاطية استعدادًا لفحص السيارة. لقد خطى بحذر حتى لا يفقد الأدلة المحتملة. كانت فارغة؛ لم تكن مختبئة في داخلها. جثا على مقعد السائق ليجد مقبض فتح صندوق السيارة. سحب مصباحًا يدويًا من جيب سترته، وبدأ بالتفتيش داخل السيارة. سيطرت صورة فيونا وودز على ذهنه، فقد كان يخشى العثور على جثة أخرى.

شعر غريغ بالارتياح بعد أن ألقى نظرة أولية على صندوق السيارة ومحتوياته، ولحسن الحظ، لم يعثر فيه على جثة. رأى حقيبة رياضية عليها شعار الماركة التجارية لنادي فيتنس فيرست للرياضة، فقام بفتحها، ووجد فيها ثيابًا للرياضة، ومواد تنظيف ومنشفة، وحذاء رياضيًا أخضر اللون، وطرْدًا من ست زجاجات ماء سعة 500 مل، واحدة منها ناقصة، وصندوقًا كرتونيًا يحوي معدات طبية وضمادات وإبر مختومة وأنايب وريدية. أزاح الصندوق جانبًا، رأى تحته ثيابًا، وتسارع نبض قلبه عندما جس قمة كبيرة غامقة مغطاة. رفعها ليكشف عن مجموعة من ستائر بلاستيكية طبية، زرقاء

اللون من النوع الذي يستخدم في غرف العمليات.
تبين له من طريقة طيها أنه تم استعمالها بالفعل.
رفعها من طرفها بشكل طفيف حتى يتمكن من
فصل الطبقات، وعلى ضوء المصباح رأى بقعا
حمراء داكنة. ارتجفت يده وترك الطبقات لتسقط
في مكانها. ثم حرك الستائر جانبا، فشهد إطازا
احتياطيًا من ماركة بيريللي.

سلط ضوء المصباح على طول الأخاديد
المطاطية، فوجد حبيبات رملٍ أسودٍ عالقة عليه.
تلفس بإصبعه الأخدود، ثم أخرج طرف قفازه
المطاطي الأزرق، لاحظ أنه لزج، إنه أسفلت. الآن
فهم سبب حماسة لورا الشديدة. من المؤكد أنها رأت
ما بداخل صندوق السيارة. وتعرف ما سيجده. لكن
بدل أن تبقى هنا مع السيارة، فضلت العودة إلى
مركز الشرطة ليكون هو من يعثر على الأدلة، ومن
ثم تستمتع باللحظة التي سيعود فيها، ويخبرها،
بحضور جميع زملائهم، بما اكتشفه، فتستمتع بتلك
اللحظة التي تثبت فيها صحة نظريتها. كما من
المؤكد أنها ستقول، لو أنهم قاموا بتفتيش سيارة
أليكس في وقت سابق، لكان من الممكن أن يمنعوا
قتل فيونا وودز. لكان بوسعها أن يمنع قتلها.

سمع صوت محرك ديزيل، فنظر إلى الطريق، ورأى
سيارة الطب الشرعي قادمة نحوهم. لوح للسائق
مشيرًا إليه أن يواصل التقدم.

شعر غريب بالإعياء حتى النخاع. كلما حاول
استبعاد فكرة توزط أليكس تايلور، يظهر شيء

جديد لإثبات خطاه. لكن هذه المرة كان الدليل دامغًا. كل شيء في السيارة يشير إلى أنها قتلت ليليان أرمسترونغ.

"سيدي؟"

"ماذا؟"

كان الشرطي المسؤول عن الأمن الذي قاده إلى مكان الحادث، يضيء مصباحًا يدويًا داخل سيارة الميني. ذهب غريغ إليه.

قال: "يوجد شريط دواء فارغ على مقعد السيارة".

سلط الرجل المصباح بوساطة باب السائق، فشاهد غريغ ثلاثة أشرطة حبوب فارغة. مَدَّ يده وأخذ واحدًا منها، حاول أن يجد اسم الدواء على الرقاقة الممزقة: ديازيبام.

اللعنة! أظن أنها تناولت جرعة زائدة.

الفصل الخامس والأربعون

كانت أليكس لا تزال تحت صدمة خداعها من قبل صديقتها. لكن عيني ماغي الممتلئتين بالحقد والشر، أكدت لها أنها الحقيقة. لم تشعر بعد بالخوف؛ لأن شعورها بمزيج من الصدمة والحزن على خسارة شخص أحبته، كان أقوى من الخوف.

استطاعت بشفتيها الجافتين والشاحبتين أن تسألها: "ما الذي فعلته بك؟ لا أفهم يا ماغي، ماذا فعلت؟".

ضدمت عندما بصقت على وجهها، وعدتها كاعتداء جسدي. من المستحيل أن تصدق فعلتها الخسيصة، لكن البلبل الذي على خديها كان دليلاً على مكانتها بالنسبة لماغى.

انحنت ماغي فوقها إلى مسافة قريبة جدًا، فصلت بصعوبة بين وجهيهما بوصة واحدة فقط، وعندما تحدثت شعرت أليكس بأنفاسها الحارة على خدها: "هل سبق لك أن رأيت أحدا يموت؟".

أغمضت أليكس عينيها لحظة في وجه ماغي الذي كان يطفح حقًا.

قالت ماغي بذات الهمس الجليدي: "بالطبع رأيت. إنك تشاهدين ذلك كل يوم. لكن الأمر مختلف حين يكون الذي يموت شخصًا تحببته". تابعت قائلة: "أنا رأيت أوليفر وهو يموت، لم يكن مشهدًا ممتعا، الحبل... وجهه... لسانه الأسود... أنا أعيش مع تلك الصورة التي لا تفارق مخيلتي. يا أليكس،

لطالما عاتبثهم. عاتبث كل واحد منهم. وكنت محقة في ذلك. توجد نساء هناك... عاهرات... مومسات، فاسقات، يقمن باستعراض بضائعهن، ثم يتعففن. وهناك الذكيات اللواتي يجذبن الرجال ويقمن بإثارتهم. نساء مثلك يعتقدن أن من حقهن استدراج رجال... استدراج رجال صالحين".

بدأ جهاز مراقبة القلب، الذي كان بجانب أليكس، يُصدر صفيزا، وكشف عن نبضات قلبها التي تجاوزت الحد الآمن. استعادت ما مز معها في الصباح، فرأت ماغي واقفة في المطبخ تلوح بأوراق كانت قد طبعتها من الإنترنت. تبين أن أوليفر رايان يظهر في دراما تاريخية في باث. لا يمكن أن يكون قد مات... ما لم تكن ماغي كاذبة. وبالطبع كانت كاذبة. لقد كانت قد أعدت لكل شيء لكي توهم أليكس بأنها اتصلت بأوليفر ورثبت معه موعدا ليلتقي بها.

ازدادت فزغا من إدراك حقيقة أن كل شيء كان مدبزا.

كانت ماغي قد خططت لجعلها تعيش حالة رعب لأطول مدة، بشكلٍ فظيع.

"ماغي، أنا لم أقم بإغرائه أبدا. هو من هاجمني". فجأة، قامت ماغي بالضغط، بقطعة من القماش، على فم أليكس بكامل قوتها، حتى كادت تحطم أسنانها. وقد سرى الألم الشديد في فكها إلى رقبتها. "أغلقني فمك القذرا لم يهاجم أوليفر امرأة قط. لم يدنس نفسه مع امرأة مثلك".

عدلت ماغي وضعية قطعة القماش بحيث غطت
أنفها أيضًا، ولم يعد بإمكان أليكس التنفس.

حاولت جاهدة تحريك رأسها لإبعاد أنفها عن الكتم
واستنشاق الهواء، وعندما رفعت القماش عن وجهها
لهتت أليكس بشدة.

قالت ماغي: "كدت أن أستسلم، وأقوم بقتلك
بسرعة. أتوقع أن هذا ما تتمنيه، لكن أمامنا ليلة
طويلة يا أليكس. أمامنا وقت فائض لأنفذ ما أخطط
له. أنت الآن تحتاجين إلى راحة، أريدك أن تتهيئي
لما أنوي فعله. لكن من الأفضل أن تلزمي الصمت".

حملت الدباسة لكي تراها أليكس.

على الرغم من خوفها الشديد، إلا أن أليكس
لم تكن قد استسلمت بعد. كانت قد قرّرت عدم
المقاومة، والإذعان للخوف حتى الموت، فلا بد أن
ينتهي الأمر. لكنها لم تستطع، أقنعت نفسها بفكرة
أن فرصة لا تزال أمامها.

قالت: "لن تفلتي من العقاب يا ماغي. عندما
يعثرون عليّ، سيبحثون عنك، وسيجدون الوسيلة
التي تقودهم إليك. أوليفر سيقودهم إليك،
سيكتشفون أنه كان حبيبك".

ضحكت ماغي ضحكة فيها تكلف: "أوليفر كان
ممثلًا، وحياته الخاصة هي ملكه، وسوف لن يجدوا
أي رابط بيني وبينه. لقد أحبني وأراد أن يحميني،
لذلك أبقى علاقتي به سرية".

رغبت أليكس أن تؤذيها وتصدّمها بأي كلام

يخرجها من أوهامها، فقالت: "إنه لم يكن يحبك! ربما كان يستخدمك. فانت تملكين منزلاً يضاهاى ثروة. أنتِ بنفسكِ أخبرتني بأنه كان يأتي إلى منزلكِ بهدف استخدام استوديو والديكِ والسبب الوحيد الذي أبقى من أجله علاقته بكِ سراً هو أن يبقى حراً في إقامة علاقات عاطفية مع نساءٍ أخريات".

خطف صوت الدباسة أنفاس أليكس التي كانت قد التقطتها للتو. ضربت ماغي جمجمة أليكس بالدباسة، ثم أطلقت عذة دبائيس حادة، بشكل متواصل، حتى انقطعت أنفاسها من شدة الألم.

"أيتها العاهرة... أيتها العاهرة الكاذبة. إن لم تغلقي فمك، فسأغلقه لكِ بالدباسة".

كانت الدموع تنهمر من عيني أليكس، وهي تنظر إلى وجه ماغي الذي بدا مشوشاً. لقد استمرت بشجاعة في السخرية منها، فهي فضّلت أن تستمر في إثارة غضبها لتحرضها على قتلها بدل من تحمّل هذا الانتظار البطيء حتى الموت.

قالت: "إن ريتشارد سيكيرت سيخبر الشرطة بأنك قمتِ بإرسالني إليه. إنه سيقودهم إليكِ يا ماغي".

هذه المرة، بدت ضحكة ماغي حقيقية، قالت: "أيتها الحمقاء، ولم لا أرسلكِ لتحصلي على مساعدة طبيب مختص؟ الجميع يعلم أنكِ بدأتِ تنهارين في الآونة الأخيرة. الدكتور سيكيرت سيقوم فقط بتأكيد ما يظنه الجميع بأنك مجنونة". بدت ابتسامتها مجنونة وتحدثت بنبرة فتاة مريضة: "أوه يا ماغي. أنا خائفة. ساعديني يا ماغي. ساعديني".

ثم ضغطت على جبهة أليكس بإصبعها بقوة قائلة: "لا أعرف كيف أهدر أوليفر وقته معك. حقًا أنت غبية. لكن لم يعد هناك أهمية لكل هذا، لقد مات. وبحلول الغد، ستكونين مثله ميتة. الآن لدي الكثير لأقوم بتحضيره، أريدك أن تبقي مستلقية هنا وتسترخي، ستحتاجين إلى كل قوتك". ثم ابتسمت قائلة: "هل أخبرتك بما خططت له؟".

كل ما كان بوسع أليكس فعله هو التحديق. لا شك أن ماغي كانت مجنونة حتى تتصرف بهذا الشكل، كان حقدًا خارجًا عن السيطرة تمامًا.

تيقنت أليكس الآن أن تفكك حياتها قد تم التخطيط له. لقد تعقدت ماغي فيلدينغ دخول حياتها بقصد تدميرها.

"سيأتون للبحث عنك يا ماغي".

"كلا، لن يفعلوا. لقد أخبرتهم بأن من يلاحقك هو رجل".

تفت دعوة عدد كبير من ضباط الشرطة إلى مقصف المستشفى، الذي فتحه مدير الموقع خصيصًا لهذا الاجتماع. دعاهم غريغ إلى الانتباه. قال بصوت عالٍ: "اهدؤوا واستمعوا".

كانت لورا بيست في المقدمة، محتفظة بذات الحماسة واليقظة التي تم تغذيتها بالأدرينالين باحتمال اقتراب الصيد.

وعلى وجه السرعة، استدعى مدير الموقع الرئيس التنفيذي وتم الحصول منه على المخطط المعماري

للمستشفى. ثم أمر بوضع إحدى طاوولات المقصف لاستعراض الرسومات. وعندما أصبح كل شيء جاهزاً، تحدث إلى الضابط حول المخطط، ومن ثم قام غريغ بتوزيعهم على مجموعات، للبدء بعملية البحث. لقد اعترف بأن لورا بيست كانت محقة، ولا بد أن أليكس تايلور مختبئة في مكان ما في المستشفى. كان لدى لورا ميزة اكتشاف الأماكن الخفية. قامت بحملة بحث دقيقة لمباني المستشفى والمساحات التابعة لها. لقد كان المكان مثل بلدة صغيرة.

قبل الدخول إلى المقصف، سمع غريغ رنين هاتفه المحمول، تفاعاً بصوت سيب موريسي وسط ضجيج شفرات المروحية.

"ماذا تفعل يا سيب؟ لا يمكنك أن تسلك الطريق هنا، ماذا جئت تفعل وأنت تحوم هنا؟".

أجاب ببرود: "لدينا حالة غرق".

قال غريغ، وقد علقت غصة في حلقه: "هل هي أليكس؟".

أجاب سيب: "كلاً، إنه رجل في منتصف العمر. لقد عثروا على جثته للتو في النهر. قيل أنه يرتدي قلادة عسكرية، لذا يجب أن تتعرف عليه".

شعر غريغ بارتياح لأنها لم تكن أليكس.

"لكنني سأبقى هنا الآن للمساعدة في البحث عنها".

"لا يمكنك الوقوف في الطريق يا سيب. هذا عمل

الشرطة".

"أنت مخطئ يا تورنر".

كان الغضب في صوت الطيار واضحاً، وتابع:
"أليكس لم تؤذ ذبابة. لقد أخطأت لمجرد أن سمحت
لنفسك أن تفكر ولو للحظة أنها قتلت فيونا. لقد
كانت فيونا وودز بمنزلة أختها، وقاتلها هو من
خطف أليكس".

قال غريغ بهدوء: "يجب أن نعثر عليها يا سيب.
نحن بحاجة لاستجوابها. وإذا سمعت عنها أي شيء،
أخبرني بذلك".

"تورنر، لقد كان حكمي عليك خاطئاً. ظننت أن
لديك شيئاً من الرؤيا. سأبقى هنا ولا تحاول أن
توقفني. أليكس في خطر، وأنت غبي بحيث لا تدرك
ذلك".

صدم رأي الرجل -الذي كان عفا يحدث، وليس عن
أمر شخصية- غريغ. لنفترض أنه كان على حق،
وأن أليكس تايلور لم تكن مختبئة، وإنما كانت في
قبضة القاتل الحقيقي. من الممكن أن تكون عبوات
الدواء الفارغة الموجودة في سيارتها، قد تم دسها.
من الممكن أن تكون ميتة، ويمكن أن يكون كل من
يتهمها مخطئاً. عدم اليقين والتردد أثقلا تفكيره.
لكنه لم يعد يستطيع أن يترك العواطف تعميته، أو أن
يختبئ من الحقيقة بعد الآن.

شاهد لقطات كاميرات المراقبة بعد ظهيرة يوم
أمس مرة أخرى، وكاد يتجاهل الحفال الذي يدفع
عربةً عبر الممر. تحدث إلى الرجل منذ وقت ليس

ببعيد، حينها قال له إن العربة كانت تحمل أدوات
مسخة وأكياس غسيل. من المعتاد في ذلك الوقت
من اليوم استخدام عربة كبيرة لنقل الحمول؛ لم
يكن يتم استخدام المصعد الخاص بنقل المعدات،
إلا عندما تكون هناك حاجة طارئة لنقل نوع معين
من المعدات بشكل عاجل. ظهرت صورة الحفّال
في الساعة السادسة، وشوهدت فيونا وودز في
الطابق الأول بالقرب من غرفة العمليات الرئيسية،
في الساعة السادسة والثلاث. من المحتمل أن تكون
أليكس تايلور قد عرفت بهذه العملية، وانتهزت
الفرصة، مخفنة أنه لن يتم استخدام المصعد مدة
من الوقت، حتى تمكنت من إخفاء جثمان فيونا
فيه. وحسب ناثن بيل، عندما ذهب لزيارتها في
شققتها في وقت لاحق من ذلك المساء، كانت لا تزال
ترتدي معطفها. ربما كان الغرض من الإبقاء على
المعطف هو إخفاء دم فيونا وودز.

لكن الدليل الدامغ كان هاتفها المحمول، حيث
سلمه إليه بيتر سبنسر، بعد أن تم العثور عليه في
خزانة أليكس.

آخر رسالة كانت مرسلة إلى فيونا في الساعة
السادسة ودقيقتين، تقول فيها: "قابليني في غرفة
العمليات، لقد وجدتها. لا تخبري أحداً بذلك."

بهذا الدليل القاطع، لم يعد بإمكانه تجاهل
الحقيقة.

كانت وجوه الضباط متجهة بانتباه إليه، ينتظرون
منه أن يبدأ.

"تذكروا أنه يوجد في هذا المبنى أناس مرضى ما زالوا بحاجة إلى الاعتناء بهم، لا تشغلوا أي من الموظفين دون داع. قوموا بإنجاز كل عملية تفتيش بشكلٍ دقيقٍ، بحيث لا تضطروا إلى إعادة التفتيش، ثم انتقلوا إلى المكان اللاحق. تم إغلاق جميع المخارج، حتى إذا كانت هنا، لا تتمكن من الهروب. سيقوم كبير ضباط الإطفاء بشرح مخطط المستشفى ومحيطه، استمعوا إليه بعناية حتى لا يفوتكم أي مكان". التقط أنفاسه متجنبًا أن تلتقي عيناه بعيني لورا. ثم تابع: "أخيرًا، كونوا حذرين إن وجدتموها. قد تكون مسلحة وخطيرة. أكدّر القول: لا تعرضوا أنفسكم للخطر. بمجرد أن تتضح لكم الصورة، اتصلوا بوحدة الدعم".

سألت لورا بيست: "هل ستجلب عناصر مسلحة؟".
هز رأسه قائلاً: "كلا".

جادلته بلهجة صارمة: "للتو قلت بأنها يمكن أن تكون مسلحة وخطيرة. أظن أنه يجب عليك إعادة النظر في الأمر يا سيدي".

كان غريب قد اكتفى من تحقّل غطرتها، فقال: "يمكنني أن أقول وأفعل ما أحب".

أراد أن يتخلص من تلك البقرة الصغيرة والكرهية من على ظهره مزّة واحدة وإلى الأبد، مهما كلفه الأمر.

"المحققة بيست، عندما أريد رأيك سأطلب ذلك منك. من فضلك، لا تظني أنه لمجرد كان لدينا خمس دقائق من التساهل، يمكنك أن تتأمري علي،

وعلى بقية العناصر". نظر غريغ إلى دينيس مورغان حيث احمز لونه من الصدمة. ثم تابع: "سوف تتلقين الأوامر مثل باقي العناصر، وسوف تنفذها حسب التعليمات. هل هذا واضح؟".

ساد الغرفة صمٹ مريب، فعر ف غريغ انه اضر بحياته المهنية، لكن الأمر كان يستحق ذلك.

لاحظ نظرات العديد من الضباط إليه وهم في حالة دهشة. ينظرون إليها وهم يهزون رؤوسهم بحركة رافضة لما حدث. لا شك أن الأمر يستحق ما فعله، حتى لو كان من أجل وضع حد للسلطة التي تمارسها عليه، فقط.

الفصل السادس والأربعون

ارتجفت أليكس من البرد. القماش الذي بللته سابقًا ما زال تحت الجزء السفلي من ظهرها ومؤخرتها. كانت تشعر بالبرد والعطش. كيس السيروم المعلق فوق رأسها لا يزال ممتلئًا، فاستنتجت أن ماغي، إما تركته عن قصد، أو أن الأنابيب الموصولة بالسيروم لم تكن موصولة بها. أي أنه لا توجد إبر مغروزة في ذراعيها تحت الملاءة التي تغطيها. وإن كان ذلك صحيحًا، فلربما بقية الأمر خدعة أيضًا. ستستيقظ لاحقًا لتكتشف أن الأمر برمته كان مجرد أوهام، مجددًا. لا آثار إبر، لا دليل لإثبات ما حصل معها.

يا لذكاء ماغي، عملية الاختطاف الأولى، كانت تجربة مثالية لتتأكد أن لا أحد سيصدقها. كانت أليكس ستبدو مختلة وهي تحاول إقناع الشرطة وزملاءها وباتريك بأنها صادقة. ولكن كيف لهم أن يصدقونها، ولم يحدث لها شيء، باستثناء تنويمها؟

ظلت وحدها مدة طويلة، ربما حوالي ساعة، لم يكن لديها أدنى فكرة عن الوقت. كانت الغرفة التي مكثت فيها هادئة، الشاشة والأضواء مطفاة. لم يكن هناك تحذير. ماغي أطفأت كل شيء وتركتها هناك وسط الظلام.

الفكرة التي ظلت تتسلل إلى عقلها وتسيطر عليها بقوة هي أن ماغي قد تركتها هناك إلى الأبد. تركتها لكي تموت ببطء، من العطش والبرد. سوف تتوقف أعضاء جسمها عن العمل رويدًا رويدًا. سيصبح قلبها ضعيفًا، وجلدها شاحبًا وباردًا. ستصبح خاملة

ومشوشة، ثم تصاب أعضائها بالتهيج. ستتوقف
كلاهما عن العمل، إلى أن يستسلم جسدها تمامًا.

فكرت أليكس بجميع الناس الذين تحبهم، والذين
سوف تتركهم خلفها. تساءلت عن مدى سرعتهم في
إطلاق إنذار الخطر.

بالنسبة لوالدتها، بكل تأكيد، حتى يوم الغد. إنها
ليلة عيد الميلاد، وسوف تستفقدتها وتتساءل عن
السبب الذي منع أليكس من الاتصال بها، والتأكد
منها بشأن تحضيرات يوم العيد. كارولين سوف
تنتبه أيضًا؛ لأن مناوبة أليكس كانت في الصباح
الباكر. كذلك فيونا لديها مناوبة باكراً، تأكدت أليكس
من عملها، فقد كانت تنوي أن تقدم لها الهدية التي
اشترتها. فيونا تحب الأشياء الجميلة، وعندما رأت
أليكس ملابس نوم ذات لون فضي لؤلؤي، من نوع
الساتان، اشترتها دون تردد، وهي واثقة من أنها
الخيار المناسب لصديقتها.

قد يفتقدها ناثان في وقت أبكر. قد يتصل لكي
يتمنى لها ليلة سعيدة. إن لم ترد على مكالمته، فقد
يظن أنها مع باتريك. أملت ألا يحصل ذلك؛ لأنها
إن لم تنج من هذا، لا تريد له أن يعيش مع شعور
بالذنب.

لقد مارس معها الجنس بطريقة لم تختبرها من
قبل. ولا حتى مع باتريك في بداية علاقتها. باتريك
لم يلمسها قط بدافع الحاجة للمساها. ناثان كان
يقبلها ويلمسها لأنه بدا بحاجة شديدة لذلك. حتى
عندما كان نائفاً، كان يحتضنها بين ذراعيه.

فجأة، هزها صوت تصفيق عالٍ. لقد عادت ماغي. كانت واقفة في مكان ما في الظلام. ارتعدت أليكس من الخوف. هل كانت واقفة هناك طوال الوقت منتظرة أن تبدأ؟

توقف التصفيق. رمشت أليكس بعينيها عندما عادت الأضواء. كان الوهج قاسيًا كالعادة.

حجب وجه ماغي الضوء لحظيًا وهي تتكئ على سرير العمليات.

قالت بسرور: "استيقظي".

أحسّت أليكس بها تتحرك خلف رأس السرير. عندما تم تشغيل جهاز ما، أطلق صفير إنذار، سمعت صوت صرير، وتعرفت عليه أليكس في الحال: كان صوت جهاز إنعاش بعد أن تم تشغيله.

لقد بدأت أخيرًا. انتهى الانتظار. هذه المرة، سوف تقوم ماغي فيلدينغ بتخديرها، وتفعل بها أمورًا يستحيل النجاة منها. أحسّت أليكس بألم حقيقي في جسدها، وهي تتوقع ما يكاد أن يحصل لجسمها. قد يتم فتح جرح فيه، أو يتم تقطيعه حتى، الأمر متوقف على ماغي، وكم ترغب أن تكون خلاقة.

أنت في دعرٍ باقتراب النهاية. ثم واجهت خوفها، تخيلت وجه والدتها. كانت مبتسمة ابتسامة لطيفة ومسالمة جعلت أليكس تحس بشيء من الراحة. سوف ينتهي هذا قريبًا. توقفت عن البكاء وهي متمسكة بصورة والدتها في مخيلتها.

كانت المروحة تصدر صريرًا، صريرًا يشبه إيقاع

جهاز إنعاش عادي. يمكن لأليكس سماع أسطوانات الغاز وهي تُطلق الغاز، بعد أن تم تشغيلها. كان هناك أصوات صفير عالية عند تنفيذ فحوصات السلامة.

ظهر وجه ماغي مجدداً. كانت ترتدي ثوب جراحة فوق ملابسها الزرقاء الطبية، وعلى رأسها غطاء طبي، وفي يدها قفازات مطاطية بنفسجية اللون. إنها جاهزة للعمل.

الغريب في الأمر هو أنها بدلاً من أن تخاف، منحها الزي الطبي شعوراً بالارتياح. أدركت أليكس أنها تستطيع التغلب على خوفها. ماغي فيلدينغ طبيبة، إذن هي في أيد أمينة. كزرت تلك الجملة كأنها تعويذة، مركزة على الكلمات وهي تعيدها في ذهنها: ماغي فيلدينغ طبيبة، وأنا في أيد أمينة.

قاطعتها ماغي قائلة: "لم تسنح لي الفرصة بأن أخبرك بخططي".

ماغي فيلدينغ طبيبة، وأنا في أيد أمينة.

"تذكرين أساسيات التخدير، أليس كذلك يا أليكس؟ بالطبع تذكرين. في حال كنت قد نسيت: التخدير هو نومٌ دون إحساس أو ألم".

ماغي فيلدينغ طبيبة، وأنا في أيد أمينة.

كانت الآن تصرخ بتلك الكلمات في رأسها.

"تخيّلني ما قد يحصل لك إن تلقيت مرخياً عضلياً فقط. ستحتاجين، بالطبع، إلى الإنعاش؛ لأنك سوف لن تستطيعين التنفّس. ستكونين يقظة، ولكن غير قادرة على الحركة. وأما الألم... حسناً، فسوف

تشعرين بالألم. ستشعرين بكل شيء أفعله بك".

حملت ماغي حقنة مليئة بسائل، وقالت: "إنها خطة جيدة، أليس كذلك يا أليكس؟".

قاربت الساعة الثانية من البحث على الانتهاء، وكان مظهر لورا بيست الأنيق قد تغير. كان شعرها مبتلاً بسبب المطر، والكحل يسيل من رموشها. وفي طرف كمّ معطفها الأيمن، حصل تمزقٌ صغير، بعد أن علق بحافة حادة في أحد أكواخ حاويات القمامة. كانت تتصبّب عرقاً، وحذاؤها ذو الكعب العالي يضغط على قدميها.

كانت متعبة وعطشة، وغاضبة للغاية من غريغ تورنر. كيف تجرأ على إحراجها هكذا أمام الآخرين؟ سمعت شرطية تقهقه خلفها، فتعهدت أن تجد طريقة تجعلها تدفع الثمن. أما بالنسبة إلى غريغ، فإن كان يظن أنه يستطيع أن ينجو بفعلته سالقاً، ويقوم بكشف علاقتهما للعلن، فيجب عليه أن يعيد التفكير قبل أن يقدم على ذلك. ستبوح بالقصة من جانبها هي - كم كان صعباً أن ترفضه، خاصة أنه الضابط المسؤول عنها. لن ينجو بفعلته لمعاملتها بهذه الطريقة.

عند وصولها إلى السقيفة التالية، تراجعت وتركت دينيس يسبقها. فقد كانت بذلتها قد تضررت بما فيه الكفاية. فتح دينيس الباب، موجهًا ضوء مصباحه إلى الداخل.

"يجب أن تدخل تماقاً، أخرج الحاويات، وفشش في داخلها". ثم صرخت في داخل الكوخ: "قد

تكونين مختبئة داخل إحداها، أليس كذلك يا دكتورة تايلور؟".

بقي دينيس عند الباب دون أن يكمل إلى الداخل. ثم سلط المصباح على وجه لورا: "إن كنتِ تريدين إخراج الحاويات، فأخرجيها بنفسك. أنا لست عبداً عندك".

ذهشت وهلة، وفغرت فاهها، ثم قالت: "ماذا تقول بحق الجحيم! كيف تجرؤ على التحدث معي بهذه الطريقة؟".

"كنتِ مع الرئيس! والآن أنتِ مع شرطيّ وضع. إذن يا لورا، ما أنا إلا الساذج المسكين الذي استخدمته لإغاظته؟".

ضربت لورا قدمها بالأرض بقوة وقالت: "سوف أخبزُ عنك في التقرير يا دينيس مورغان، كيف تجرؤ على عصيان أوامري".

وجهت المصباح إلى وجهه حتى تتمكن من رؤية ردة فعله.

قدّم لها التحية بإصبعين والابتسامة على وجهه.

كان غريغ يستطيع سماع دويّ شفرات الهيلكوبتر عبر جدران المقصف. كان سيّب، ومنذ نصف ساعة، يحوم فوق المستشفى، موجّهاً الضوء على أراضي المستشفى. وعندما استعدّ للهبوط، تمّ تشغيل أضواء الإنذار الزرقاء خارج قسم الطوارئ. فجأة، رَجْ هاتفه المحمول، عند صدره، فجفل، وأدرك أن المتصل هو الرجل الذي في باله.

"ماذا تريد يا سيب؟".

"فقط أردت أن أتأكد إن كنت قد عدت إلى رشدك".
انتقل غريغ إلى إحدى النوافذ حتى يستطيع رؤية
الطائرة المروحية، مع أنه شك في أن يتمكن سيب
من رؤيته.

"أنا، فقط، أقوم بعملي يا سيب".

"يا رجل، أنت مخطئ بشأنها. يستحيل أن تنهي
اليكس حياة أحد ما. لقد أخبرتك كيف أنقذتني".
"سيب...".

"أعرف أنك لست بحاجة لسماع ذلك. أنت تقوم
بعملك فقط. حسناً، لقد عددتها قاتلة، وأنت لا تعرفها
حتى".

تنهد غريغ وقال: "الناس تتغير يا سيب. شيء ما
يتفكك بداخلهم، ويقومون بأمورٍ قد يستحيل أن
يقوموا بها عادة".

أجاب سيب بغضب: "تعني كأن يقدموا على قتل
صديقهم المقرب؟".

سمع غريغ صوت شهقته، ثم قال سيب مجدداً:
"اليكس لم تفعلها. عليك أن تقتنع بذلك عاجلاً، قبل
أن تجدها ميتة".

الفصل السابع والأربعون

"أرجوك يا ماغي، أخبريني لماذا قمتِ بقتلهن، على الأقل دعيني أفهم السبب".

ومضت عينا ماغي من فوق القناع: "لن تمنعيني عن القيام بما خططتُ له يا أليكس. فقط، تقومين بتأخير ما لا مفر منه".

"من المؤكّد أنك تريدين مني أن أعرف. لماذا تركتني أعيش في المزة الأولى؟ لماذا قتلتِ إيمي أبوت؟".

أزاحت ماغي قناعها إلى أسفل ذقنها وقالت: "تظنين أنك ذكية. تظنين أنك ستجعليني أتكلّم، وسوف أصفح عنك في النهاية. لقد انتهت حياتي في اليوم الذي قابلك فيه أوليفر. إنك تلاعبت به، ثم ائهمته!".

تكلّمت بهدوء، لكن أليكس لم تتخدع بأنّ مزاجها قد تغير وزال غضبها.

"لقد حاول اغتصابي!".

قالت: "اغتصاب؟ هو لم يكن ليفرض نفسه على أيّ امرأة".

قالت أليكس بسخرية: "لا، بالطبع لم يفعل؟ كان عليه فقط دفع ثمن ذلك! لهذا قتلتِ ليليان أرمسترونغ؟ هل لأن أوليفر الكريم دفع لها مقابل ممارسة الجنس؟".

كشفت عن أسنانها، فهدت كدمية باربي سميئة، واقفة في انتظار الشاري الذي لم يأت بعد. وقالت:

"عرضت عليها النزول من المنزل، وقلت لها إنني أركن سيارتي في موقف السيارات، لدقيقة فقط، ريثما أجلب شيئاً من شقتي. وكنت قد استخدمت مفتاحك لفتح البوابة، ثم توجهت لركن السيارة في المساحة الخاصة بك، وطلبت منها أن تساعدني ما لم يكن لديها مانع، فأنت تعرفين حجم سيارتي. وافقت أن تساعدني بسرور. بينما كانت واقفة تلوح لي بيدها، كانت ضربة واحدة كفيلة بأن تجعلها تتكؤم على الأرض، وطبعاً هرعث إليها. نظرت إليّ كحمقاء سميئة، بفخذيها العاريين، وثدييها المترهلين، والمساحيق اللامعة على وجهها. أردت أن أخبرها بطريقة بشعة بأنها ستموت. لكن بدلاً من ذلك، انحنيت، ومددتها في وضعية مريحة. قلت لها: لا تتحرّكي، أنا طبيبة وسأقوم بفحصك. ما كان يجب أن أقوله لها هو: سأقوم بدعسك".

قالت أليكس في حالة من الإعياء: "لا أريد أن أسمع المزيد".

قالت ماغي ساخرة: "لكّك أنت من طلبت مني أن أتحدّث. عليك أن تسمعي الجزء الأفضل في القصة. لقد كنت أشاهدك حين كنت تحاولين إنقاذ حياتها. كدت تكتشفين أمري. عندما سمعك تصلين، أوقفت سيارتي بسرعة، جلست هناك وبدأت أراقبك. حقاً كنت جيدة يا أليكس، تمثيث لو بقيت هناك لكي أسمعك وأنت تشرحين عن حالة موت جديدة. لكن بقائي كان سيعرضني للخطر. لذا خرجت، فقط، من سيارتي وتركتها في موقف السيارات، ثم سرت مبتعدة عن المكان".

"انت وحش يا ماغي. لا بد انه سيتم القبض عليك. لست ذكية كما تظنين. لقد تركت آثار الإطار على صدرها!".

ابتسمت ماغي: "المعذرة! انت مخطئة مرة أخرى يا أليكس، إنها آثار إطار سيارتك أنت، أخذت العجلة الاحتياطية الخاصة بك، وقمت بتدويرها قليلاً، على الطريق الأسفلتي في ساحة المستشفى، ثم دحرجته على صدرها. وقد أعدته إلى سيارتك من جديد. لذلك لا تقلقي بشأن الحصول على عجلة جديدة".

انهمرت دموع الإحباط على وجه أليكس وقالت: "وماذا عن إيمي؟".

هزت ماغي رأسها قائلة: "لا مزيد من الأسئلة يا أليكس. لقد حان الوقت...".

في المقصف، فوجئ غريغ بناثان بيل وهو يحمل كوبين من القهوة وينضم إليه على طاولته. كان يرتدي سترةً وسروالاً خاصاً بقسم الطوارئ.

سأله غريغ: "هل كنت تعمل هذا الصباح؟". ثم قال مصححاً، وهو يراقب ساعة يده: "أعني صباح أمس".

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية صباحاً.

"هناك نقص في عدد الموظفين. أخذت عدة ساعات راحة في وقت سابق، على أي حال، العمل يجعلك في حالة انشغال".

تناول غريغ أحد الكوبين، وأخذ رشفة من القهوة

"لا بدّ من العثور عليها بسرعة، ربما كانت فاقدة للوعي. إلى متى ستبحث في المستشفى؟ لو كانت هنا، بالتأكيد لكنت وجدتتها الآن، أليس كذلك؟".

تجاهل غريغ ناثنان، وبدأ يفكر في سزّه بذات الأمر. لقد قاموا بتغطية كل شبر من المكان، تقريبًا، وقد أعاد معظم العناصر إلى مركز الشرطة، بقي عدد قليل منهم لا يزالون يفتشون المكان، ومن بينهم لورا بيست، التي تصرّ على أن الطبيبة لا بدّ أن تكون في مكان ما في المستشفى. سمح لها غريغ بالاستمرار في البحث، طالما بقيت بعيدة عنه، فهو لا يهتم. منذ انفجاره في وجهها، في ثورة غضب، في وقت سابق من ذلك اليوم، بدأ يشعر بسلام أكثر من أيّ وقت مضى. لا يهتمه لو اضطرّ غداً إلى مواجهة المدير، أو تمّ توقيفه عن العمل. فإذا ما حدث ذلك، سيذهب لرؤية جو، وسيقضي اليوم مع ابنه.

كان الإرهاق قد جعله في حالة ارتياح جزئي بشأن المسألة برمّتها. لكن الارتياح الحقيقي بالنسبة له هو التخلّص من رؤيتها. بعض الضباط ربتوا على كتفه، وأكثر من واحد منهم علّق مثنياً عليه: "أحسنّت".

وتكرّرت عبارة "حسنًا فعلت يا صديقي" ... تكرّرت عدّة مرّات. علّقوا بنبرة توحى بأنه قام بعمل جيد. لكن غريغ يعرف أنهم مخطئون، فهو من أخطأ حين قام بممارسة الجنس مع ضابطة صغيرة دون أن يفكر في العواقب. لقد تصرّف حينها بخسة. كان

عليه أن يواجه ما فعلته.

قال ناثان بيل مقتحمًا شرود غريغ، بصيغة تأكيد أكثر منها صيغة سؤال: "ما زلت مقتنعا أنها هي الجانية؟".

كان الإحباط والقلق واضحين في عيني الطبيب، لذا رغب غريغ أن يطمئنه قليلاً، فقال: "بعد انتهاء القضية، ستكون بحاجة إلى أشخاص مثلك لدعمها. إنها محظوظة لوجودك بحياتها يا دكتور بيل، لن تجد الكثير من الأشخاص لمساندتها في مثل هذه الظروف".

هز ناثان بيل رأسه بحركات سريعة قائلاً: "سعيدة الحظ؟ أنا هو المحظوظ. لقد كبرت وصرث رجلاً وأنا وحيد؛ لأن والدتي كانت امرأة جاهلة. منذ يفاعتي وهي تزرع في فكرة أن الغرور خطيئة، ويجب علي أن أتقبل نفسي كما ولدت. تعلمت ألا أنظر إلى وجهي، وأن أتجاهل سبب ابتعاد الآخرين عني، مشيرًا إلى الوحمة على وجهه". ثم تابع: "عشت وحيدًا إلى أن التقيت أليكس. إنها ليست قاتلة أيها المفتش. إنه أمر لا يمكن تخيله".

لم يرغب غريغ في أن يذكر الرجل بأنه متورط عاطفيًا، ومن ثم رأيه مطعون به. بقي صامتًا ولم يعلق.

سال الطبيب مرة أخرى: "إلى متى ستواصلون البحث هنا؟".

أجاب غريغ: "ربما لنصف ساعة أخرى. لم يبق سوى أماكن قليلة للتحقق منها. انتهينا من الطابق

الأول والثاني والثالث. إنهم الآن يحاولون الحصول على مفاتيح لفتح أبواب القسم السفلي من المستشفى. يقول ضابط الإطفاء إن ذلك الجزء من المستشفى خارج الخدمة منذ سنوات، لكننا بحاجة إلى التحقق منه أيضًا."

"ثم ماذا ستفعل بعد ذلك؟ هل سوف تستسلم؟ هل ستوقف العمل اليوم؟ قد تكون حياتها في خطر".
شعر غريغ أن صدره أصبح ثقيلًا عند التفكير بها.
رن هاتفه مزة أخرى، هذه المرة كان على الطاولة. إنه سيب. بدا صوته مشوشًا، لكن كلماته كانت واضحة: "لقد وجدتها. إنها في موقف سيارات الجناح الغربي، ملقاة على الأرض يا غريغ، وهي لا تتحرك".

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل الثامن والأربعون

كان ريسوس يقف جانبًا. وكارولين كاوان، التي بدت عيناها السوداوان أكثر وضوحًا تحت الإضاءة الشديدة، واقفة مع طبيب آخر، واثنتين من كبار الممرضات، يستعدن لاستقبال المريضة. بينما كان طاقم الإسعاف الجوي، بالإضافة إلى ناثن بيل، قد ذهبوا إلى موقف السيارات، ومن المفترض أن يحضروها في القريب العاجل. لم يكن لدى كارولين معلومات سريرية عن حالة أليكس، فقط وردها تقرير عن احتمال تناولها لجرعة زائدة، لذلك كانت تستعد لكل الاحتمالات.

كانت قد حصلت على محطة إنذار لكي تستدعي على وجه السرعة فريق علاج الصدمات، بما في ذلك طبيب التوليد والأمراض النسائية. لم يكن لها الأتاهتم، حتى لو ثبت أن الأمر مضيعة لوقتهم. لقد أرادتهم أن يتواجدوا هنا في انتظار أليكس، فقط، لأنها ومهما يكن، هي واحدة منهم.

غضت النظر عما فعلته أليكس، وستعاملها بأفضل ما يمكن. مهمتها هي مساعدة المرضى، وأليكس مريضة بحاجة إلى الرعاية أكثر من معظم المرضى. كان لديها إحساس طوال اليوم بأن أليكس قد تفعل شيئًا غبيًا، اتصلت مع ناثن في وقت سابق وطلبت منه أن يصف لها حالة أليكس إن عرف أي شيء عنها. وعندما اتصل ليخبرها أن الشرطة تظن أنها تناولت جرعة زائدة، حينها رفضت فكرة النوم أو البقاء في المنزل، وتوجهت على الفور إلى

المستشفى، وكانت تقود سيارتها طوال الطريق بسرعة تجاوزت الحد المسموح به، حتى إن كاميرات مراقبة السرعة التقطتها مرتين.

لقد عثروا على أليكس قبل عشر دقائق، بعد وقت قصير من وصول كارولين إلى العمل. كانت مرتاحة لفكرة مجيئها إلى العمل، اليوم، وذلك من أجل ناثن.

خفنت أن ناثن كان على علاقة معها، وعلى كونه طبيبًا جيدًا، لم يكن مسموحًا له الإشراف على حالتها. وإذا كانت أليكس في حالة حرجة، ستطلب منه أن يخرج من غرفة الطوارئ. حدث أن تعرضت لموقف مماثل مرّة قبل ذلك، مع طبيب غير قادر على التأقلم مع حالة مريض. لم ترغب في تكرار ذلك الخطأ.

فجأة، فُتح الباب الخارجي المزدوج للممر، وهرعت الممرضتان بسرعة إلى باب غرفة الطوارئ وفتحتاه أمام العربة القادمة. كانت مستلقية على لوح خاص بنقل حالات إصابة العمود الفقري، ومربوطة إليه جيدًا. عيناها مفتوحتان، وقناع الأكسجين على وجهها، وحالة الاضطراب واضحة عليها.

كانت تسحب الطوق الذي حول رقبتها، وتلوي كتفيها، وتضرب بساقيها في محاولة يائسة للنزول عن العربة. كانت تبصق وتصرخ على الرجلين، ناثن بيل وسيب موريسي: "ابتعدا عني أيها اللعينان، سأقتلكما! اقترب مني، سوف اقتلع رأسك اللعين".

قامت كارولين بإطفاء جهاز المراقبة لإسكات

صفيده والتقليل من حالة الضجيج، ومع عذها إلى العدد ثلاثة، قامت هي وبمساعدة الرجلين بنقل أليكس إلى عربة الطوارئ. فجأة، قبضت أليكس بأظافرها على معصم كارولين، مما دفع سيب موريسي إلى انتزاع أصابعها ليخلص يد المستشارة من قبضتها.

قال بلطف: "اهدئي يا دكتورة. أنت في أيدي أمينة". كانت تكشر عن أسنانها وتنوي أن تعض أي جزء من جسمه يمكنها الوصول إليه. كانت نيتها واضحة. وحدها الأحزمة والسدادات حول رأسها هي من أنقذت سيب موريسي من الأذى.

قالت كارولين لأقرب ممرضة: "أحضري بعض اللورازيبام، نحتاج إلى أن نهدئها".

رفع ناثن بيل يده في إشارة لمنع الممرضة من التسرع، ثم تناول حقيبة يدوية سوداء من تحت العربة التي نقلت أليكس قبل قليل، وقال: "علينا التحقق من الأدوية التي تناولتها".

بدا وجهه شاحبًا وعيناه حزينتين. قال: "يوجد في حقيبتها ديازيبام وكيتامين، بالإضافة إلى محاقن وإبر".

ضغط بالحقيبة على صدره مؤثبًا نفسه. توجه بكلامه إلى كارولين: "إنه خطئي. كنت أعرف أنها تتعاطى شيئًا. كان يجب أن أمنعها. كان يجب أن أخبرك".

تقدمت كارولين بسرعة لتقترب منه، وقالت: "هذا

ليس خطأك يا ناثن. لا شيء من هذا. إذا كان من يجب أن يلام فهو أنا. أريد منك الآن أن تغادر من هنا. دعنا نساعد أليكس".

هز الطبيب المضطرب رأسه قائلاً: "عليّ أن أقدم المساعدة".

أمسكت كارولين بكتفه، وشجعتته على المغادرة: "أريد منك أن تكون قويًا يا ناثن. أحتاج إلى شخص قويّ يمكنني الاعتماد عليه في القسم، ويعتني بجميع المرضى الآخرين. يجب أن تكون هناك، بينما أنا سأعتني بها".

تعلم كارولين أنه يوجد ما يكفي من الأطباء للقيام بما طلبته من ناثن، لكن وجوده كان يسبب الارتباك والتشويش، والأولوية الآن هي للاهتمام بأليكس. تدخل سيب ونزع الحقيبة من يد ناثن، ثم لف ذراعه حول كتف ناثن وقاده إلى الخارج.

تنفست كارولين الصعداء، ثم عادت إلى من تبقى من الحاضرين: أطباء معالجة الصدمة، طبيب التوليد وأمراض النساء، الممرض المسجل في قسم الطوارئ، وممرضتان، بالإضافة إلى غريغ تورنر. تفاجأت عندما لاحظت أن ضابط الشرطة بدا هو الآخر متأثرًا مثل ناثن بيل. كانت مريضتها لا تزال تبصق وتصرخ بكلام بذيء. كان ثوبها الوردي اللون الذي ترتديه يكشف عن فخذيها مظهرًا ملابسها الداخلية، فقد كانت بحاجة إلى فحص شامل.

التفتت إلى فريق معالجة الصدمات والمختصين الآخرين من الأطباء، والذين ينتظرون بحقائبهم

المليئة بمعدات الطوارئ. ابتسمت معذرة في إشارة لعدم وجود حاجة لبقائهم، فيمكنهم أن يغادروا الآن. قالت للممرضة: "اتصلي بالأمن واطلبي منهم الحضور؛ لأنها إذا أفلتت، سوف نحتاج إلى مساعدة للسيطرة عليها." ثم توجهت إلى الممرضة الأخرى وطبيب الطوارئ: "نحتاج إلى فحص كامل، وإلى إجراء تخطيط كهربائي للقلب، وفحص للدم. تحققوا من محتويات حقيبة يدها وتأكدوا من نوع الأدوية التي تناولتها وكميتها، إن أمكن ذلك. ائصلوا بالعاملين في مختبر التحاليل الطبية ليكونوا مستعدين للقيام بإجراء تحاليل لمستوى الباراسيتامول والساليسيلات في الدم. نحن بحاجة إلى أن نحدّد نوع الجرعة الزائدة بالضبط." قالت لغريغ تورنر: "قد تستغرق هذه الإجراءات بعض الوقت، يمكنك أن تجلس في مكان ما، وأنا سأبقىك على اطلاعٍ بوضعها. وسأكون ممتنة لك لو قمت بالاتصال بأفراد عائلتها وإبلاغهم بأنها هنا، هذا إن لم تكن قد ائصلت بهم بعد".

أخيرًا، وبعد عدّة ساعات، دخلت كارولين إلى غرفة الانتظار وتحدثت إلى غريغ الذي قضى الليل وهو يترقّب جديدًا عن أليكس، وقد كانت كارولين ممتنة لوجوده حين وصول والدي أليكس وأختها. تحدثت كارولين إليهم وطمأنتهم أن وضعها مستقر، أما فيما يتعلّق بالاشتباه بارتكابها جرائم مروعة، توجهت بهم إلى غريغ الذي أوضح لهم الأمر. عاد الثلاثة إلى منزلهم بعد أن انقلبت عوالمهم رأسًا على عقب.

كانت عيناها مغمضتين، وعندما فتحتها لاحظت
أنهما محتقنتان بالدم. لوى رقبتة، ورمش عذة
مرات حينما صحا أكثر، ثم نشط سريعا، وسأل: "ما
الأخبار؟".

جلست كارولين على كرسي قبالتة: "إنها نائمة
في الوقت الحالي، لكنها صافية الذهن، وهي تعرف
مكان وجودها، ولكنها تنام تحت تأثير ما أخذته من
عقارات".

"هل لديها أضرار دائمة؟".

هزت كارولين رأسها، نافية: "كلا. ظننت أنها
ربما تكون قد تناولت مواد أخرى، لكن مستويات
الباراسيتامول طبيعية. تناولت جرعة كبيرة من
الديازيبام وأخذت الكيتامين، وهذا هو السبب
في بقائها نائمة، كما يفسر سلوكها العنيف عندما
أحضرها". ثم أمالت رقبتها بتعب، وقالت: "عندما
تستيقظ بشكل أفضل سيأتي الطبيب النفساني
لإجراء تقييم لحالتها".

تذكر غريغ رويته لعبوات الكيتامين في عيادة
باتريك فورد، وتساءل عما إذا كانت قد سرقها
من هناك، لكن كارولين أوضحت معترفة بالمصدر
الأكثر سهولة، إذ قالت: "لقد عنيث ما قلته سابقا.
إن كان لأحد أن يلام فهي أنا. كنت متأكدة من أنها
تتعاطى شيئا آخر غير الكحول، كان يجب أن أتأكد
من مستويات المخزون منذ وقت طويل. لقد كانت
تهوي أمام عيني بينما أن أتجاهل الأمر".

أغمضت عينيها وتنهدت بيأس قبل أن تلتفت إليه

من جديد: "ماذا سيحدث الآن؟".

"يعتمد ذلك على تقرير الطبيب النفساني. إذا اعتبر وضعها لا يسمح باستجوابها، فلن أقبض عليها. وأثناء وجودها هنا سأكلف شرطياً ليبقى هنا. ما العلاج الطبي الذي تحتاج إليه الآن؟".

"تحتاج إلى تنظيف الدم وانتظار تقرير الطب النفسي". تنهدت ثم قالت: "أتمنى لو كنت أكثر انتباهاً ولاحظت انهيار حالتها من قبل".

رفع حاجبه قائلاً: "أظنه أكثر من مجرد انهيار، هي متهمة بقتل شخصين، وربما ثلاثة في حال كانت إيمي أبوت -أيضاً- ضحيتها".

أغمضت المستشارة عينيها وهلة في حالة يأس: "رباه. هل حدث كل هذا بسبب ذلك الممثل؟".

قام غريغ بفك الزر العلوي لقميصه، وأرخى ربطة عنقه قليلاً ثم قال: "لقد ذكرتني. هل يمكنني استخدام أحد أجهزة الكمبيوتر؟ لقد بحثت عن ممثلك هذا على محرك غوغل، ويبدو أنه لا يمكنني استجوابه لأنه ميت".

ضدمت كارولين، وقالت: "كيف؟".

قال غريغ: "هذا ما أودّ اكتشافه".

ذُق الباب بنقرات خفيفة، ومدت ممرضة رأسها إلى الغرفة، ابتسمت وقالت بأدب: "أسفة للإزعاج، لكنها تطلب رؤيتك يا كارولين؟".

نهضت كارولين من مكانها، وكذلك فعل غريغ تورنر، الذي قال: "هل تمنعين لو دخلت معك

لأسمعها؟ سابقى متواريًا في الخلف حتى لا تراني".
أومات براسها موافقة. أسعدتها وجود الضابط
في الغرفة. يجب عليها، بوصفها مديرة استشارية،
أن تحسن التعامل مع أي حالة تدخل إلى القسم،
وقد سبق لها أن عالجت كثيرًا من المجرمين، لكن
لم يصادف أن عالجت أحدًا تعرفه، ومتهمة بالقتل.
ليست لديها تجربة سابقة للاعتماد عليها، كما أنها
تجهل كيف يمكن للأمور أن تجري في حالة الأيكس.
ابتسمت الأيكس والدموع تنهمر من عينيها، ممتنة
للمحيطين بها. لقد بدوا جميعًا مصدومين ومنهكين
من الجهد الذي بذلوه لإنقاذها. إنها المرة الثانية
التي تعني بها كارولين كاوان، ولا يمكنها أن تتخيل
مدى صعوبة الأمر بالنسبة لها. كان وجهها النحيل
والشاحب منهكًا. ناثن بيل وسيب موريسي يقفان
على جانبي سريرها مثل حارسين شخصيين،
كلاهما يبدو مرهقًا. سوف تبقى الأيكس ممتنة لهذين
الرجلين طوال حياتها. لقد بحثا عنها ووجداهما،
والآن يمكنها أن تضع هذا الكابوس في أيدي
الشرطة وتبدأ في التعافي. أخيرًا، سوف يصدقونها.
"أوه يا كارولين، أشكرك على وجودك إلى جانبي،
ظننت أنني سأموت".

حدقت كارولين في وجهها وابتسمت بلطف: "أنت
في أمان الآن يا الأيكس، لن تموتي".

قالت الأيكس لصديقها بعيون دامعة: "شكرًا لك
يا سيب؛ لأنك عثرت علي". وأضافت، وهي تبسط
يدها نحو ناثن: "ولك -أيضًا- يا ناثن. شكرًا لكم

جميعها لأنكم بحثتم عني".

قبلها سيب على جبينها وقال: "إنه مجرد رد جميل يا دكتورة. تذكري أنك شخص مهم بالنسبة لي".

لم يعلق ناثن، اكنفى بالضغط على يدها.

تحولت أليكس مرة أخرى بالحديث إلى كارولين، وقالت: "أخشى أن أسأل، ولكن ما مدى سوء حالتني؟".

أجابت كارولين بصوت هادئ: "حتى الآن، حالتك جيدة جدًا. سوى أن ضغط الدم مرتفع قليلاً، والقلب متسرع بعض الشيء، ودرجة حرارتك منخفضة قليلاً. وعدا ذلك، فإنك في حالة جيدة".

"وماذا عن حالتني جسدياً؟".

"لا شيء".

ابتسمت أليكس بمرارة: "إذن، كان الأمر عبثاً بعقلي". رفعت ذراعها فوق رأسها ولمست فروة رأسها، وبعد مضي ثانية قالت: "إذن، هي بالفعل غير موجودة؟".

عبست كارولين قائلة: "ما الذي غير موجود؟".

قالت أليكس بصوت عال: "الدبابيس!". ثم عصت على شفتها قبل أن تتابع: "أنا آسفة، لم أقصد أن أصرخ. لكن كنت أظن أن رأسي مليء بالدبابيس. سمعت صوت نقر الدباسة، أحسست أنها تنقر في رأسي".

انحنت كارولين ببطء على رأس مريضتها، وفحصت بعناية فروة رأسها، ثم قالت: "لديك بضع

خدوش، لكن لا توجد دبائيس في رأسك".

تنهدت أليكس: "إذن، هل كان كل ذلك تمثيلًا؟".
اثسعت عيناها كما لو أنها تذكرت شيئًا وقالت:
"ولكن تم حقني في الفخذ والورك! لا بد أنه تم
حقني بفرد تخدير أو ربما بأنبوب نفخ. أريد أن يتم
تصويرهما حتى يتم فحصهما بدقة. من الواضح
أنني لم أخضع للتخدير مدة طويلة، ولا أعرف
بالضبط ما أعطي لي. لكن، لم يكن مجرد مرخي
عضلي كما هددت به، وإلا لكنت تذكرت. لا بد
أن الشرطة تقوم بفحص غرف العمليات، أليس
كذلك؟".

أجابت كارولين: "الشرطة هنا".

"وماغي فيلدينغ؟ هل تمكّنوا من الوصول إليها؟".
حدقت إليها كارولين في حيرة وبنظرة حذرة:
"ولماذا سيريدون الوصول إلى الدكتورة فيلدينغ؟
هل حدث لها شيء؟".

نظرت أليكس إلى كارولين، وحدقت مباشرة في
عينها، مناشدة أن تفهمها. أحست بعويل يخرج من
صدرها ليتحوّل إلى صرخة مخنوقة في حلقها.

قالت: "لا تفعل بي هذا مجددًا! ماغي فيلدينغ
اللعينة هي من فعلت هذا بي! لقد قامت بخطفي
لأن الممثل الذي هاجمني في العام الماضي كان
حبيبها، وقد انتحر. فعلت هذا لتنتقم مني. والنساء
الأخريات، إيمي أبوت وويليان أرمسترونغ، هي من
قتلتها، وكذلك خطأ المخدر الذي ارتكبته هي من
فعلته. عليك أن تخبري الشرطة لكي يعتقلوها قبل

أن تهرب ويفوت الأوان".

"يا أليكس عليك الإصغاء".

"ليس هناك وقت يا كارولين! ماغي فيلدينغ امرأة خطيرة جدًا، سوف تقدم على جريمة قتل أخرى!".

قالت كارولين بصيغة أمر فيها تحذير: "اصمتي يا أليكس. فقط اصمتي".

التفتت أليكس إلى سيب وناثان: "سيب! ناثان! لا بدّ من العثور عليها. عليكما...".

"إخرسي!".

ساد الغرفة صمّث رهيب. ثبتت كارولين نظرها على أليكس وخطت باتجاهها.

"أريد منك أن تنصتي إلي جيدًا يا أليكس. لقد عثرت الشرطة في سيارتك على عبوات فارغة من الديازيبام، ووجدنا في حقيبتك اليدوية ديازيبام وكيثامين. كنت قد تناولت جرعة زائدة، وحين جيء بك، كنت مضطربة للغاية. ليس لديك إصابات أخرى، لا غرزات في فروة رأسك".

رفعت أليكس رأسها بغضب، وسرعان ما اقترب سيب منها. حدقت فيه بفزع. من المؤكّد أنه لم يظن أنها خطيرة. جحظت عيناها وكادت تخرجان من شدّة الغضب، ونفت هذا الادعاء قائلة: "لم أتناول أي جرعة زائدة! كيف تتجرئين على اتهامي؟ هي من أعطتني المخدر".

انحنت كارولين إلى الأمام، وكادت أن تلامس أليكس. وللمرّة الأولى، بان غضب حقيقي في

عينها وصوتها: "هل تريدان القول إنك لم تتعاطي المخدرات، وأنت لم تشربي الكحول؟".

هزت أليكس رأسها بحركات سريعة، وعصبت عينها وهي تصيح بشدة: "ديازيبام! هذا كل ما أخذته، ولم أتناول الكحول منذ أسابيع".

لاحظت أليكس ناثن وهو يخفض عينيه، ورات كيف انتبهت كارولين إلى تصرفه. أدركت أن عليها إقناعهم: "لم أعتمد على هذه الأشياء، هذا ما أحاول قوله".

أغمضت أليكس عينها، محاولة رفض الاتهامات. عليها أن تهدأ وتتنفس قبل أن ينفجر الوضع، وإلا، فسيتم اتهامها بالإدمان على الكحول وبالاضطرابات العقلية. من الواضح أنهم لم يقتنعوا بكلامها، مما يعني أن ماغي استطاعت أن تغضي آثارها مرة أخرى. عليها أن تجعلهم يصدقونها قبل فوات الأوان وهروب ماغي. تراجعت كارولين عن السرير، مما منح أليكس مساحة قليلة، صار صوتها الآن أكثر هدوءًا.

"أليكس، يجب أن تنصتي إلي جيدًا".

فتحت أليكس عينها واستلقت على الوسادة منهكة، وهي تتأمل كارولين.

ابتسمت كارولين ابتسامة مشوبة بالحزن: "عندما جاؤوا بك إلى هنا، على عجل، في وقت متأخر من الليلة الماضية، كنت قد استدعيث فريق أطباء معالجة الصدمات، وطبيب النسائية، وطلبت منهم أن يكونوا مستعدين في حال دعت الحاجة إليهم.

لم تستطع ماغي فيلدينغ الحضور، لذا ناب عنها أحد زملائها. لقد كانت لديها عملية جراحية، كانت في منتصف إجراء عملية ولادة لتوأم. ماغي لم تفعل هذا بك يا أليكس. والآن، يجب أن تعترفي بأنك بحاجة إلى المعالجة".

رمقت أليكس من حولها بحنق: "لا أحد منكم يصدقني. ستدعونها تفلت من العقاب. لقد قتلت ماغي فيلدينغ أولئك النساء، وأنتم تظنون أنني أنا من فعلت. لقد خططت لكل هذا، وانتقمت مني ومن أي شخص كان له علاقة مع حبيبها!".

لم تعد كارولين قادرة على التحكم في نفسها، فقامت بصوت مرتعش وعاطفي: "وماذا عن فيونا؟ هل هي من قتلتها؟".

الفصل التاسع والأربعون

سار غريغ عبر الممر الخالي متجهًا نحو غرف الولادة. بينما كان يجتاز بعض الأجنحة، سمع صوت قرقعة خزف صيني، خمن أن المرضى يحتسون كوبهم الأول من الشاي في ذلك اليوم.

لطالما أحب المستشفيات، ولم يشعر بالارتياح منها قط مثل غيره. كانت فكرة معالجة الناس تشعره بالارتياح.

في نهاية الممر، استدار يمينًا واتجه إلى الباب المغلق، قام بالضغط على زر الهاتف الداخلي، وبعد أن عزف عن نفسه، قال إنه يريد مقابلة الدكتورة فيلدينغ. كان بحاجة إلى تقييم الوضع بنفسه.

يجب متابعة ادعاءات أليكس تايلور، بغض النظر عن جنونها. سبق لغريغ أن سمع مسوغات مماثلة، بشكل أساسي من الرجال، حيث ادّعوا أنهم أبرياء، وأن شخصًا آخر ارتكب الجريمة، حتى إنهم أقوا التهمة على أي شخص سمعوا صوته أو لمحوه. عندما صار مفتشًا، تم استدعاؤه إلى منزل فتاة مقتولة في الرابعة عشرة من عمرها. كان جسدها قد ظلي بدمها وتفتت تغطيته بريش الببغاء. بينما والدها يجلس على أريكة، ويضع في حضنه طائرًا منتوف الريش، يمسد لحمه الشاحب، وكانت حجته في قطع حنجرة ابنته هي أن ببغاءه الأليف طلب منه ذلك.

كانت أليكس تايلور قد أخبرت الجميع بأن من قام باختطافها هو رجل ينتحل شخصية طبيب. ثم

أكدت أن الرجل نفسه هو الذي قتل أولئك النساء. وليلة أمس، في قسم الطوارئ، بعد أن ادعت أنها قد أخذت إلى غرفة العمليات مرة أخرى، وقد تم إعطاؤها مرخيات عضلية ومخدر، وغرزت دبائيس في جمجمتها، حينها ذكرت اسم طبيبة متهمة إياها بالاختطاف.

كانت القصة غريبة لدرجة يصعب تصديقها.

تم توجيه غريغ من قبل ممرضة إلى باب مفتوح، وجد الطبيبة جالسة إلى طاولة مكتب، ممسكة بقلم بين أسنانها، وهي تقرأ بعض الملاحظات. كانت جذابة بشعرها الأسود الغامق، بدت مشغولة، ورفعت عينها بصعوبة نحو الأعلى عندما قدم نفسه. وجدها مرتدية ملابس العمليات، وتضع قناعًا ورقيًا معلقًا حول رقبتها بشكل فضفاض. دقق النظر إلى وجهها، بينما كان يخبرها عن سبب رغبته في التحدث إليها. رفعت رأسها فجأة، والصدمة واضحة على ملامحها، خاصة عندما ذكر أن الدكتورة تايلور تتهمها أنها هي القاتلة. أصبح ووجهها شاحبًا، وابتلعت ريقها بصعوبة.

"لماذا تتهمني؟ حتى إنني لا أعرفها. أقصد لا تجمعنا علاقة شخصية. لماذا تقول هذا الكلام عني؟ هذا لا يُصدق. أشعر برغبة في البكاء".

بدت مصدومة ومتألّمة جدًا لما سمعته، فتناولت كأس الماء الذي بجانبها، وأخذت رشفةً بييد مرتجفة. اختفى طرف القلم بين شفثيها مرة أخرى. وحين لاحظ غريغ وجود قلمٍ آخر ممضوغًا على المكتب،

عرف أن تلك عادة لديها.

قالت من جديد: "لماذا تقول هذا الكلام؟ لماذا أنا؟ أنا لا أفهم. هل عليّ أن أدلي بإفادتي؟ هل يجب أن أثبت أنني لم أقدم على هذه الجرائم؟".

قال غريغ: "أجل. سوف نسالك عن مكان وجودك في تواريخ وأوقات محددة".

"يا إلهي. أنت جادٌ إذن. هل حقًا عليّ فعل ذلك؟ ما الذي اهتمّني به؟".

قال بصوت هادئ: "قالت أنكِ قمتِ بخطفها، وحاولتِ قتلها، كما قمتِ بقتل امرأتين أخريين، وليلة أمس حاولتِ قتلها مرّة أخرى".

توسّعت حدقتا عينيها، وقالت بصوت متوتر: "ليلة أمس... ليلة أمس كنتُ هنا. لقد بدأتِ مناوبتي في الساعة التاسعة مساءً، وكما ترى ما زلت هنا حتى الآن. لقد قضينا ليلة حافلة، أجرينا ثلاث ولادات قيصرية، واحدة منها كانت ولادة توأم، وامرأة مصابة بنزيف ما بعد الولادة، وقد ماتت. لقد كانت ليلة فظيعة. والآن جئتُ تقول لي هذا الكلام!".

"وكنتِ طوال الليل هنا؟".

قالت بنبرة قاطعة: "نعم. لقد كنتُ هنا. في هذا المكتب، وفي غرفة العمليات. كنتُ أتابع في حالة الجاهزية التامة حالة مريضتي في غرفة العناية المركزة. هل تريد مني أن أحضر لك الموظفين الذين شهدوا وجودي هنا؟".

"كلا، ليس الآن. إذا أصرتِ الدكتورة تايلور على

ادعائها، سنضطر إلى أخذ أقوالك".

كانت الدموع عالقة على رموشها وسرعان ما انهمرت على خديها.

أعطائها بعض الوقت لتستجمع قواها، ثم قال لها: "أخبرتني الدكتورة كاوان بأنك أنت من قمت بفحص الدكتورة تايلور عندما تم إسعافها إلى قسم الطوارئ قبل شهرين؟".

قالت وهي تخرج القلم من فمها، وتبدو أكثر هدوءًا: "هذا صحيح. وتوم كولينز -أيضًا- كان حاضرًا. كانت... حالة غريبة...".

"وهل رأيتها منذ ذلك الحين؟".

أجابت بإيماءة حازمة، ولكن بصوت أجش: "بالطبع رأيتها هنا، ولكن -أيضًا- التقيت بها مرة واحدة خارج العمل حيث زارتني في منزلي قبل بضعة أسابيع. حتى إنني لا أعرف كيف حصلت على عنواني، لكنني توقعت أن تأتي لرؤيتي. فقد كنت قد تركت لها على هاتفها رسالة مسجلة عن نتائج فحصها، وكنت قد أخبرتها بأنها إذا ما احتاجت للتحدث إلي، يمكنها أن تتصل بي. لكنني مع ذلك، لم أتوقع أن تزورني في منزلي. على أي حال، هي لم تناقشني حول نتائج تحاليلها، بل طلبت مني أن أساعدها في القبض على الرجل الذي اختطفها. شعرت بالأسف الشديد عليها". مسحت ماغي فيلدينغ وجهها بحركة قوية: "اقترحت عليها أن تتواصل مع معالج نفسي أعرفه. لقد سبق وأرسلت إليه بعض مرضاي، وقد وجدوه مفيدًا جدًا. إنه

ريتشارد سيكيرت. يمكنني أن أعطيك رقمه إذا أردت. بعد مغادرتها على الفور، اتصلت مع الدكتورة كاوان؛ لأنني كنت قلقة من وضعها، وقالت الدكتورة كاوان أنها ستهتم بالأمر. جديز بالقول، إن الأمر كان محزنًا جدًا".

سأل غريغ بفضاظة: "هل لأنها طلبت مساعدتك؟". كان غريغ قد سئم من الناس الذين تحفظوا على التعامل معها.

أجابت نافية بشدة: "كلا. كنت سعيدة جدًا لتقديم المساعدة إليها، لكن ما طلبته يتجاوز قدراتي: امرأة ميتة في موقف للسيارات. اتصالات هاتفية. سيارتها. في الحقيقة لم أكن لأساعدتها على العثور على شخص غير موجود".

تفهم غريغ تفسيرها. كان بإمكانه أن يتخيل نفسه في موقف مشابه، كيف سيكون رد فعله على زميل له يسرد عن نفسه قصة طويلة مثل قصة أليكس. من المؤكد أنه كان سينصحه بمراجعة طبيب نفسي. أحس أنها تقول الحقيقة، وأنه ليس لها ذنب في كل ما حصل. كان يتطلع فقط لتقاسم اللوم. شعر بثقل متزايد في صدره عندما وقف متواربًا في جانب من الغرفة، قريبًا من أليكس، فكاد يتحطم وهو يسمعها تنفجر منهارًا.

قال: "لدي فقط بضعة أسئلة. السؤال الأول: هل سبق أن كان لك علاقة مع رجل يدعى أوليفر رايان؟".

هزّت رأسها بالنفي.

"إنه كان ممثلًا، وبقي هنا في المستشفى مدة قصيرة في العام الماضي. لست متأكدًا من التاريخ بالضبط."

عاودت هزّ رأسها قائلة: "لقد بدأت العمل هنا في شهر آب. لم أكن هنا في العام الماضي. لكن مع ذلك لا أعرف هذا الرجل."

قال غريغ بوضوح: "إن الدكتورة تايلور تقول إنه كان حبيبك."

"ماذا! هذا أمر لا يُصدق. لماذا تخلق قصة كهذه؟"

هزّ كتفه: "حتى الآن، لا نعلم. السؤال الأخير الذي أودّ أن أطرحه عليك هو: هل قابلت إيمي أبوت؟ كانت ممرضة تعمل هنا في المستشفى، وربما صادفتها أثناء العمل."

أمالت رأسها قليلًا وتنهّدت يائسة: "المرة الوحيدة التي التقيت بها، كان يوم موتها. لم يصادف أن قابلتها قبل ذلك. أوكد لك مرة أخرى، أنني بدأت العمل منذ شهر آب. في نهاية المطاف، ربّما كنا قد التقينا. وأسئلتك عنها توحى بأنك تشك حول موتها؟"

نهض غريغ واقفًا ليدعها تعود إلى عملها، وقال: "أنا أسف على الإزعاج."

"في الحقيقة، ليس ما نقلته من كلام الدكتورة تايلور وحده ما أزعجني، ولكن -أيضًا- لسماعي عن وضعها الصعب. إنها طبيبة ماهرة، أتمنى لو أنني

وجدت الوقت للتحدّث مع الدكتورة تايلور بنفسي بالشكل المناسب، بدل الإسراع يومها بالاتصال بالدكتورة كاوان".

بينما كان غريغ يشقّ طريقه عبر الممر نحو باب الخروج، فكّر في سرّه، ليت الجميع وجدوا الوقت للتحدّث إليها بالشكل المناسب. طالما كانت تصرخ طالبة المساعدة من الجميع، لم يولها أحد الاهتمام. عدّ نفسه ولورا بيست من بين الناس الذين رفضوا الاستماع إليها. حتى باتريك فورد، وكارولين كاوان، وماغي فيلدينغ، كل منهم يتحمّل مسؤولية ما وصلت إليه.

كان الصباح قد طلع، لكن السماء في الخارج ما زالت مظلمة. سيصل قريبًا العاملون في المدة النهارية، لتستمر رعاية المرضى دون انقطاع. عليه أن يعود لاحقًا لاعتقال أليكس تايلور رسميًا، وهذا ما لم يكن يتمناه. كان جبلّ من الأعمال المكتتبية بانتظاره، لكن يمكن لكل ذلك أن يُؤجل.

عندما صعد إلى سيارته، لم تكن لديه النية في العودة إلى مركز الشرطة. سوف يتوقّف في المنزل، ومن ثم يتوجّه إلى أكسفورد لرؤية ابنه.

ألقت ماغي نظرة على الأرض لتتفحص وتتأكد من عدم تركها أي أثر خلفها. كان المكان كما وجدته: مظلم، وبارد، ومهجور. أوليفر هو الذي كان قد أخبرها عن القبو. اكتشفه أثناء جولته حول المستشفى، ورأى أنه مكان رائع لتصوير قصة رعب. "صمت حملان" آخر، كما أسماها، يأخذ فيها دور

ستكون هذه رحلتها الثالثة والأخيرة إلى الغرفة في هذه الساعة الأخيرة. كانت الشرطة لا تزال تتجول في المكان، حاولت ألا تصادفهم. لم تعد بحاجة لاستخدام الغرفة، أعادت المفاتيح والأدوات المتنوعة، التي كانت قد استعارتها إلى أماكنها الصحيحة. لفتت بعناية الأغطية البلاستيكية التي كانت قد غطت بها الأرض أثناء زيارة إيمي أبوت، بعد أن جفت الدماء تمامًا. وإن لم تكن الآن في صندوق سيارة أليكس، فحتمًا ستكون لدى الشرطة، ليفحصها الطبيب الشرعي. فقط، كان عليها التخلص من قناع شيملبوش (قناع الأثير)، على رغبتها في الاحتفاظ به كتذكارة، لكن من الأفضل التخلص منه.

إن حركتها التمثيلية بتوجيه ضربة إلى أليكس، بحيث تسقط منهارة على الأرض، ومن ثم تضع قطعة مشبعة بالمخدر على فمها، كانت مجازفة محفوفة بالمخاطر. لكن ماغي أرادت لأليكس أن تعتقد أنها فقدت وعيها بهذه الطريقة، بحيث، عندما تخبر الآخرين بقصتها سيكون الأمر غير قابل للتصديق.

فقط، انتظرت ماغي مغادرة أليكس القسم، مرتدية لباسًا يناسب ليلة عاصفة، مخفية شعرها تحت قبعة صوفية، وواضعةً وشاحًا يغطي نصف وجهها، وببيدها حقنة من مخدر الكيتامين، كل ما كان عليها فعله هو وخزها وخزة صغيرة أثناء مرورها، ثم تتبعها إلى موقف السيارات، والقيام

بضربة خفيفة، ومن المؤكد أن أليكس لن تبدي أي مقاومة؛ لأن الدواء سيكون قد بدأ يفعل فعله في جسمها. كانت العروض المسرحية قد جذب ماغي كثيرًا. في الواقع، كانت الأسابيع الماضية مسلية بشكل عام، لترقب وانتظار الفرصة المناسبة للعب القصة التي بدأت تتكشف، لتجازف وترى ما فعلته. ولم يتطلب معظمه الكثير من المجهود: سهولة تبديل الدواء الخطأ في انتظار العثور عليه. القيام بكتابة الرسالة ببخاخ على سيارة أليكس، وهي تتجول في الليل دون أن يشاهدها أحد. كانت تلك مجرد ألعاب تشويقية، مثل المكالمات الهاتفية. لكن كل لحظة تمنحها فرصة تغذي فكرة أن حالة أليكس تايلور تنهار. وما لم تكن ماغي تتوقعه، هي الهدية التي منحها لها أليكس، في استدراجها بسهولة إلى اللعبة. روعة الأمر هو أنه كان على ماغي بذل القليل من الجهد. لو لم تكن أليكس تكثر من شرب الكحول، لكان يمكن تصديقها بسهولة أكبر. لقد دمرت مصداقيتها بنفسها وبكل سهولة. استمرت الهدايا تنهال عليها.

إن تركها لحقيبة يدها في يوم حفلة الأطباء هو إحدى تلك الهدايا. لقد منح قليل من التقصي ماغي فكرة الإعداد لعملية القتل التالية. إن ركن سيارتها بالقرب من مكان الجريمة لم يكن جزءًا من الخطة، لكنها هيات ما كانت ستقوله للشرطة في حال سُئلت عن سبب وجود سيارتها هناك. سوف تقول بأنها جاءت لزيارة زميلتها المضطربة، لكنها لم تجدها في المنزل، وها هي تعود إلى سيارتها. وإن

سئلت عن كيفية دخولها موقف السيارات، ستقول إن البوابة كانت مفتوحة. لكنهم لم يسألوها لأنهم لم يهتموا بالسيارات ذات الإطارات العريضة.

والآن، كل هذا غير مهم، فقد كان أداؤها جيدا أمام ضابط الشرطة، حتى إنه ظل على ظنه بأن أليكس هي المذنبة. في النهاية، أظهرت أليكس نفسها بمثابة قاتلة متهمة بقتل أقرب صديقاتها.

ستقوم بالتخلص من المسدس المخدر، لقد كانت أداة مفيدة جدًا - استخدمتها في كلتا المرتين لتخدير أليكس - لم تتخيل أنها سوف تحتاجه مرة أخرى. كذلك عليها أن تقوم بإتلاف الأشرطة الصوتية - تسجيلات حقيقية لأصوات في غرفة العمليات - قامت بتسجيلها خصيصًا من أجل أليكس، لجعلها تصدق أن ما سمعته كان حقيقيًا.

شهدت الليلة الماضية نهاية صداقة وهمية. كان من المفترض أن أليكس قد التقت بأوليفر رايان وواجهته، وبعد ذلك كانا سيتوجهان إلى منزل ماغي في وقت متأخر لتناول العشاء. ولكن بالطبع لن يحدث ذلك أبدًا، إذ كيف يمكن أن يتناولوا العشاء معًا في الوقت الذي ستكون فيه ماغي في مناوبة ليلية في العمل، وتكون أليكس رهن الاعتقال بتهمة القتل؟ ومهما حاولت أن تنفي، فإن سيارتها المليئة بالأدلة التي تجرّمها، كفيلا بتثبيت التهمة عليها، سيارتها التي كانت ماغي قد اقترحت استخدامها.

أخرجت الحصى العالقة في الحذاء الذي كانت قد أعارته لأليكس. لم تهتم بإعادته إلى قدميها حتى لا

تعطي فرصة لأحدهم للتساؤل عن سبب كونه غير مناسب لقدمها، كونه ذا قياس أكبر. ورأت أنه من الأفضل أن يظنوا أن أليكس قد فقدت حذاءها بدلاً من ذلك. ألقت نظرة أخرى إلى الغرفة، وأنصتت للصمت البارد... ثم انتابتها رجفة. حان الوقت لمغادرتها، فلديها حياة لتعيشها.

الفصل الخمسون

تألمت أليكس وانتابها حزن شديد على صديقتها. قضت اليوم كله، وهي تنام وتستيقظ، بسبب الأدوية التي كانت تأخذها من جهة، وبسبب الإرهاق من جهة أخرى. قام الطبيب النفساني بزيارتها منذ وقت قصير. على إصرار أليكس على أنها ليست بحاجة إلى الفحص النفسي، إلا أن إصرار الطبيب كان أشد للبقاء وإجراء تقييم نفسي لها.

بقيت طوال اليوم ممددة على السرير، مخدرة، رافضة الطعام والشراب، وخائفة من التكلم وجعل الأمور أكثر سوءًا. رغبت في رؤية والديها وأختها، إذ ربما يمكنهم التخفيف عنها، ولكن الطبيب النفساني أخبرها بأنهم جاؤوا إلى هنا، بينما كانت نائمة، ثم إنه من الأفضل أن يحاول الجميع البقاء هادئين بقية اليوم.

تساءلت أليكس إن كانت والدتها وأختها أصابتهما حالة هستيريا بعد أن عرفتا بما أصابها، فطلبوا منهما أن تتركاها وحدها لترتاح. تخيلت والدتها تبكي، وباميلًا تصرخ، راغبتين في معرفة ما يجري. لا شك أن والدها سيكون أكثر تماسكًا. سيفرك يديه وهو يمشي ذهابًا وإيابًا، منتظرًا بهدوء أن يخبره أحد بما يحصل. من المؤكد أن والديها المسكينين قد فقدوا عقليهما من شدة القلق عليها، لذلك أرادت وبشدة أن تطمئنهم، ولكنها لا تعرف كيف. كانت ماغي فيلدينغ قد اتخذت إجراءات لتغطية جميع الاحتمالات. حتى وجودها في غرفة العمليات،

كان متزامناً مع وجودها مع أليكس. كان لديها عذر مثالي، وقد أدركت أليكس الآن سبب تركها وحدها في الظلام لتلك المدة الطويلة. ماغي لم تكن تبقى معها؛ لأنها كانت مستمرة في عملها بشكل طبيعي تجري عملية توليد توأم.

شعرت بلسعة الدموع في مقلتيها من جديد. كان ذلك يحصل مرارًا في الساعات القليلة الماضية. فجأةً، تجد خديها مبللين ووجه الوسادة مبلل حيث تكون مستلقية على جنبها. إن دموعها الآن هي على فقدان فيونا. صديقتها المقرّبة والعزيزة. لا أحد يخبرها كيف ماتت، مقتنعين أنها تعلم ذلك بالفعل. وإنها تستطيع تخيل الوضع الذي واجهته صديقتها والخوف الذي شعرت به.

كانت ماغي فيلدينغ واسعة الحيلة حينما يتعلّق الأمر باختلاق طرق القتل، أليكس كانت تدعو الله أن موت فيونا كان سريعًا ولم تتعذب مدة طويلة.

إن السبب الذي جعل ماغي تترك أليكس تعيش، واضح الآن. هي لا تنوي قتلها أبدًا، فقط تريد تدميرها. ولكي يتم اتهامها بقتل جميع الضحايا، بما في ذلك فيونا. ماغي كانت قد خططت بطريقة خالية من أي ثغرة تُمكن أليكس من إثبات براءتها. في نهاية المطاف، سوف يعلن في النهاية إن كانت سليمة العقل أم لا، وذلك يتوقّف على طريقة تعاملها مع الوضع. بطريقة أو بأخرى، سوف يتم حبسها إلى الأبد.

أملها الوحيد الآن، هو الشخص الذي أملت أن

يزورها... غريغ تورنر. كان رجلاً صالحاً و بارعاً في كشف الناس عندما يكذبون. لا شك أنه سيعرف أنها تقول الحقيقة. ذلك الأمل جعلها تتفاءل قليلاً، ولكن مثل معظم آمالها في ذلك اليوم، تم سحقه على الفور، مما جعل القلق يسيطر عليها من جديد.

غريغ تورنر رجل عادي، يتعامل مع قاتل غير عادي. من المستحيل أن يستطيع تحريرها.

الفصل الحادي والخمسون

أشرق وجه جو من خلف نافذة السيارة، حين لَوَّح له غريغ بيده مودعا. كان يلبس ثياب نومٍ مثل ثياب سبايدرمان، خداه محمزان وشعره لا يزال أشعث، محتضنا لعبة المروحية الصفراء اللون التي جلبها له والده، كما لو أنها حياته. كان صباحا رائعا. والآن، تحرك غريغ باتجاه باث دون أي إحساس بالذنب.

عند الظهيرة، بينما كان يقود سيارته عبر أطراف المدينة، رنَّ هاتفه المحمول، فأوقف السيارة جانبًا، وردَّ على المكالمة. بدت السكرتيرة متعاونة أكثر من المتوقع. كان غريغ قد اتصل بها عندما كان في منزل زوجته السابقة، وقد قالت له إنها ستفعل ما بوسعها لتجد روبرت فيتسجيرالد.

كان روبرت فيتسجيرالد يتحدث بلهجة أمريكية، وجاء صوته إلى مسمع غريغ مرتفعا: "كيف يمكنني مساعدتك أيها المفتش؟ سكرتيرتي قالت لي بأنك تريدني في أمر عاجل".

أبعد غريغ سماعة الهاتف المحمول عن أذنه وقال: "إن الأمر يتعلق بأوليفر رايان. لقد كنت وكيله".

أجاب الرجل: "هذا صحيح، لقد كنت كذلك".

"هل يمكنك إخباري بدقة، متى مات وكيف؟".

كل ما استطاع غريغ إيجاده في بحثه على الإنترنت كان حول سنوات ولادة الممثل وموته.

أجاب روبرت فيتسجيرالد: "حدث ذلك في شهر يوليو وكان أمرا صاعقا". ثم أردف: "كان أوليفر

رايان نرجسيًا، وما كنت لأصدق أنه شخص قد يفعل ذلك. عندما قاموا بتشريح جثته لم يجدوا أي أثر لمواد مخدرة في جسده، سوى الكحول. الشيء الوحيد الذي يمكنني التفكير به، لتفسير ما حدث، هو أنه كان مقلبتًا جرى بشكلٍ خاطئ. لكن الطبيب الشرعي لم يصدق ذلك".

"ماذا فعل؟".

"لقد شنق نفسه".

"ولم تظن أنه شنق نفسه؟".

"تخليث عنه. أخبرته بأنني لا أريده في العمل معي بعد الآن".

"متى حصل ذلك؟".

"قبل أن ينتحر بيومٍ واحد".

"لماذا تخليت عنه؟".

"باختصار؛ كان الرجل خارجًا عن السيطرة. منحته فرصة ثانية في العام الماضي، بعد ما واجه بعض المشكلات التي سببها لنفسه. حصلت له على بعض الأدوار في مسلسلات تلفزيونية درامية عديدة، ثم انشغلت وتركته تحت أنظار جو بابليك. ثم في شهر يوليو، بينما كنت أناقش دور بطولة له مع أحد منتجي الأفلام -وهو مكسب بالتأكيد- ماذا فعل هو برأيك؟ خلق المزيد من المشكلات. ولكن هذه المرة، لم يكن ليفلت منها. اتصلت بي امرأة وهي تبكي، وسألت عن مكان وجود أوليفر. لقد كانت امرأة حامل، والفتى العاشق هرب منها. حسنًا، هذا

كان كل شيء. كان ذلك إنذارًا بالنسبة لي. وانطلاقًا من الطريق الذي كان يسلكه عرفت أنه أينما ذهب ستكون هناك فضيحة. إن وضعته في فيلم ضخيم، فقد منحته رخصة للتخريب والدمار. فتحدثنا قليلًا، وغادر مكتبي بالغرور نفسه الذي دخل به إليه، مهذبا بإقامة دعوى قضائية ضدي".

كان غريغ متفاجئا قليلا. ظن أنه من الصعب لمدير أعمال أن يتخلى عن أحد، بسبب بعض الفضائح، بالأخص إن كان على وشك أن يحصل على دور مهم. ربما روبرت فيتسجيرالد رجل ذو مبادئ.

كان يجري في ذهنه حسابات، حتى سمع كلمة "حامل"، والآن يريد معرفة المرأة.

"إن، كل هذا حصل في شهر يوليو؟ النقاش حول الدور الجديد، والمرأة التي اتصلت بك لتخبرك أنها حامل؟".

"كل ذلك حصل في اليوم نفسه. الثلاثون من يوليو. أمضيت معظم الصباح على الهاتف، مع المنتج وسكرتيرته أناقش تفاصيل العقد. حتى وقت الغداء وأنا على وشك الاتصال بأوليفر لأشركه الأخبار السارة. ولكنني تلقيت مكالمة من امرأة حامل".

"هل قالت اسمها؟".

"كلا، وأنا لم أسألها. ولكنني أظن أنها من باث. سألت إن كنت أعلم متى سيعود. ظننت أنها إما ممرضة أو شرطية؛ لأنها أخبرتني أن أقول لأوليفر إنها في مناوبة، ويستطيع مكالمتها في مكان عملها.

الأحمق سبب لنفسه مشكلات مع امرأة أخرى هناك، في العام الماضي، ثم ذهب للمكان نفسه للمزيد من المشكلات. على كل حال، كما قلت لك، كان ذلك تنبيهاً بالنسبة لي. طلبت منه أن يأتي إليّ. أخبرته بشأن الدور الكبير، الذي لن يحصل عليه بعد الآن، وقلت له إنه خارج حساباتي إلى الأبد. مشكلة أوليفر أنه لم يكن يستطيع ترك سحاب بنطاله مغلقاً لخمس دقائق".

فكر غريغ، لا بد أن المرأة الحامل هي إيمي أبوت. تم جلبها لقسم الطوارئ منتصف نوفمبر. وحسب فحوصات ما بعد الوفاة، كان عمر حملها ستة عشر أسبوعاً.

لقد استخدم حاسوب زوجته السابقة للبحث عن الممثل، وجمع سيرة موجزة لمسيرته المهنية. كان يحتاج للمزيد من المعلومات حول الرجل من مصادر أخرى. كان يجب أن يعيد دراسة ملفي قضيتي إيمي أبوت وليليان أرمسترونغ.

ادعت أليكس تايلور أن ماغي فيلدينغ قتلت كليهما، ولكن في الواقع وعلى الأرجح أنها هي من قتلتهما. لذا كانت لورا بيست على صواب... أليكس كانت مصابة بمتلازمة مونخهاوزن إلى حد ما، أو أنها قتلتها بدم بارد بسبب علاقتهما مع أوليفر رايان. ربما كما قالت كارولين كاوان، أليكس توزّطت أكثر من اللازم وأصبحت مهووسة به.

"وما قصة المرأة في العام الماضي؟ ماذا عنها؟"

تنهد مدير الأعمال الأمريكي: "إنها طبيبة. عمل

أوليفر في المستشفى الذي تشتغل فيه، ليتعلم كيف يقوم بلعب دور طبيب. رئيسها كلمتني هاتفياً بعد بضعة أيام فقط، طالبة ألا يحضر إلى المستشفى مرة أخرى. قالت بأنه قد حدثت مشكلة، تم الاعتداء على إحدى الطبيبات جنسياً. أنكر أوليفر ذلك بالطبع. والطبيبة التي اشتكت منه، لم تبلغ عنه الشرطة. لذا لم تتصد المسألة. "توقف الرجل قليلاً، ثم تابع: "لم أصدق له ولو لحظة. كان خطراً على النساء"

سأل غريغ: "هل كانت لديه امرأة مميزة في حياته؟"

ثم قزر أن يرمي اسماً آخر في المعادلة: "هل سمعت بماغي فيلدينغ؟"

"كلا، لم أسمع بها قط. ولكن نعم كان هناك أحد مميزاً."

ضاقت نفس غريغ لحظة.

"أوليفر رايان. ذلك كان الشخص الوحيد المميز في حياته. لم يكن هناك مكان لأحد آخر."

ازداد مزاج غريغ كآبة، وأخذ يكمل المحادثة مع الأمريكي. لا يعتقد فيتسجيرالد أن الممثل قد قتل نفسه عن عمد، ولكن عن طريق الخطأ. تساءل غريغ إن لم تكن حادثة ولا انتحار. فعليه أن يتحدث إلى الشرطة التي حقت في موته. كان وجه الرجل يحثه على ذكرى غريبة. لا بد أن تلك الذكرى هي من التلفاز، ولكن بطريقة أو بأخرى، شكك بذلك. شعر أنه قد قابل أوليفر رايان، لكنه لا يتذكر أين.

ما زالت شقة أليكس تايلور قيد التفتيش، وكان عليه أن يتوجه إليها الآن ليقدم بعض المساعدة بخصوص ما يجب أن يبحثوا عنه -دلائل حول أوليفر رايان، وإيمي أبوت وويليان أرمسترونغ. وحتى عن ذلك الرجل العجوز الذي كادت أن تقتله في قسم الإسعاف. سيبحثون عن اسمه في حاسوب الشرطة لاحتمال وجود علاقة له بالأمر.

إن أثبتوا أنها قامت بقتل كل هؤلاء بالفعل، ومن ضمنهم فيونا وودز، فسيدرج اسمها في التاريخ بين أسماء القتلة المتسلسلين ذوي السمعة السيئة. وسيعرف هو بالمحقق في أكبر قضية قتل حصلت في باث.

لم يكن سعيدًا بتلك الفرضية. في المدة الوجيزة التي عرف فيها أليكس تايلور، تسلل حبه عميقًا إلى قلبه. ربما الحل هو الابتعاد. عندما ينتهي كل هذا، يستطيع تقديم طلب نقل إلى أكسفورد حتى يضع كل شيء وراءه، ويكون قريبًا إلى ابنه. حينها يستطيع رؤيته أكثر، بدلًا من محاولاته الإعداد لتلك الزيارات القصيرة. الأسابيع الماضية علمته شيئًا واحدًا: إن أصعب الأشياء، هو أن تلاحق جنائيا شخصًا تحبه.

وجد شرطيًا يقوم بإغلاق الباب الأمامي، وفي يده بكرة من الشريط الأصفر الخاص بالشرطة جاهزة للاستعمال. طلب منه غريغ السجل. تصفحه بسرعة، ولاحظ أن فريقه قد أخلى الشقة عند الساعة الثانية عشرة والرابع، أي قبل ساعة. سأل الشرطي إن كان

يعرف السبب.

أجاب الشرطي: "لا أظنهم قد وجدوا شيئًا يا سيدي. لقد مكثوا هناك بضع ساعات، وأخذوا حاسوبًا والكثير من الأوراق المكتبية، وهذا كل شيء. بما أن غداً هو عيد الميلاد، أظن أنهم فضلوا أن يتابعوا الأمر في مركز الشرطة. أنا على وشك أن أغلق المدخل بالشريط الأصفر."

شك غريغ في أن فريقه قد فُضِّل الخيار السهل. وعليه أن يكون منزعجًا منهم، فهو يعلم أنهم قد فتشوا عن أثر جريمة واضحة في الشقة -ملابس ملطخة بالدماء، دماء فيونا وودز- ولكن في المدة الوجيزة التي قضوها داخل الشقة، من المستحيل أنهم تمكنوا من تفتيشها بدقة. شك في أنهم ربّما توقّفوا عن العمل مبكرًا، لكي يذهبوا إلى الحانة وبيدؤوا احتفالات عيد الميلاد.

طلب من الشرطي أن يؤجّل وضع الشريط الأصفر على الباب الأمامي حتى يلقي نظرة. وضع غطاءً على حذائه، وارتدى زوج قفازات. أطلق المصعد خلفه طنينًا عندما فُتحت الأبواب، ثم خرج رجلٌ من المصعد إلى الرواق المفروش بالسجاد.

كان جون تايلور رجلًا نحيلًا، أشيب الرأس، يرتدي سروال جينز وبلوزة زرقاء.

لاحظ غريغ شبهًا بينه وبين ابنته عند عظمتي خده وشكل فمه. بدا الرجل وكأنه ممسوس. ذهب غريغ ليتحدث معه.

"مرحبًا سيد تايلور، هل لي أن أسالك عما تفعله

هنا؟".

أشار برأسه إلى الباب الأمامي: "أفعل ما تفعله أنت. أبحث عن أجوبة. ولكن أجوبة تؤدي إلى إثبات براءتها".

أوما غريغ برأسه متعاطفًا: "لا يمكنني أن أسمح لك بالدخول يا سيدي. أنا متأكد من أنك تدرك السبب".

توجه الرجل بنظره نحو الأسفل، إلى صندوق بجانب الجدار، مكتوبةً عليه عبارة "حادث كبير". كان يحوي بزات حماية بيضاء ذات سحب، وأغطية أحذية بلاستيكية، وأقنعة ورقية وقفازات، أي أنه من اقتحم المكان لم يترك أي أثر خلفه، أو أنه أخذ دليلاً معه.

قال تايلور: "ماذا لو ارتديت تلك الملابس الواقية؟".

هز غريغ رأسه، فتنهد جون تايلور قائلاً: "ابنتي متهمة بقتل مزدوج. قد لا يعني ذلك الكثير بالنسبة لك؛ إذ إنك شرطي. ولكنها ابنتي وأنا على يقين من أنها بريئة، لذا بينما تكمل محاولتك لإثبات عكس ذلك، كل ما أحتمه هو أن أبقى بضع لحظات في منزلها. كانوا قد أعطوها أدوية مهدئة في المستشفى، لذا لم أستطع التحدث معها. أحتاج فقط إلى أن أشعر أنني بالقرب منها".

بدا العذاب في عيون الرجل. فاتخذ غريغ قرارًا بتركه يدخل إلى الشقة وهو يقول في سزه: من يرتكب الإثم الكبير لا يضيره ارتكاب الإثم الصغير.

ففي كل الأحوال، توقع أن يتلقى مكالمته من رئيسه في العمل، حول سوء تصرفه مع لورا.

أخرج زوج أغطية آخر لحذائه كما أعطاه زوج قفازات: "لا تلمس شيئاً وابق تحت ناظري".

دخل كلاهما إلى الشقة وتفحّصا محيطهما الهادئ والمرتب.

لقد كانت نظيفة ومرتبّة مثل آخر مرة زارها غريغ. لا حذاء على الأرض، ولا صحيفة مرمية على الطاولة، ولا وسادة في غير مكانها. إذا كانت الغرف الأخرى أيضاً مثل هذه الغرفة، فلا عجب في أن رجال الشرطة قد أتوا وذهبوا بتلك السرعة. لا بدّ أنه كان تفتيشاً سهلاً.

الشيء الوحيد الذي يفسد الترتيب، هو لوحة كبيرة، غلافها نصف منزوع، موضوعة على غلاف فقاعي من البلاستيك فوق أحد الأرائك الجلدية. وبجانبه صندوق رفيع من الورق المقوى.

تُظهر اللوحة امرأة عارية، ممدّدة في سرير، صدرها عارٍ وتشد بيدها وشاحاً أحمر يمسكه رجل خارج من الغرفة، وكأنها تشدّه إليها. ألوانها ساطعة وبزّاقة.

انحنى والد أليكس وتفحّصها عن قرب. ثم قال: "ليس بالأمر الجديد أن يئثم الناس عن طريق الخطأ بأفضع الجرائم من قبل هؤلاء الذين هم أفضع المجرمين".

لم يكن لدى غريغ فكرة عما كان يتحدث.

"ماذا يعني ذلك؟".

"سفر التكوين، إصحاح 39".

تفاجأ غريغ، وقال: "هل أنت رجل متدين يا سيد تايلور؟".

"كلا، بالكاد أهتم بالفن. هذه نسخة حديثة من لوحة زوجة بوتيفار. توجد نسخ عديدة، ولكنها جميعًا تروي القصة ذاتها".

"وما هي؟".

"امرأة قوية تتهم عبدها بالاغتصاب. كان يوسف عبدًا مخلصًا، فقامت زوجة سيده بإغرائه إلى فراشها. وعندما رفض، قالت لزوجها إنه قد اغتصبها. فتمّ وضع يوسف في السجن".

أمعن غريغ النظر في اللوحة ثم، مثبًا حدسه، قام بالاتصال بناثان بيل.

كان محظوظًا عندما قالت له موظفة الاستقبال أنه جاء لمناوبته منذ قليل. ولم يكد الرجل يقول "مرحبا"، حتى قاطعه غريغ: "ناثان، أنا غريغ تورنر. في الليلة التي ذهبت لتري أليكس، هل كانت هناك لوحة على إحدى الأرائك؟".

بدا صوت الطبيب بعيدًا، ولكن إجابته كانت فورية: "نعم، كانت قد وصلتها حديثًا. الغلاف كان نصف منزوع، كما بدا. لماذا تسأل؟".

"هل قالت إن كانت قد اشترتها أو من أين حصلت عليها؟".

"كلا، لم تقل. لم تسأل؟ هل هذا أمر مهم؟".

لم يكن غريغ يعلم. كل ما يعرفه هو أن قصة اللوحة أشعرته بعدم الارتياح. لم قد تشتري لوحة كهذه في ظل ما اتهمت أوليفر رايان به؟".

سمع شهيقًا على الخط، ثم تحدث ناثن بيل مجددًا: "كانت هدية! سألتها إن كانت من حبيبها الأسبق فقالت لا. لكنها كانت هدية... هي أخبرتني أنها هدية".

ظلّ والد أليكس تايلور يراقب المفتش، والأمل في عينيه، ولكن غريغ لم يكن مستعدًا لأن يمنحه أي أمل. أدرك أن الرجل يسمع ما يدور من حديث، فتحدّث مع ناثن بيل بحذر: "هل تذكر الطوابق تحت الأرض في المشفى، التي لم يتسرّ لنا أن نستكشفها؟".

"نعم بالطبع".

"هلاً لاقيتني هناك؟".

"نعم. أمهلني ساعة واحدة فقط لأجد أحدًا يغطي غيابي، ثم سأراك هناك".

استدار غريغ إلى والد أليكس تايلور قائلاً: "يجب أن أطلب منك المغادرة؛ لأنني سأتوجه إلى مركز الشرطة الآن".

أوما الرجل برأسه: "لا أهتم إلى أين تتوجه، طالما أنه الاتجاه الصحيح".

لم يعلم غريغ إن كان يتوجه بالاتجاه الصحيح. قد يكون هذا زقاقًا مطلقًا، وقد يكون أملاً حتى يراه يتحطم بشكل مفاجئ مجددًا. على الأغلب ليس

هناك أي فرصة في أن يجد أي شيء، ولكن كان عليه أن يحاول.

في طريقه وهو يخرج من الشقة، أعطى تعليمات للشرطي لكي يتصل بمعرض اللوحات الفنية الذي أرسل اللوحة، ويعرف منه اسم الشخص الذي اشتراها، ثم يتصل به على الفور.

الفصل الثاني والخمسون

بينما كانت ماغي تطبخ، تذكرت الخطأ الذي ارتكبته. كان التفكير في عيد الميلاد والهدايا التي اشترتها سببًا في إطلاق ذاكرتها. لقد تركت دليلًا يمكن أن يكشف علاقتها بأليكس تايلور. إذا قاموا بتفتيش منزل أليكس ووجدوا بطاقة المعايدة التي أرسلتها، مع أنها لم توقعها، ربما سيستنتجون أن الرسالة المكتوبة كانت عن اللوحة.

إن أخطاء ساذجة كهذه يمكن لها أن توقع بها.

خاصة إذا نظرنا إلى حجم ما أنجزته. لم يكن قتل إيمي أبوت عملاً سهلاً. لقد فكرت بقتلها عندما استيقظت وهي على سرير العمليات. لكنها أجلت الأمر، فقد راودتها فكرة جديدة. انطلاقاً من إبقائها على قيد الحياة، يمكن أن تكون وسيلة إضافية لتدمير أليكس تايلور. كان إبقاؤها على قيد الحياة عذبة أيام هو التحدي الحقيقي. عندما صرخت بصوت عالٍ جدًا، قامت ماغي بلصق فمها، ليس خوفًا من أن يسمعها أحد، وإنما لأن الضجيج يزعجها ويدفعها إلى الجنون.

في النهاية بدأت تهذي، ومع الموت الوشيك لها، كان من السهل التخلص منها في المستشفى. لكن حتى في كوابيسها، ما كانت ماغي لتتوقع أن الممرضة ستظل قادرة على النطق، ففي لحظاتها الأخيرة همست: "قلت بأنك ستساعديني". بالطبع، وجهت كلماتها الأخيرة إلى ماغي.

الآن أفسدت تلك الذكرى، لم تعد النتيجة مرضية.

لقد أفسدت الأمر انطلاقاً من محاولة إظهار نفسها ذكية جداً. أرادت أن تبقى أليكس على قيد الحياة لكي تدمرها، والآن صار لزاماً عليها أن تغير النهاية.

بدأت بقبقة الطماطم في المقلاة الكبيرة تصدر فقاعات، فقامت بخفض حرارة الموقد. جهزت المعكرونة، لكنها لم تستطع تناولها، لقد فقدت شهيتها بسبب التفكير بما يجب أن تفعله. كان السائل الأحمر المغلي شديد الاحمرار وخفيفاً بحيث لا يبدو مثل الدم، لكنها تصورته دماً، وتخيلت أن أليكس تايلور ميتة.

فركت ماغي يديها بعضها ببعض بغضب وإحباط؛ كان إعطاء اللوحة إلى أليكس خطأ. قصدت أن تعلم أليكس ما معنى الهدية. لكنها أدركت الآن أنها قدمت للشرطة دليلاً للتحقيق معها.

يمكنها أن تقول للشرطة إن أليكس تايلور أحبت النسخة الموجودة لديها، وترجتها للحصول عليها، فأشفتت على المرأة، ووافقت على أن تعطيها اللوحة. والسبب في أنها لم تُشر إلى ذلك عندما سُئلت، هو عدم أهمية الأمر. لكنها كانت فرصة لم تكن مستعدة لاستغلالها. بمجرد أن يبدووا التحريات عنها، سيقومون باستجواب الموظفين لمعرفة تحركاتها في تلك الليلة. حينها سيكشف كذب ادعائها. مثل حقيقة أنها تولت إجراء عملية توليد توأم في منتصفها؛ لأن الطبيب المتدرب عندها لم يستطع القيام بالعملية. عندما تلقت نداء للتوجه إلى قسم الطوارئ، قالت إنها لا تستطيع

ذلك؛ لأنها تجري عملية، وهي في منتصفها.

اقترب ديLAN من طبق المعكرونة المغطى، محاولاً سرقة حبل عالق خارج الغطاء، شاهدت ماغي الجرد ممسكاً حبلًا من المعكرونة بيديه العاريتين وأسنانه الطويلة، وهو يجره بعيدًا. كانت عيناه السوداوان والمستديران تنظران إليها ببراءة، وبينما كانت مشاعر حقدتها على أليكس تايلور تتأجج، نسيت حبّتها الكبير للجرذ البني. ودون تردّد، حملت قدر السائل الأحمر المغلي وكتبته حيث يقف الجرد.

بدأ الجرد يصدر صريحا صاخبا، يصرخ متألقا، ويهزّ جسده بعنف للتخلص من السائل الحارق. أصبحت عيناه المنتفختان بلون أبيض، وبحركات عمياء دون أن يجد أيّ نجدة، انزلق بشكل متكرر على السطح المليء بالسائل. خفق قلب ماغي سريعا، بينما يصرخ الجرد بصوت أعلى، غير قادرة على التفكير وسط الضجيج، أو حتى الابتعاد عن المخلوق البائس، الذي قامت بانتشاله، ثم قذفته على جدار المطبخ. سقط الجرد على الأرض، ارتعش بضع ثوان، ومن ثم همد وتوقّف عن الحركة تماما.

ولأول مرّة منذ موت أوليفر، صرخت ماغي فيلدينغ: "كل هذا خطوهرن يا ماغزا".

كان أوليفر قد قال، مسميا كل واحدة منهن: "كل هذا خطوهرن إذا ما خسرت الدور في الفيلم".

كان قد دعاها إلى العشاء، وأخبرها أن وكيله تخلى عنه واستبعده، وبذلك فقد أفضل دور كان من المحتمل أن يحصل عليه. كما أوضح لها، أن أي من

تلك العلاقات لم تكن خطأه. أولئك النساء هن من استهدفنه.

تحت تأثير الكحول، والتطمينات التي أعطتها له، بأنه لا يلام، أخبرها عن أليكس تايلور. شرح لها كيف قامت بإغرائه طوال اليوم، ثم رفضته. قال: "أنا رجلٌ يا ماغز، ولست قديسًا... ماذا كان بوسعي أن أفعل؟ إن ذهابي مع عاهرة غبية هو ذنبها هي، لو أنها لم توجج النار فيّ لما احتجثُ لفعل ذلك. كان مجرد إفراغ لشهوتي يا ماغي. كنتُ فقط بحاجة لأن أفرغ شهوتي".

لم تسأله ماغي عن سبب عودته إلى باث قبل ستة أشهر، ليفرغ شهوته مع امرأة أخرى، هذه المرة تاركًا بذرته في جوفها. اكتشفت ماغي قصة الممرضة من الرسائل التي كان قد تلقاها منها. وبمجرد انتقال ماغي إلى باث، كان من السهل عليها تعقب المرأة.

كما امتنعت عن إخباره بأنها على دراية بعلاقته مع نساء أخريات، وعن بطاقة العمل الوردية التي وجدتها لديه "استرخي مع ليليان"، والتي تعلن أن المرأة تعرض بضاعتها.

"كل ما حدث كان خطأهن يا ماغي"، كرر هذه العبارة مرارًا وتكرارًا طوال المساء. أرادت ماغي تصديقه، إلى أن عادت إلى بيته، وأخبرها عن خطئه.

ارتدى ناثن بيل سترة فوق لباسه الأخضر الخاص بأطباء الطوارئ. حمل كل منهما، هو وغريغ، مصباحًا في يده؛ لأن سلسلة الإضاءة السقفية على طول

ممرًا بمسافة مئة قدم، كانت خافتة، وأغلفتها مغطاة بالأوساخ، وبصعوبة تضيء الطريق.

وقفنا، تقريبًا، تحت قسم العمليات الرئيس من المبنى. أشار ناثن إلى بيت المصعد القديم والمهجور، الذي يستخدم لنقل الموظفين والمعدات إلى مكانٍ تحت الأرض. لكنه في الطابقين الأول والثاني، كان قد أُلغِيَ، ومعظم الناس لا يعلمون بوجوده خلف الجص.

ألقيا نظرة على المصعد، فوجداه مكذسًا بخزائن أسرة قديمة، واثنين من الكراسي الطبية الخاصة بالمسنين، وسرير مستشفى قديم ومفكك، مع فراش بني من المطاط. تحول المصعد المهمل إلى مكبٍ للمهمات. ويعج السقف المنخفض بأميال من الأسلاك والأنابيب المعلقة.

وإصلا التفتيش وسط شبك العنكبوت والكثير من المعدات المهملة. الأمل الذي شعر به غريغ في وقت سابق، بدأ يتلاشى بسرعة. لم يعثروا، حتى الآن، على مكان يشبه غرفة عمليات، وتمنى لو طلب من ناثن إحضار المخططات الأرضية.

وصلا إلى تقاطعٍ في نهاية الممر الثاني. أعطى غريغ إشارة إلى ناثن بأنه سيئجه إلى اليسار. بعد عشر دقائق، عادا إلى التقاطع، وببطء وإحباط، عادا من حيث أتيا. انتهى بحثهم إلى فشلٍ ذريع.

قال ناثن: "أتعلم، بفرض أن أليكس تقول الحقيقة، فهذا يعني أن يكون القاتل الحقيقي يعرف هذه الممرات الواقعة تحت الأرض. إن كانت ماغي

فيلدينغ هي القاتلة، فلا بد أن لديها شريكًا". ثم أضاف: "لا يمكنها أن تحمل أليكس وتنقلها إلى هنا بمفردها".

أجاب غريغ، وهو يحاول أن يتخيل امرأة تحمل شخصًا وتنقله لكل هذه المسافة: "كنت أفكر بالأمر نفسه تقريبًا".

انتابه شك في أن يعثر هو وناثان على الغرفة السريّة، وأنه ليس هناك أصلاً مكان حتى يعثرا عليه.

تساءل غريغ عن اللوحة. هل يمكن أن تكون من أوليفر رايان؟ فهو ميت. من الممكن أن يكون، وقبل وفاته، قد رثب لإرسالها إليها بمثابة هدية في عيد الميلاد.

ثرى، أياكون ذلك من باب السخرية؟ أو ربما تكون إحدى الضحايا هي من أرسلتها؟ ربما قتلت أولئك النساء لأن أليكس تايلور كانت على علاقة حب مع أوليفر رايان. أوليفر رايان...!

هل عاد من الموت! تذكر أين يمكن أن يكون قد التقى بأوليفر رايان من قبل. تذكر مدير المطعم وهو يعتذر منه لأنه سمح للمرأة بإزعاجه. تذكره كيف كان يحاول إخفاء وجهه خوفاً من أن يتعرف عليه أحد؛ لأن المرأة، غير المرحب بها، كانت ليليان أرمسترونغ. من الواضح أنه لم يرغب في أن يعرف أحد علاقته بها. خاصة أن ليليان أرمسترونغ، وبينما كانت تشتم ليهتعد عنها الجميع، قالت إنها جاءت بناءً على دعوة من أحدهم.

في ذلك الوقت، لم يصدقها غريغ، لكنه الآن يظن أنه ربما فعلا قد تمت دعوتها. ربما لم يدعوها أوليفر رايان إلى مطعم الفندق، بل طلبها إلى غرفة نومه فقط.

قال ناثن: "نحتاج إلى دليل يثبت تورط الدكتورة فيلدينغ".

هز غريغ رأسه قائلاً: "نحن بحاجة إلى دليل يثبت أن أليكس بريئة. وإلا، انتهت اللعبة".

بالصدفة، لاحظ غريغ وجود شكل باب خلف قاعدة سرير وضعت بشكل عمودي. وجه مصباحه إليه، رأى صفيحة معدنية على الحائط. وعند الكشف الدقيق وجد أن الصفيحة المعدنية مثبتة إلى باب عند مقبضه. وضع مصباحه، وأزاح السرير جانباً، ثم فتح الباب بأطراف أصابعه.

سلط الرجلان مصباحيهما إلى الداخل، وألقيا نظرة استكشافية على السقف والجدران، والأرضية التي كانت تبلغ مساحتها عشرين قدماً مربعاً. على أحد الجدران، كان قد تم تثبيت أربع أسطوانات أكسجين صدئة، ويوجد مقعد معدني منخفض، وكرسي متحرك مطوي فوق آخر. وجسم ضخم مغطى بقطعة من النايلون القاتم والقديم. في وسط الغرفة يوجد سرير عمليات، وهو الشيء الوحيد الذي كانوا يبحثون عنه.

قال ناثن: "إنها طاولة إيشمان. لم نعد نستخدمها. إنها هنا منذ سنوات".

ذهب إلى الجسم المغطى بالنايلون وجزه،

ليكتشف عن مصباح تشغيل قديم، يبلغ طوله تقريبًا طول ناثن. له ذراع منحني قابل للتحرريك، مثل عنق زرافة، متصل بلوحة زجاجية عريضة، تضيء عند تشغيله. وإذا ما تم مد الذراع، فإنه يصل إلى ارتفاع عدة أقدام. كان وهج ضوءه مرهقا للغاية على عيون الجراحين. قالها وهو يسلط مصباحه على كرسي للمقعدين: "وهناك... إنه شريك ماغي فيلدينغ. بإمكانها أن تفعلها. أليكس تقول الحقيقة يا غريغ. لا شك أن هذا هو المكان الذي تم جلبها إليه".

ظهر الشك في عيني غريغ. كان الرجل يمسك بالقش، فهي أدلة غير مقنعة، مجرد سرير عمليات قديم، وكرسي متحرك. بينما كان ناثن يقفز متحمسًا باستنتاجاته ليثبت براءة أليكس.

لكن غريغ لم يقتنع بأي منها. فتش باهتمام حول الغرفة، بحثًا عن علامات تشير إلى نشاط جرى حديثًا، لكنه لم يلاحظ أي شيء. كان الهواء باردًا، والأرضيات نظيفة، وطاولة العمليات نظيفة، وكذلك الكرسي المتحرك. سرت قشعريرة في عموده الفقري وهو يستكشف المكان. لقد امتلأت سترتهاها بالغبار وخيوط العنكبوت إلى أن وصلا إلى هنا، لكن، مع ذلك يبدو هذا المكان نظيفًا جدًا، لا غبار، ولا خيوط عنكبوت! استغرب كيف لم يتم تفتيش هذا المكان سابقًا ضمن حملة البحث التي أجرتها الشرطة. لقد قالت لورا بأن الرقيب ماكنتاير أجرى بحثًا شاملًا، وربما بحث فعلاً. هل كان هدفه البحث عن غرفة عمليات، أم البحث عن رجل هارب يرتدي ثياب جراح. إذا كانوا يبحثون عن شخص مفقود، ما كان

يجب أن يفتهم هذا الموقع. وبحسب أليكس فهي كانت مخطوفة، وليست هاربة.

حاول غريغ استبعاد هذه الفكرة المزعجة. هو مدرك أنهما لم يحصلوا، حتى الآن، على أدلة كافية لإثبات براءتها. عليهما العثور على أكثر من ذلك لدعم رواية أليكس. يمكن للنيابة العامة أن تجادل فيما إذا كانت أليكس تعرف هذا المكان، وتوضح قصتها بما يناسب الأدلة. عليهما إيجاد أدلة تثبت أنها بريئة، وأن شخصاً آخر هو المتهم.

قال غريغ: "هل شاهدت فيلم جامع العظام؟".

هز ناثن رأسه نافية.

قال غريغ: "لا تهتم، فقط افعل ما أقوله لك. سنقوم بتفتيش كل شبر في هذا المكان بوساطة المصباح اليدوي. ربما لن نجد شيئاً، لكن، على الأقل، يجب أن نحاول. أليكس تستحق مئاً ذلك".

الفصل الثالث والخمسون

حين أطلق جهاز إنذار الحريق صفارة الإنذار، كان جاكى جاكسون، كما هو معروف للجميع، بما فيهم زوجته، واقفاً يمد ساقيه. أصدر صندوق الصوت المثبت على الحائط خارج الحجرة، صوتاً يصم الأذان. فأطلقت سجينته صرخة صاعقة، وهي في حالة رعب تحاول التخلص من البطانيات لمغادرة السرير.

شعر جاكى بالشفقة عليها عندما لاحظ كيف كانت صغيرة الحجم، ضعيفة. لم يكن يفضل البقاء طوال اليوم في الغرفة، فإن حراسة طبية لهو عمل غريب، كما وحسب خبرته، لا تبدو له كقاتلة. هو يعرف بأن هذا تفكيكٌ ساذج، إذ ليس لوجه القاتل مواصفات مذكورة في أي كتاب. والصورة النمطية عن العينين المتقاربتين، والحاجبين المتصلين في المنتصف، هي مجرد هراء. القاتل يظهر كقاتل، فقط، عندما تعلم أنه قاتل، وهنا كانت لديه مشكلة. لا تبدو الفتاة قاتلة مع أنه يعرف أنها كذلك.

على ضجيج جهاز الإنذار، صاح بصوت مرتفع: "سأتحقق فيما إذا كان هناك حريق بالفعل".

ورفع زوجها من الأصفاة.

صاحت أليكس: "كلا رجاء! سابقى هنا".

تردد جاكى جاكسون، فلم يكن قد تم القبض على الطبيبة بشكل رسمي بعد. كانت مهمته تقتضي حراستها حتى عودة المفتش تورنر للقيام بعمله.

قال: "سأغيب مدة دقيقة فقط".

"من فضلك، قد يكون هناك حريق بالفعل، ولا تستطيع العودة. رجاء، سألقي هنا، سوف انتظرك، لكن لا تتركني مقيدة".

"دعيني أتحقق من الأمر. لن يكون حريقًا حقيقيًا. سأعود في الحال".

انفتح الباب. لوحت ممرضة بيدها للشرطي في عجلة قائلة: "هل يمكنني أن أستعين بك؟ أنا بحاجة إلى مساعدة عاجلة. النار حقيقية، لدي مريض محاصر في الحمام. والباب اللعين عالق".

أقدم جاكى جاكسون على فعل شيء لم يسبق أن فعله قط أثناء سنواته الأربع والثلاثين، لقد ترك المتهمة دون حراسة، وقال: "سأعود في لمح البصر".

شاهدت ماغي الناس يركضون في الممرات، والممرضات والحمالون ينقلون المرضى على العربات والكراسي إلى أماكن آمنة، والأطباء يحاولون إعطاء العلاجات على طول الطريق. كان المستشفى في عشية عيد الميلاد مزدحمًا بالناس، نتيجة الحوادث والمشاجرات والأمراض، وكذلك بمراجعين لم يكونوا قد تمكنوا من الحصول على مواعيد لدى أطباء عامين، ويحتاجون إلى علاج قبل يوم العيد، غدًا.

وقف ضابط الشرطة، طويل القامة، منحنيًا رأسه وكنفيه فوقهم.

ناثان هو من وجد أغطية إبر، لكن لا داعي لشرح أهميتها لغريغ. كان غريغ قد شاهد الكثير من أغطية الإبر على الأرض من قبل، في الأزقة وعلى أراضي المراحيز العامة. الغلاف البلاستيكي الأبيض هو عبارة عن غطاء واقٍ لإبرة الحقن.

مثل محققٍ متمرس، استعان ناثان بقفاز مطاطي، أخرجه من جيبه، وقال عنه: "إنه جديد. لم ارتديه من قبل". لف الغلاف بالقفاز وسلّمه إلى غريغ. قال لنفسه: أراهن أنه لن نستطيع رفع أي بصمة عنه، إنه صغير للغاية، ثم إن القاتل كان يرتدي قفازات أيضًا. ابتسم ناثان بيل وقال: "لم يسبق لك أن رأيت ماغي فيلدينغ والحقنة في يدها، إنها دائمًا تضع الغطاء مثل عود ثقاب في فمها. سيكون لديك حمض نووي يا غريغ، وهو أفضل من بصمة الإصبع".

استمرت صفارة إنذار الحريق، ولم تستطع أن تعرف ما يجري خارج الغرفة. لم تكن ترغب في التعرض لخطر أن يراها الشرطي خارج الغرفة، لكنها تعلم أن هذه كانت فرصتها الوحيدة للهرب. فتحت الباب بحذر، ألقت نظرة، لم تجد أثرًا للشرطي، أو أي شخص آخر معني بأمرها. من الغرفة، رأت كيف كان الجميع يهرعون إلى خارج المبنى. سمعت أصواتهم ترتفع بهياج في الممر. شمت رائحة دخان، يُشتبه في أنه يتصاعد من سلة قمامة أشعلها شخص ما، ربما زائر أو حتى موظف، قام بتدخين سيجارة مهزبة في إحدى الحجرات.

خاطرت بفتح الباب عدّة بوصات أخرى، كان الممر لا يزال فارغًا. إن كانت ستهرب، عليها أن تفعلها الآن، لأنه لن تكون لديها فرصة أخرى. هذه هي المرّة الأولى التي تُترك وحدها، منذ إحضارها ليلة أمس.

كان عليها أن تفتنم اللحظة لكي تحاول أن تحلّ كل ما فعلته بها ماغي، عليها أن تثبت براءتها بطريقة ما. إن استطاعت الاتصال بسبب ستطلب مساعدته.

كانت تحتاج إلى وقتٍ ومكانٍ للتفكير. تعرف أنه الوحيد من بين الجميع، والذي لديه الوسائل لمساعدتها على الهرب.

قبل أن تتردّد، انتقلت بسرعة عبر الممر. استطاعت أن ترى بوساطة النوافذ حشود الناس المجتمعة في الخارج. عندما وصلت بالقرب من غرفة الموظفين، تسلّلت إلى الداخل، وبعد عدّة دقائق، خرجت مرتدية ثوبًا طبيًا أبيض وسروالًا أخضر. كانت حافية القدمين، لكن لم يكن هناك من يلاحظها. مرّت وسط الازدحام، فقد توقّعت أن يكون الأمر سهلاً مع هذه الفوضى. فجأة، توقّفت مرتعبة عندما لاح لها رأس الشرطي في الخارج، قرّرت عدم إكمال السير في الاتجاه ذاته، وغيّرت طريقها نحو الاتجاه الشمالي من المستشفى. كان ظهره إليها، لم تضيع الوقت، هرعت إلى ما وراء النوافذ، مع إبقاء رأسها مطأًا، مسرعة بخطواتها على طول الممر الجنوبي، مع محاولة استراق نظرات جانبية لمعرفة إن كان هناك من يطاردها. هنا، كان الازدحام أقلّ، وساد

هدوء بحيث يمكنها سماع تنفسها الطبيعي. عندما بدأت تخطط لخطوتها اللاحقة، تسارع تنفسها، كانت بحاجة للوصول إلى هاتف، والاتصال مع سيب للترتيب لما يمكن فعله... كانت بحاجة إلى ملابس ومال، ولإثبات أن ماغي مجرمة. سوف تبحث عن وكيل أوليفر ريان لتعرف كيف مات، وتجد شخصاً يعرف بعلاقته مع ماغي، شخصاً رأهما معاً.

بدأت تركض... وصلت إلى نهاية الممر... التفتت إلى اليسار بسرعة، ثم انهارت مذعورة.

أمسكت بها ماغي فيلدينغ من رقبتها وألصقت شيئاً حاداً على جلدها.

قالت ماغي بصوت خبيث: "كلمة أخرى، وسأمزق حنجرتك".

كان وجهها ينضح بالكراهية، وشعرت أليكس باهتزاز يد ماغي بشدة وهي توجه النصل إلى رقبتها.

حاولت أليكس الحفاظ على هدوء تام، ومراجعة خياراتها: مقاومة ماغي ومواجهة خطر القتل؟ أم الخضوع، ومواجهة التهديد بشيء أسوأ؟ فكرت بكل ما حدث لها حتى الآن، وما تنتظر حدوثه. بدت لها النهاية واضحة، مثل فيلم في رأسها، ومن ثم قرّرت. لقد سئمت من الجري والخوف، سئمت من كل ما يحدث. قامت بإبعاد قدميها بعضهما عن بعض، متخذة وضعية متوازنة تماماً، ثم وبحركة سريعة، ودون تردد، هزّت رأسها إلى جهة النصل، بحيث حرّ النصل عنقها، على الفور تدفّق دمها.

حدقت فيها ماغي بجنون وقالت: "انتِ امرأة غبية، بالكاد خدشتِ جلد رقبتك. لن أقتلك هنا يا أليكس، مهما حاولتِ أن تدفعيني إلى فعل ذلك، فلن أقتلك هنا".

شدت ماغي خصلات من شعر أليكس، هزت رأسها بقوة، وهي تغرز النصل في خاصرتها، حتى اخترق الثياب، ثم اللحم. عندما اخترق النصل جسدها، شهقت أليكس من شدة الألم.

تمت ماغي في أذنها قائلة: "هذا ما سيجعلك تحت السيطرة. امشي الآن، ولا تجعليني أطعنك بقوة أكبر".

الفصل الرابع والخمسون

قام جاكى جاكسون بتفحص الغرفة الفارغة، على أمل أن يجد أليكس تايلور بطريقة ما. هاج الشرطي عندما لم يعثر عليها. لقد نظر تحت السرير، وفُتّش غرفة الاستحمام الداخلية، ثم عاد إلى خارج القسم حيث يتجمّع الجميع، لكنه لم ير أي أثر لها.

أخرج هاتفه النقال واتصل بمركز الشرطة، طلب إرسال المزيد من العناصر حتى يتمّ البحث عن الطبيبة المفقودة. ثم ركض إلى الممرّ، لكي يتابع البحث بمفرده. شعر بالارتياح عندما رأى رئيسه يقترب منه. لم يكن يهتمّ بكونه في مشكلة. كلّ ما يهمه هو سلامة الشابة التي بقيت في عهده.

سأل غريغ تورنر: "أين هي؟".

لم يضيّع جاكى الكثير من الوقت في الشرح، أو التساؤل كيف وصل رئيسه إلى هناك بهذه السرعة. قال: "انطلق إنذار الحريق. تركتها للتحقق من الأمر، وعندما عدت لم تكن موجودة".

صاح غريغ تورنر بصوت يعلو فوق جرس إنذار الحريق الذي لا يزال يدوي: "تركناها تهرب؟".

قال: "نعم، وينتابني شعور سيئ حيال ذلك يا سيدي".

اهتز هاتف غريغ على صدره، أخرجته من جيب قميصه، ووضعها على أذنه، بينما وضع إصبعًا من يده على أذنه الأخرى. ولما كان يصيح عبر الهاتف، توقّف جهاز إنذار الحريق فجأة، فسأل: "من

المتحدث وماذا تريد؟".

استمر في الصراخ دون أن يسمع جيدًا أو يفهم من كان يكلمه على الهاتف.

عاد الصوت قائلاً: "هذا أنا يا سيدي. الشرطي نورمان. لقد حصلت على المعلومات التي طلبتها حول اللوحة".

تسارعت دقات قلب غريغ، بينما كان ينتظر سماع الاسم. ربما هو اسم القاتل؟ لحظة فظيعة، تساءل فيما لو أنه سينطق باسم أليكس تايلور، وأنها هي من أرسلت اللوحة لنفسها. خرج الاسم من بين شفطي الشرطي الشاب، فتنفّس غريغ الضعداء. إن أليكس تقول الحقيقة. فكر... كم كانت تلك الحقيقة مستبعدة تمامًا، وبعيدة على التصديق.

قال الشرطي: "مارغريت فيلدينغ. وقد تمّ الدّفع بواسطة بطاقة فيزا، وأرسلت إلى العنوان الذي أحرسه".

شكره غريغ، وأغلق الخط. ثم التفت إلى ناثن بيل وجاكي جاكسون قائلاً: "دعونا نبحث عنها".

كانت خاصرتها تحترق من الألم، خفنت أليكس أن يكون الجرح بحاجة إلى خياطة، فيما إذا بقيت على قيد الحياة إلى ذلك الوقت. للمرة الثالثة أثناء عدة أشهر، قامت ماغي بتثبيتها إلى سرير العمليات. وفقط في هذه المرة، عرفت بالضبط على أي سرير هي مستلقية، إنها طاولة قسم جراحة معالجة الصدمات. قامت بتثبيت ذراعيها بلاصق، ومن ثم ربطتهما بضامادات لثحكم تثبيتهما. كما استخدمت

ملاءة لربط ساقها إلى السرير، وقفت بجانبها وبيدها مشرط.

قالت: "سوف أنفذ رغبتك يا أليكس. لا مزيد من العبث، سوف ينتهي الأمر هنا. سيجدونك ميتة وسيعلنون عنها على أنها عملية انتحار".

حدقت فيها أليكس، فسألته متعجبة: "انتحار؟". ثم أضافت: "لقد طعنيتني في خاصرتي، وجرحتي رقبتني، لذلك لن يصدق أحد أنها عملية انتحار".

لم تجب ماغي، كما أن أليكس أصبحت لامبالية بما سيحدث لها، لم تعد تشعر بالخوف. ما يشغل تفكيرها الآن هو فقط والدها ووالدتها وبامبلا وصديقتها العزيزة.

قالت: "لماذا قتلتها يا ماغي؟ لماذا فيونا؟".

هزت ماغي رأسها.

"رجاء...".

في النهاية، رمقتها ماغي، وللمرة الأولى شعرت أليكس أنها ترى أمامها ماغي الحقيقية. امرأة تعاني من الاضطراب في ضميرها. ارتفع صدرها ثم أشاحت ببصرها عن أليكس وقالت: "لقد وجدت هاتفك معي. حاولت أن أضللها، فقالت أنها راسلتك لكنك لم تردني. قلت لها بأنك اتصلت بهاتفك للتو، بعد أن عرفت بأنك تركتني في العمل. ولكن فيونا لم تصدقني. قلت لها بأنني سألتقي بك ويمكنها أن تتأكد منك بنفسها من ذلك، وأخبرتها أين سآذهب، ثم مشت مبتعدة. توقفت ماغي، وامتد صمتها قليلاً،

وبدت كما لو أنها تتخذ قرارها بشأن أمر ما. ثم غمضت عينيها مع أليكس، وتابعت: "لو لم تنظر إلى خلفها لما تبعتها. لكنها التفتت إلى الورا، وقالت: "أنا لا أصدقك". ماذا كان علي أن أفعل يا أليكس؟ سوى أن أجعل الجميع يظن أنك قمت بفعل رهيب مثل قتل أقرب صديقة لك".

قالت أليكس: "ستذهبين إلى الجحيم بسبب فعلتك هذه يا ماغي".

وفي لحظة، ومض المشروط أمام عينيها. شعرت بالأم فظيع وهي تبضع به معصمها الأيمن عميقًا. تدفق دمها غزيرًا. لقد شاهدت أليكس كيف تناثر الدم إلى الأعلى، حتى رشق مصابيح الغرفة.

قالت: "لقد أحببتك يا ماغي، حقًا كنت أحبك".

ثم تحولت، بسرعة خاطفة، بالمشروط إلى المعصم الأيسر وقطعته هو الآخر. كان الألم أشد، وقد توقعت ذلك. أحست بالدماء تملأ يديها، والدفء يتسلل إلى أصابعها.

لقد كانت تحتضر. وفي غضون بضع دقائق، سيتوقف قلبها. عيد ميلادها يصادف الشهر المقبل، لكنها لن تعيش إلى سن التاسعة والعشرين. تنفست بعمق، وشعرت بدقات قلبها تحت عظم صدرها.

قالت بصوت هاميس: "أمسكي يدي يا ماغي. لا تدعيني أموت وحيدة".

لم تجد ردًا؛ لأن ماغي ابتعدت عن الطاولة، لكن أليكس أحست أنها لا تزال موجودة بالقرب منها.

لقد كانت تنتظر موتها، لتقوم بعد ذلك بفك الأربطة، ووضع المبضع إلى جانبها، حتى يظن من يجدها أنها هي من أنهت حياتها. وقد يعدون جروحها الأخرى محاولات سابقة للانتحار.

في النهاية، ستفوز ماغي، وكل من عرف أليكس أو أحبها سيظن أنها ماتت وأنها كانت مجرمة.

كان فمها جافًا وجسدها باردًا. لم تعد لا ترى خط دمها، ولا تشعر بنبض قلبها. أحسّت أنها معلقة في الهواء. سمعت طنينًا خفيفًا في أذنيها، ثم رمشت وأغلقت عينيها.

كانوا يتبعون آثار الدماء المتساقطة على طول الممر. كلهم صامتون. كل واحد منهم مترقب في قلق لما سيجدونه. لكن آثار الدم التي قادتهم إلى غرفة العمليات، لم تثر لهم في أي حال من الأحوال عن المشهد الذي رأوه. كانت الدماء تملأ المكان على جانبي طاولة العمليات. تسقى الرجال الثلاثة عند مدخل الغرفة. كمية غزيرة قد سفكت وتجمعت كثيفة وحمراء، وسالت على الأرض إلى أقصى حد ممكن. كانت أليكس مستلقية على طاولة العمليات، وذراعاها مربوطتان إلى الأسفل، ورأسها مائل إلى جانب.

كان ناثن أول من سارع متقدمًا إلى الأمام، بينما كان يركض نحوها، أعطى الأوامر إلى الرجلين الآخرين: "أصل بالرقم 333، أخبرهم بأننا في غرفة جراحة معالجة الصدمات. واسحب ذاك القاطع الأحمر على الخائط خلفي، ثم قم بتغطية

هذه الأرضية بأيّ قطعة قماش. وانت يا غريغ، تعال وساعدني".

ذهب جاكى جاكسون نحو الهاتف، بينما حاول غريغ بحرص عدم التزحلق على الدم، وهو ينضم إلى الطبيب.

"اخلع ربطة عنقك واربطها بقوة حول معصمها، ثم ارفع ذراعها بمستوى أعلى من رأسها".

بينما نفذ غريغ ما طلب منه، لفّ ناثن مقياس ضغط الدم وربطه حول معصم يدها الأخرى، وضغط مفتاح الجهاز بحيث تضخم الرباط المطاطي بسرعة، وعمل بمنزلة ضمادة لوقف النزف. ثم أخذ ضمادة اعتيادية وربطها حول ربطة عنق غريغ. ضغط على دؤاسة قدم فانخفض الجزء العلوي من طاولة العمليات. ثم هرع إلى درج وتناول منه قنيت برتقالية وقال لغريغ: "ارفع ذقنها وضع أذنك على فمها، وتحقق إن كانت تتنفس".

فعل غريغ مرّة أخرى ما طلب منه، بينما قام ناثن بغرز إبرتين وريديتين كبيرتين في ذراعيها. جلب كيسين من السوائل وأثناء ثوانٍ ربطهما إلى أنبوب التنقيط، تدفقت السوائل في أوردة أليكس. سأل: "هل تشعر بأنفاسها؟".

رفع غريغ رأسه ونظر إليه نظرة بانسة وهز رأسه نافيًا. أخذ ناثن مكانه على رأس الطاولة ووضع إصبعين على حنجرتها: "يوجد نبض، لكنها لا تتنفس. انفخ في فمها يا غريغ، إلى أن أحضر لها الأكسجين. اقرص أنفها وقم بإمالة ذقنها وتغطية

فمها بفمك".

شعر بشفتيها باردتين على شفثيه، وأحس غريغ بخوف شديد في أعماقه، "يجب ألا تموتي" صلى لأجلها، "لا زلت صغيرة جدًا. قاومي يا أليكس، من فضلك قاومي".

أصبح ممتنا لنانان لأنه تولى وضع قناع أكسجين لأليكس. فأخذ نفسًا عميقًا وحاول تهدئة نفسه، ثم رأى صدرها يرتفع، سأل: "هل تتنفس؟".

"ليس من تلقائها بعد. إنها منهكة للغاية. غريغ، أريد منك أن تنفخ في الكيس وتضعه على فمها. أريد منك أن تفعل بالضبط ما أفعله. احتاج إلى الحصول على المزيد من أكياس السيروم، وأكياس الدّم في أسرع وقت ممكن".

بعد دقائق، وصل عددٌ من الأشخاص، وبعد عشرين دقيقة، كان المكان يعج بالنشاط. تم تزويدها بكيسين من الدماء لتعويض ما فقدته، بينما الثالث والرابع كانا معلقين وجاهزين للمرور عبر جهاز تدفئة الدّم.

كان غريغ يقف بعيدًا عن الجميع، متكئًا إلى جدار. أما جاكى جاكسون فقد وقف مصدومًا في الجهة المقابلة، بعد أن اتصل مع مركز الشرطة وأبلغهم بإلقاء القبض على ماغي فيلدينغ على الفور. لم يكن غريغ مهتمًا بالقبض على ماغي، كل ما كان يشغله هو التفكير بأليكس. لأنها لم تكن قد اجتازت مرحلة الخطر بعد. سمعهم يتحدثون عن عوامل التخثر، وعن حقيقة أنها فقدت الكثير من الدّم، لدرجة أن

الدم الجديد لم يكن قادرًا على التخثر ومن ثم وقف النزيف. كان يتخيل أن دمها مانع جدًا، وقليل للزوجة مثل صلصة الطماطم المخففة بالماء. ثبت عينيه على وجهها الشاحب وصلى لأجلها كما لم يصل من قبل.

تم إدخال ثلاث أنابيب صغيرة إلى عنقها. ووضعت قنيات الإبر في ذراعيها. وقنية أخرى في الشريان الفخذي، حتى يتمكنوا من مراقبة ضغط دمها بدقة. كما وضعت قسطرة بولية في المثانة، لمراقبة خروجها. أحيطت بعدة قطع من المعدات المعقدة. وضع لها جهاز تنفس اصطناعي، وتقت تغطية جسمها ببلاستيك رقيق، حتى بدا كأنه سهل التمرق. انتظروا إلى أن استقرت حالتها، قبل أن ينقلوها إلى قسم العناية المركزة. سمع غريغ أحدهم يقول: "إنها فقدت كمية كبيرة من الدماء، بنسبة ستين إلى سبعين بالمئة". أوحى التوتر الظاهر على وجه ناثن بأن وضعها حرج.

رمقت الممرضات غريغ عدة مرات، في إشارة منهن إلى أنه لا يجب أن يكون في غرفة العمليات، لكن لم تكن لديه أي نية للمغادرة وترك أليكس وناثن ببيل. إذا كانت التوقعات قاتمة فقد أراد أن يكون إلى جانبها.

كان جراح يخيظ شرايين معصمها، وطبيب تخدير يراقب تنفسها. كانت الأجواء متوترة، من الواضح أن الأزمة لم تنته بعد.

الفصل الخامس والخمسون

كان سائق سيارة الإسعاف مركزًا اهتمامه بشدة على الطريق أمامه. عندما وصل إلى الطريق المؤدي إلى مدخل المستشفى، أوقف صفارة الإنذار، لكنه أبقى الضوء الأزرق وامضًا. وحين رأى سيارة تحاول الخروج، شغل صفارة الإنذار للحظة، ثم استرخى مع توقف السيارة.

كان شريكه في مؤخرة سيارة الإسعاف، مع امرأة على وشك ولادة طفلها. أراد أن يركن السيارة إلى جانب الطريق، ويساعد في عملية الولادة، لكن شريكه أخبره أن الجنين بوضعية مقلوبة في الرحم. كانا على بعد أقل من دقيقتين من وحدة الولادة، فوجد أنه من الأفضل للأم وللطفل، إيصالهما إلى المستشفى بسرعة ودون توقف.

شاهدت ماغي الأنوار الزرقاء الواضحة تندفع نحوها، ضغطت على المكابح. كانت غارقة في دم أليكس وهي متأكدة من أنها قد ماتت الآن. لكن بدل أن تشعر بالارتياح، سيطر الخوف من المستقبل عليها. انتهى كل شيء، ولم يعد لديها هدف آخر. انتهت أليكس، كما ماتت النساء الأخريات، كذلك مات حبيبها أوليفر.

ظلت صورة ديLAN بعينيه المحترقتين، وفرائه الملطخ باللون الأحمر، وصريه البانس، تلاحقها. كما كان وجه أوليفر وهو يموت لا يبارح ذاكرتها. لم تستطع التخلص من كل هذا القبح. كل الأشخاص الذين أحببتهم غادروها، والان تعيش وحيدة مع

بينما كانت سيارة الإسعاف لا تزال تتقدم بسرعة، والأضواء الزرقاء تقترب، تذكرت ماغي ليلتها الأخيرة مع أوليفر. بعد العشاء عادا إلى منزله، أخبرها عن خطته للانتقال إلى لوس أنجلوس. سيُقبل على بداية جديدة. كان ثملاً ومتفائلاً، وهو يفكر بالدور الكبير الذي حرم منه مؤخرًا. تساءل عن إمكانية اهتمام أحد المنتجين في هوليوود، بعمل نسخة أمريكية عن الفيلم. لا يهمه إن كانت القصة سرقة أدبية. قال بأنه دائما توجد طريقة لتدارك الأمر: "يمكن تعديها. إنها قصة رائعة يا ماغي. ستكون فرصة لأي منتج". كانت تبتسم له وهو مرتيم على قدميها ويخبرها كيف أن هذا الفيلم سيجعله نجما كبيرا. أردف أوليفر، قائلاً: "يفتح الفيلم بمشهد القاتل المحترف، في اللحظة التي تحاصره فيها الشرطة. القاتل هو طبيب، تتقدم الشرطة لاقتحام منزله، فتجده معلقاً بحبل مشنقة. تظنه الشرطة ميتاً. لكن في الحقيقة هو ليس ميتاً، لقد قام بتمثيل مشهد الانتحار، ولأنه طبيب، يعرف كيف يجعل قلبه يتوقف ويبدو كأنه ميت. ثم يعود لممارسة عمليات القتل مرة أخرى، ويجعل الشرطة تعتقد أن لديهم قاتلاً آخر، إلى أن يبدأ بإرسال الرسائل إليهم".

كان هناك شيء واحد يدور في ذهنها، عندما اقترحت عليه أن تربيه كيف يمكن القيام بالمشهد، وهو السخرية منه، وتحذته أن يثبت لها أن الأمر ممكن، فقد بدت الفكرة سخيفة.

سيكون في امان تام. في النهاية هي طيبة. كان يشغلها شيء واحد فقط: هل سيأخذها معه إلى لوس أنجلس؟

بينما يقف على الكرسي بحماقة، وهو في حالة سكر، والحبل محكم حول رقبتة، أخبرها عن كيفية تشغيل كاميرته، وكيفية تقريب الصورة. قال: "بعد خمس ثوانٍ، يا ماغي، ادفعي الكرسي من تحت قدمي، لا أريد حادثًا دمويًا".

سألته: "هل ستأخذني معك؟".

ابتسم ابتسامة فيها لا مبالاة، وقال، بالتأكيد، ولكن ربما ليس على الفور؛ لأنه سيحتاج إلى بعض الوقت حتى يجري اتصالاته، ويبدأ بالعمل. ولكن، لا شك أنه سيرسل في طلبها بمجرد أن تستقر أموره.

انتظرته حتى أحكم عقدة الحبل من فوق رأسه، ثم سحبت الكرسي من تحت قدميه. تركت ساقيه تتدليان.

قال وهو يلهث: "عجلي يا ماغز. أنا ثقيل جدًا! أعيدي الكرسي!... أعيديه!".

لم يحدث هبوط مفاجئ عند تركه للحبل. فقد انزلقت قبضته إلى الأسفل وتم تركه يصارع الحبل بعنقه. وبسرعة التقطت ماغي الكاميرا لتصويره. بعد نصف دقيقة، كانت عيناه قد انتفختا بشدة، وظهرت الأوردة، وتحول اللون الأبيض إلى لونٍ أحمر، وتدلى لسانه المزرق من بين شفثيه. لقد قام بخربشة عنقه لأكثر من ثلاث دقائق إلى أن

هوت يدها نحو الأسفل، ارتعشت أطراف أصابعه، وتراقصت أصابع قدميه وهو يخطو خطواته الأخيرة في الهواء منازغاً الموت.

قبل أن تغادر، قلبت الكرسي، وجمعت كل ما يخضها من المكان. قامت بمسح أي أثر لوجودها في حياته. حذفت صور موته من الكاميرا. لقد كان ذلك هو دوره الأخير، الدور الأكثر فخراً بالنسبة إليه فيما لو عاش وراه... ولاستحق عليه جائزة أوسكار.

مات حبيبها أوليفر. لم يكن ليخطن معها، إلى أن وشت عيناه لها أن كل شيء بينهما مجرد كذبة.

رأت ماغي حافلة ذات طابق واحد، وشاهدت وجه السائق بوضوح، وهو قادم من جهة اليسار. الضوء الأزرق الوامض على يمينها يقترب منها. رمقت السائقين في طريقها، وفي اللحظة المناسبة، ضغطت بقدمها على دواسة السرعة.

تمكن سائق سيارة الإسعاف من كبح الفرامل قبل الاصطدام. لكن سائق الحافلة لم يسعفه الوقت ليضغط على الفرامل. تعرّضت سيارة ماغي من نوع إكسبلورر للاصطدام من جانب بما يقارب خمسة عشر طنًا من الفولاذ. وفي وقت لاحق، كان كلا السائقين يتذكر لحظة رؤيته امرأة ذات شعر غامق خلف عجلة القيادة. وقد عرفا أنها وضعت نفسها في طريق الخطر بشكل متعمد.

الفصل السادس والخمسون

لورا بيست، هي من قامت بنقل خبر موت ماغي إلى غريغ. أعلنت أنها توفيت إثر اصطدام سيارتها بسيارة إسعاف وباص، بالقرب من المستشفى. كان السائقان قد نُقلا إلى قسم الطوارئ لعلاج إصابتهما. كما تم نقل العنصر الثاني، المرافق لسيارة الإسعاف، بحالة أشبه بأنها نوبة قلبية. أنجبت المرأة طفلها في مكان الحادث، ثم توفيت.

شعر غريغ بالاكتئاب عند سماع الخبر. لقد فقد شخص آخر حياته، واثنان في حالة خطيرة. كان لا يزال موجودًا في المستشفى لأن حالة أليكس لا تزال حرجة.

كانت لورا بيست تحمل في يدها لوحًا كما لو أنها تقوم بجولة تفتيشية. بيزتها من لون الشوكولا، وقميص بلون كريمي من نوعية جيدة. وبشعرها اللامع، وبشرتها النقية. لا بد أن تصل يومًا ما إلى رتب عليا، حتى لو كان لأجل أناقتها فقط.

سألت: "هل أليكس تايلور قادرة على الكلام؟".
رفع حاجبيه قائلاً: "ماذا تظنين؟".

ضغطت بقلمها على اللوح بصبر نافذ: "أنا أسألك يا غريغ".

انتزع القلم من يدها وكسره إلى قطعتين وقال: "خاطبيني بصفة مفتش أيتها المحققة بيست. ثم لماذا تريدني التحدث إلى الدكتورة تايلور؟".

احمز وجهها، ولمعت من فورها عينها، فقالت

بغضب: "لأنني أريد أن أوضح هذا العبث والسخافات التي أسمعها عن أنها بريئة".

قبل أن تفهم لورا ما يحدث، أو تنطق بكلمة احتجاج واحدة، جرّها غريغ إلى نهاية ممزّ غرفة العمليات، ودفعها بوساطة الباب المزدوج لكي ترى المكان الذي تمّت فيه محاولة قتل أليكس تايلور. كانت لا تزال الملابس والمناشف المليئة بالدم ملقاة على الأرض، وكذلك المعدات التي استخدمت لإنقاذ حياتها، متروكة هناك. للتو قاموا بنقلها إلى غرفة العناية المركّزة، ولم تتح الفرصة لأحد حتى الآن أن ينظف المكان.

"هذا الدم الذي ترينه هو دم أليكس تايلور. إنّها تصارع الموت، أيتها المرأة الغبية!".

عاد لون وجه لورا أبيض: "حسنًا، يبدو أنّها حاولت أن تنتحر أليس كذلك؟ لقد تركها جاكى جاكسون لتهرب. كانت مضطّرة لمحاولة الانتحار".

شدّها غريغ من كتفها، وأخذها إلى طاولة العمليات، وأشار إلى مساند الذراعين، المملّخة بالدم، قائلاً: "إن أليكس تايلور كانت مقيدة إلى هذه الطاولة، تمّ ربط ذراعيها وساقها، غير قادرة على الدفاع عن نفسها، وقد قطعت ماري فيلدينغ شرايين معصمها، ثم ثرّكت لتموت. كلّ شيء أخبرتنا به أليكس تايلور كان صحيحًا. كلّها قامت ماغي فيلدينغ بختفها وتعذيبها بشكل لا يمكن تصوّره. هي من قتلت إيمي أبوت وليليان أرمسترونغ وفيونا وودز، وحاولت هذه الليلة قتل أليكس تايلور. كنت

مخطئة أيتها المحققة بيست، وكذلك أنا. لكن خفني ماذا؟ ربما سأحصل أنا على ترقية لأنني كشفت أمر ماغي فيلدينغ، بينما أنت يا لورا بيست، طيلة المدة التي تعملين فيها معي ستبقين محققة. لذا قد تفضلين التفكير في النقل بعيدًا عني، حيث يمكنك الصعود على ظهر أحمق آخر".

ساد صمت قصير قبل أن تغادر غرفة العمليات ويحل ناثن محلها، قائلاً: "أنا أظن أن الأمر كان شخصيًا؟".

هزّ غريغ رأسه، وقال بلهجة صارمة: "كلا ليس بعد الآن. كان ذلك تصرفًا مهنيًا".

ابتسم ناثن ابتسامة صغيرة: "وضع أليكس مستقر. سوف تنجو".

ثم، وبشكل مفاجئ، أصيب ناثن بضعف، وتقيأ. جلب غريغ القماش النظيف الوحيد الذي استطاع العثور عليه، كما تناول قطع القطن الطبية من صينية الجراحة، وأعطاه إياه.

لقد أحس أن الضيق يزول عن صدره، وبدأ ينتابه شعور بالتفاؤل: "إنه خبر رائع يا ناثن. أنت طبيب ممتاز".

هتف ناثن وهو يبصق بقوة، وقبل أن يمسح فمه: "كان لديّ مساعدٌ جيد".

تذكر غريغ شفيتها الباردتين الخاليتين من الدم تحت شفتيه، أحس بقربها. نظر إلى الساعتين المعلقتين على الجدار البعيد - إحداهما تحسب

الدقائق، والأخرى تشير إلى الوقت.

ضدم عندما وجد أن الوقت تجاوز منتصف الليل،
سأل: "في أي وقت تنهي عملك؟".

ردّ ناثنان: "منذ أربع ساعات".

"هل تريد مشروب عيد الميلاد؟".

أوما ناثنان قائلاً: "نعم، كأساً كبيرة، كأساً كبيرة
بحق الجحيم".

كانا يسيران على طول الممر، وهما يشاهدان دم
اليكس الذي كان لا يزال على الأرض، وقد جف،
وسيتّم مسحه قريباً. ظلّ غريغ ينظر أمامه إلى
أرض الممر، وفجأة، قال مستدركاً: "إن أليكس هي
من جعلتهم يعرفون مكان وجودها. هي من قادتهم
إليها". لم يكن يعرف كيف ذلك، لكنه واثق من أنها
جرحت نفسها بطريقة ما، بحيث تركت لهم خلفها
أثراً في هذا المسار، ليستدلوا إلى مكان وجودها.

زاد إعجابه بها. كانت أكثر شخص عرفه شجاعة
في مواجهة كلّ هؤلاء الناس الذين لم يصدقوها،
وما زالت تكافح.

فتحت أليكس عينيها، أدركت أنها في مكان آمن.
سمعت أجهزة التنفّس الاصطناعي وأجهزة المراقبة،
وضوضاء زملائها في العمل. كان ناثنان أول وجه
رأته، عندما فتحت عينيها في وقت سابق. طمأنها
بسرعة، وأخبرها بأن الجميع يعلم أنها بريئة،
وأن الشرطة تبحث عن ماغي فيلدينغ. كما اتصل
بباتريك وأخبره بأنها بخير. أخبرها بأن باتريك بكى.

قالها ناثنان بطريقة تدفع أليكس لتسامح باتريك.
وتدفعها للابتعاد عن ناثنان.

لقد رأت الشحوب على وجهه والقلق في عينيه،
كما رأت ريبته، وهو مفصول عن كل المشاعر
الأخرى، واقف وحده. أهي الريبة في حقه في أن
يكون في حياتها؟ لقد بدأ للتو الخطوة الأولى على
هذا الطريق الجديد. إنها البداية. عندما وضع يده
على خديها، مالت نحو دفة يده.

ربما ستخبره ذات يوم، كيف حاولت قتل نفسها.
القرار الواضح الذي اتخذته عندما اختطفها ماغي
فيلدينغ في الممر. رغبت حينها، وبشدة، أن تموت
هناك، لوضع حد لحالة الرعب التي تعيشها. لم يهّمها
في تلك اللحظة أنها بحر رقبته على حد النصل
ستموت. كل ما فكرت فيه هو أن تضع نهاية لخوفها.

ربما ستخبره ذات يوم كيف كانت شجاعة مرة
ثانية. حين أقرت بأنها أليكس تايلور، الطبيبة التي
أنقذت حياة الناس، وواجهت أشياء لا يمكن لأحد
تخيلها...

شكر وتقدير

ما كان لهذا الكتاب أن يرى النور، لولا الدعم والتشجيع من زوجي مايك وأولادنا الثلاثة، لوركان، وكاثرين، وألكساندريا، وزوجة ابني، هاربيت. أنتم من تلهمونني بتفانيكم التام وإصراركم على أن نكون أناسًا صالحين. شكرًا لأنكم أتحتم لي الوقت حتى أتمكن من إنهاء كتابي أخيرًا.

شكرًا لإخوتي الستة، وأخواتي الخمس، وخاصة سو، بيرني، وزوج أختي، كيفن لقراءتهم المسؤدات. كم نحن محظوظون لأننا تقاسمنا هذا القدر من المشاركة، وخاصة والدينا الرائعين.

شكرًا خاص للدكتورة مونيكا بايرد، استشارية التخدير، والدكتور بيتر فورستر اختصاصية الجراحة والتخدير، لوقتهم وخبراتهم الواسعة، التي زودوني بها.

شكرًا مارتن فولكس لأرائك الصادقة دائمًا.

أخيرًا وليس أخيرًا، شكرًا للمحرر والناشر الاستثنائي، جويل ريتشاردسون. شكرًا للفريق الرائع في توينتي 7 لجعل هذا الكتاب على أفضل ما يمكن.

لولا عملي في المجال الطبي، لما استطعت الاعتماد على الخبرات السابقة (أعدكم لن تحدث أشياء مقرفة أبدًا، مثل تناول بقايا الخبز المحمص الخاض بالمرضى باردًا). وليس بوسعي إلا أن أقدم شكري الكبير للكوادر الطبية، ورجال الشرطة، الذين

يحاربون من أجل الخير، لكي يجعلوا حياتنا أفضل.
لا يوجد أحد بروعتهم.

لك يا أمي... التي اشتاق إلى مشاركة الكتب معها.
ولك يا دارسي... التي أحب أن أقرأ لها.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook